عباس محمود العقاد

١١

ديوان من دواوين

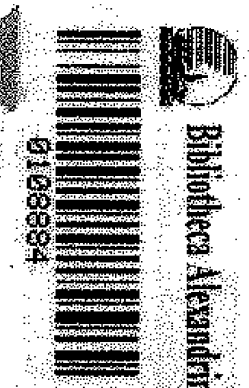

نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع

١١

ديوان من دواوين

مقتبس من : يَقَظة الصباح . وَهَج الظهيرة .
أشباح الأصيل . أشجان الليل .
وحى الأربعين . هديَّة الكروان .
عابر سبيل . أعاصير مغرب .
بعد الأعاصير . . . . ما بعد البَعد .

نظم
عبَّاس محمود العقاد

نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع

اسم الكتاب: ديوان من دواوين
اسم المؤلف: عباس محمود العقاد .

الطبعة الأولى فبراير ١٩٩٦

رقم الإيداع: ١٩٩٦/٣٣٠٨ .
الترقيم الدولي: I.S.B.N 977 - 14 - 0406 -7
تصميم الغلاف: م / محمد العشر

الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر .
المركز الرئيسي: ٨٠ المنطقة الصناعية الرابعة
مدينة السادس من أكتوبر
ت: ٣٣٠٢٨٨ - ٣٣٠٢٨٧ - ٣٣٠٢٨٩ .
فاكس: ٠١١/٣٣٠٢٩٦ .
مركز التوزيع: ١٨ ش كامل صدقي - الفجالة - القاهرة .
ت: ٥٩٠٩٨٢٧ - ٥٩٠٨٨٩٥ .
فاكس: ٠٢/٥٩٠٣٣٩٥
ص.ب: ٩٦ الفجالة
إدارة النشر: ٢١ ش أحمد عرابي - المهندسين - القاهرة
ت: ٣٤٦٦٤٣٤ - ٣٤٧٢٨٦٤ .
فاكس: ٠٢/٣٤٦٢٥٧٦
ص.ب: ٢٠ امبابة

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدى القراء

اسم هذه المجموعة يدل على موضوعها ، لأنها ديوان مقتبس من دواوين الناظم ، وهى : يقظة الصباح ، ووهج الظهيرة ، وأشباح الأصيل ، وأشجان الليل ، ووحى الأربعين ، وهدية الكروان ، وعابر سبيل ، وأعاصير مغرب ، وبعد الأعاصير ، ومايلى من شعرٍ نُظم بعد صدور هذا الديوان الأخير .

وقد نفدت الأجزاء الأولى من هذه الدواوين وأعيد طبعها فنفدت فى حينها ، ولم يبق من آخر هذه الدواوين جميعا إلا القليل ، وجاءتنا الرسائل الكثيرة ممن يسألون عن بعض هذه الدواوين أو عنها جميعا ويطلبون إرسالها إليهم ، وبخاصة قراء البلاد العربية التى لم يتيسر وصول الكتب المصرية إليها فى بعض العهود ، فترددنا بين طبعها فى مجلد واحد وبين إعادتها أجزاءً متفرقة كما صدرت أول مرة ، وكلاهما لا يغنى فى تيسير المطلوب منها ، لضخامة الحجم أو لتطاول الزمن ، فآثرنا أن نتوسط بين الأمرين باقتباس هذه المجموعة التى تنوب عن شعر الدواوين جميعا إلى حين ، وتتم أبواب الشعر فى جملتها لمن نقصت عنده بعض الأجزاء .

ويطيب لنا أن نشير إلى نفاد هذه الدواوين لأننا نستفيد منه ميزانا من موازين الأدب فى عمومه ، وميزانا من موازين الشعر على الخصوص ، وميزانا من موازين الشعر فى عصرنا هذا على الأخص ، وهو أحوج ما يكون إلى ميزان ، وإلى بيان .

فلا مرجع لنقد الشعر غير قرائه الراغبين فيه بمعزل عن ضجة «الدعاية» ومذاهب النقاد وموقف الصحافة وأدوات النشر بين الإقبال والإعراض أو بين العناية والإهمال .

وأصدق ما يكون ذلك الميزان فى دلالته على القول الأخير فى نقد الشعر أن يكون هذا الشعر مما يتفق محبوه وخصومه على أنه كلام لا يوصف بالصبغة السطحية ولا يستهوى الجهلاء ببهرج رخيص قليل الحظ من الفهم والتفكير ولا يستثير الغريزة التى تسوّغ ما ليس بالسائغ فى موازين النقد والتمييز .

وبين يدى هذا المرجع الأمين ، بل هذا الموئل القرير الذى لا نرتضى لكلام نقوله موئلا سواه ، نقدم هذا الديوان من الدواوين كما قدمناها جميعًا من قبل ، شاكرينَ ذاكرين .

عباس محمود العقاد

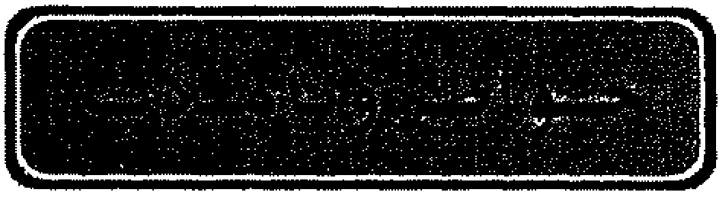

النـــــور(*)

(. . . إلى أين ينتهى بنا تحليل النور على أيدى علماء الطبيعة فضلا عن الفلاسفة والمتصوفة ؟ ينتهى بنا إلى أنه « معنى » يشبه المعانى المجردة ، ولو أمكن تحليل الفكر على هذا النمط لالتقى بعنصر النور التقاء القريب بالقريب) .

النورا ســـر الحـــيـــاة ... النور ســـر النجـــاة
الـنـور وحـى الـنُّـهـى ... النور وحى الصـــلاة
النور شـــوق الفـــتى ... النور شـــوق الفـــتـــاة
المحْـــــــهُ بـالـروح لا ... لمح العـيـــون الخُـواة
مـا تبـصـر العين من ... مـــــعـناه إلا أداة
هذا سـبـيل الهـدى ... لا مـا افـتـراه الهُـداة !

* * *

إلى غاندى (*)

حين أعلن الصيام

أتيتَ إلى الدنيـا العـريضـة عـاريا ... وتقضى بها جوعًا ، وماعزٌ مأكل !
تركتَ لهم حـتى الطعـام فـقل لنا ... على أى شىء بعـد مـوتك تُقـبِل
إذا البـؤس والحـرمـان كـان شـفـاعةً ... لعـالمك الأعلى ، فـمـا هو أفـضل
إذا كـان مـاندعـوه بؤسى غنيـمـةً ... لمن يطلب النعـمى فـبـئس المعـوّل

(*) النور : وحى الأربعين . (*) إلى غاندى : وحى الأربعين .

الوجه الفيلسوف(*)

أرى لك أنتَ فلسفةً صُراحًا ... بلمح العين أقرأها جميعا
أذم العيش فى ألفَىْ كتابٍ ... وتَعرض لى فأمدحه سريعًا
إذا ما الفيلسوف أطال سخطى ... على لؤم الحياة فكن شفيعا
غنيتَ عن الأدلة والأحاجى ... ومن حاجاك[1] لم يكُ مستطيعا

* * *

القدر يشكو(*)

صغيرٌ يطلب الكبَرا ... وشيخ ودّ لو صغرا
وخال يشتهى عملا ... وذو عمل به ضجرا
ورَب المال فى تعب ... وفى تعب مَن افتقرا
ويشقى المرء منهزما ... ولا يرتاح منتصرا
ولا يرضى بلا عَقبٍ ... فإن يُعقبْ ، فلا وزرا[2]
ويبغى المجد فى لهَفٍ ... فإن يظفر به فترا
ويحمد إن سلا ، فإذا ... تولّه قلبه زفرا
فهل حاروا مع الأقدا ... ر أو هم حيروا القدرا ؟
شكاةً مالها حَكمَ ... سوى الخصمين إن حضرا

(*) الوجه الفيلسوف : وحى الأربعين .
(١) حاجاه : غالبه بالحجى : أى العقل ، أو ألقى عليه الأحاجى والألغاز .
(*) القدر يشكو : وحى الأربعين .
(٢) الوزر : الملجأ والمعتصم .

الحمد المعكوس (*)

يارب حمد لم ينله الذى ... قد ناله إلا لهجوى أنا
ورب هجوٍ طافَ بى لم يكن ... يطوف بى لو لم أكن محسنا

* * *

عدل الموازين (*)

إنّا نريد إذا ما الظلم حاق بنا ... عدل الأناسىّ لا عدل الموازين
عدل الموازين ظلمٌ حين تنصبها ... على المساواة بين الحرّ والدون
مافرّقت كفة الميزان أو عدلت ... بين الحلىّ وأحجار الطواحين

* * *

الخبز والفقير (*)

أحسب الخبز لو درى لتأبّى ... فى يد الجائع الفقير إليه
إنما تُسلس الطّلاب جميعا ... لامرىءٍ هانت الطلاب عليه

* * *

شطور (*)

دليلٌ على أن الكمال محرّمٌ ... إناثٌ خُلقنا بينها وذكور
فما المرء فى جسم وروح بكامل ... ولكنّ كل العالمين شطور

(*) الحمد المعكوس : وحى الأربعين . ٤٢
(*) الخبز والفقير : وحى الأربعين . ٤٣
(*) عدل الموازين : وحى الأربعين . ٤٣
(*) شطور : وحى الأربعين . ٤٥

To: www.al-mostafa.com

الآمـــال(*)

كانت الآمال تحملنى فأرانى اليوم أحملها
إن أحلامـا تعللنى غير أحلام أعللها

* * *

يوم ميلادى(*)

يوم ميلادى تقدّمْ وتأخّرْ ... وتكلّم
لاتقل لى قبل عام كيف كنا ؟ أنا أعلمْ
لا تقل لى بعد عمرى كيف نُمسى ؟ لستَ تعلم
غاية الأمر أظانين ، وبعض الظن يأثم
سوف نمسى مثل ما كنّا ، ولم نولد ونُفطَم

إن يكن ذلك شيئًا لستُ بعد الموت أعدَم
أو يكن ليس بشىء أترى « لاشىء » يندم ؟
أية الحالين قل لى بعد طول العمر أسلم ؟ !
تظلم الموت إذا قلـ ـت ظلومٌ ليس يرحم
نحن لا بالموت أُعطيـ ـنا ولا بالموت نحرم
من يَعُدْ يومًا كما كا ن فقد قدّم وتمّمْ
صفقة الأعمار فيها قلّةُ الخسران مغنم

(*) الآمال : وحى الأربعين .
(*) يوم ميلادى : بعد الأعاصير .

رجاء كاليأس (*)

أنا لم أيأس من الخـــير ولا ... أحسب الشر على الناس لزاما
أنا أغنيت يدى عن خيرهم ... وأمنت الشر من حيث ترامى
فليكن من شـــاء منهم مَلَكا ... أو يكن جنًّا على الكيد أقاما
كلهم بعـــدُ ســـواءٌ عند من ... لا يَدين الناس شكرا وانتقاما

* * *

الحب إعطاء (*)

لا تطلب الحب بين الناس تأخـذه ... بل فـاطلب الحب تُعطِى منه مـاتجد
أشـقى البـريّة من لم يَعنه أحـدٌ ... وليس من كـان لا يُعنَى به أحـد

* * *

موضع العجب (*)

لا تعـــجبنّ لعـــيب ... واعـجب لفـضل ونبل
نقص الطبـــائع أصلٌ ... والفـضل ليس بأصل

* * *

أغلب الظن (*)

أنا شيءٌ فكيف أصـــبح « لاشئ » إذا تم للحـــيـــاة مـــداها ؟
أغلب الظن أننى ســـوف أرقى ... غـــايةً بعـــدها تفـــوق ذراها !

(*) رجاء كاليأس : بعد الأعاصير .
(*) الحب إعطاء : بعد الأعاصير .
(*) موضع العجب : بعد الأعاصير .
(*) أغلب الظن : بعد الأعاصير

موت الحى(*)

أعجب من حياة الميت

فيم عشنا وغاية العيش موت ؟ فيم مستنا ، وغاية الموت بُقيا ؟
أعجب الحالتين عندىَ حىٌّ سوف يفنى ، لا ميتٌ سوف يحيا

* * *

زمان الذرّة(*)

دعوا الذرّة تطغى فى زمان يعبد الذرّهْ
صغيزٌ كل مافى الأر ض من جاه ومن شُهرهْ
ومن خير ومن شر ومن رأى ومن فِكرهْ
فلو قيساً بلا جسم لما ضاقت بهم إبرهْ

* * *

هذا وهذا وهذا(*)

قلت لعمرو : خاننى خالد ! وخاننى عمرو ، فماذا أقول . . ؟
أبلغتها زيدًا فما زادنى عن صاحبيه ، فاختوانى الذهول
ناجيتهم سرًا ، وبى خيفةً من أناجيه ، ففيه فضول !
ثق من خيانات بنى آدم إذن وقل أنتم ثقات عدول
لاتشكُّ هذا ، عند هذا ، ففى هذا ، وهذا ، عنصر لا يحول
كلُّ بنى الدنيا - ومن بينهم أنت - فروع جمّعتها الأصول

* * *

ميثاق الأمم(*)

أجيبوا صيحة الدنيا وهبُّوا ولبُّووا داعى الميثاق ، لبوا
توافقت الشعوب على رجاء فلا ينكلْ عن الميدان شعبُ

(*) موت الحى أعجب من حياة الميت : بعد الأعاصير .
(*) زمان الذرة : بعد الأعاصير .
(*) هذا وهذا وهذا : بعد الأعاصير .
(*) ميثاق الأمم : بعد الأعاصير .

ولاتصغوا إلى من قال «دعوى ... يروّج أمرها باغ وخبُّ»
هبوهم خادعين ، فهل رأيتم ... مخادعةً بشيء لا يُحَب ؟
إذا الأقوام جدَّ بها هواها ... إلى حق فما فى الحق صعب
ولو لم تصبُ دنياكم لسلم ... لما خُدعتْ به من حيث تصبو

* * *

تهنئة بمولد(*)

مهنئى أنت يا صديقي ... بمولدى - طبتَ من صديق
أنسيتنى أنه غروب ... ساعةَ هنَّأتَ بالشروق
تسع وخمسون فى طريق ... لم أدر ما وجهة الطريق
أسائلُ الركب أين يمضى ؟ ... وكلهم ها هنا رفيقى
لا أنا أدرى ولا رفاقى ؟ ... يدرون بالموعد الوثيق
ركبٌ عجيبٌ بلا دليلٍ ... من محدَث فيه أو عتيق
إذا مضى منهم فريقٌ ... ألى المطايا إلى فريق
وكلهم يبتغى مسيرا ... فى مَشرعٍ سار أو مضيق
يطيق طول السّفار عدوًا ... وليس للمُهل بالمطيق
إخالنا كلنا وقوفا ... هنا على موقف عميق
فى أبدٍ لا زمان فيه ... مقترن السبق باللحوق
أقرب من يومنا وأوفى ... من طارق الليل فى الطروق
يكاد لولا الحجاب يبدو ... كالظل من ستره الرقيق
أتُعْصَب العينُ حول سر ... والسر فى موضع سحيق ؟

* * *

حشرات(*)

ما وجدنا من البرية إلا ... خُلقًا زائفًا وجهلا مبينا
حشراتٌ لا تعرف الخير والشـ ... ـرَّ وفيها الهلاك للعارفينا

* * *

(*) تهنئة بمولد : بعد الأعاصير .
(*) حشرات : الجزء الأول .

ألم اللذة ولذة الألم(*)

إذا صاحت الأطماع فاصبر فإنها ... تنام إذا طال الصياح على النَّهَمْ
وقهر الفتى آلامَهُ فيه لذةٌ ... وفى طاعة اللذات شىءٌ من الألم

* * *

الحياة حياة(*)

قالوا الحياة قشور ... قلنا : فأين الصميم
قالوا «شقاءٌ» فقلنا ... نعم ! فأين النعيم ؟
إن الحياة حياة ... ففارقوا أو أقيموا

* * *

المجد والفاقة(*)

ضلَّ الصوابُ وغُمَّ الأمر واشتبهت ... على المراقب يمناه بيسراه
شيبٌ عُراةٌ وأطفالٌ مجوَّعةٌ ... ونسوةٌ نسيت ما ليس تنساه
ليس البلاء بلاء القوت نندبه ... بل البلاء بلاء الخُلق نتعساه
ما أبخس الروحَ فى مصر وأرخصها ... وأنفس الخبز فى مصر وزغلاه
لا تحسبوا أمة يعلو أعاظمها ... إذا الفقير طلابُ القوت أعياه
أيرزح القوت فى أرض بطالبه ... ويبلغ المجدَ فيها من توخاه ؟
هبكم قسوتم على من ذَنبُه كسلٌ ... عن غمرة العيش يثنيه وينهاه
ما بالُ مَن ذنبه ياقوم أنكم ... فى العجز لا فى اقتسام الرزق أشباه
دفنتم المال أكواما فهل نبتت ... فى باطن الأرض أو زادت خبایاه
إن العزيز ليأبى الذل يلمحه ... كالإثم يأبى العفيفُ الذيل رؤياه
والهفَ نفسى على قوم إذا نظروا ... ذل الفقير سعوا فى كشف بلواه
وألف لهفٍ على قوم إذا شغفوا ... بالمال يدرون فى الدنيا مزاياه

* * *

(*) ألم اللذة ولذة الألم : الجزء الأول .
(*) الحياة حياة : الجزء الأول .
(*) المجد والفاقة : الجزء الأول .

الوجوه الكاذبة (*)

سحقاً لهاتيك الوجوه فإنها ... كذّابةٌ لا تحسن التمويها
حسنتْ ولو نقلت صفات نفوسها ... لرأيت أقبح ما رأيت وجوها

* * *

إلى السعادة (*)

مهْ ياسعادة عنى ... فمما أنا من رجالكْ
لا تطمعى اليوم منى ... بالسعى خلف خيالك
فقد سألتك حتى ... مللت طول سؤالك
وقد جهلتك لمّا ... سحرتنى بجمالك
إن الحبيب بغيضٌ ... إذا استعزّ بخالك (١)
فلا تُمرّى ببالى ... ولا أمرّ ببالك
أشقى الأنام أسيرٌ ... معلقٌ بحبالك

* * *

اللؤم سلاح (*)

يسر صديقى أن يرانى مُبرّءاً ... من اللؤم موسوما بكل سماح
كما سرّ خصما أن يراك أمامه ... تنازله حربًا بغير سلاح
هو اللؤم سيفٌ للّئيم وجُنةٌ ... من الناس ، والدنيا مجال كفاح
فواهًا لنفسى فى المجال مجرّدًا ... أضعت مِجنى (٢) بينهم ورماحى

* * *

العقل والجنون (*)

ليس بين الجنون والعقل إلا ... خطوتًا سائر فحاذرْ وأمسكْ
أول الخطوتين نسيانك النا ... سَ ، وأما الأخرى فنسيان نفسك

* * *

(*) الوجوه الكاذبة : الجزء الأول . (*) إلى السعادة : الجزء الأول .
(١) الخال : الكبرياء والخيلاء ، أى أن أحب الأحباء تمجه النفوس إذا أفرط فى الخيلاء .
(*) اللؤم سلاح : الجزء الأول . (٢) المجن : الترس . (*) العقل والجنون : الجزء الأول .

الرجاء (*)

ما للرجاء كأنه نَغمٌ ... يدنو فأسمعه فيبتعد
يا ضاحكا للناس يخدعهم ... هلاً وفيت لهم بما تعد
لو نال منك الناس أجمعهم ... فوق المرام لأمكن المدد
لكنْ بخلت فما يزال لهم ... شوقٌ إلى شوق وإن جهدوا
وردوا إليك فكان أظمأهم ... قلباً على شطيك مَن وردوا

* * *

حظ الشعراء (*)

ملوكٌ ، فأما حالهم فعبيد ... وطيرٌ ، ولكنّ الجدود قعودُ
أقاموا على متن السحاب فأرضهم ... بعيد ، وأقطار السماء بعيد !
مجانينُ تاهوا في الخيال فودعوا ... رواحة[1] هذا العيش وهو رغيد
وما ساء حظ الحالمين لو أنهم ... تدوم لهم أحلامهم وتجود
فوارحمتا للظالمين نفوسَهم ... وما أنصفتهم صحبة وجدود
ويذرون من مس العذاب دموعهم ... فيُنظم منها جوهر وعقود
بني الأرض كم من شاعر في دياركم ... غبين ، وغبن الشاعرين شديد
بني الأرض أولى بالحياة جميلةٌ ... محبٌّ عليها من حلاه نضود
محبٌّ تناجيه بأسرار قلبها ... ومهما تردْ في العيش فهو يريد
على أنه قد يبلغ السؤالَ خاطب ... خلىٌّ ويُزوى عن هواه عميد
بني الأرض لاتنضوا له السيف إنه ... يُذاد عن الدنيا وليس يذود
أريدَ به للناس خيرٌ فلم يزل ... به عَمهٌ عن نفسه وشرود
تجمّعت الأضداد فيه فحكمة ... وحمق ، وقلب ذائبٌ وجمود

(*) الرجاء : الجزء الأول .
(*) حظ الشعراء : الجزء الأول .
(١) رواحة : رفاهة .

حُـمـاداه[1] صـبـرٌ فى الحـيـاة وإنما ... هى النار تخـبـو سـاعـة وتعـود
مـقـيم على عـرش الطبيعة حاضـر ... ولكنه بين الأنام فـقـيـد
إذا جـال بالعـينين فـالكون بيـتـه ... فـإن مـدّ بالكفين فـهـو طريد
وأقـصى مناه فى الحـيـاة نهـاره ... وأدنى مناه فى المـمـات خلود
يرى الغيب عن بعد - فمقبل عهده ... قـديم ، ومـاضـيـه القـديم جـديد
إذا عـاش فى بأسـائه فـهـو ميت ... وإن مـات عـاش الدهر وهو شـهـيـد
شـقـاوته فى الشـعـر وهو هناؤه ... وليس له عن حـالتـيـه مـحـيـد
جنونٌ أحق الناس طرًّا بهـجـره ... أولو الفـهـم - لو أن الفـهـوم تفـيـد

* * *

عـــزاء (*)

لا الـيـــأس أول يـأس ... ولا الرجـاء بـسـرمـدْ
فـإن تقـضّى رجـاءٌ ... فـإنه يتـجـدّد
أو حلّ يـأسٌ فـأهـلاً ... إن الـطـريـق ممـهـد
شقّ الطريقُ قـديمًا ... فـالعـود أهدى وأحـمـد

* * *

إنصاف الظالم (*)

أنصـفتَ مظلومـا فـأنصف ظالمًا ... فى ذلة المظلوم عـذر الظالم
من يرضَ عـدوانًا عليـه يَضـيـره ... شـرٌّ من العـادى عليـه الغـانم

* * *

(١) حماداه : قصاراه أو خير ما يستطيعه .

(*) عزاء : وحى الأربعين . (*) إنصاف الظالم : وحى الأربعين .

أحـــلام الموتى (*)

(أرسلت الأبيات الآتية إلى صديقنا الشاعر العبقرى عبد الرحمن شكرى) : -

ستـغـرب شـمس هذا العـمـر يومًا ... ويغـــمض ناظرى ليـل الحـــمـــام
فـهل يـسـرى إلى قـبـرى خـيـال ... من الـدنيـــا بأنـبـــاء الأنام
ويُمـسـى طيف من أهوى سـمـيـرى ... ويؤنس وحـشـتى ترجـيع هام
وأحـلـم بـالـزواهـر دائـرات ... وبـالزهر المنوّر والـغـــمـــام
ألا ليـت النـيـــام هـنـاك تحظى ... بأحـــلام كـــأحـــلام النيـــام
وليت الورد يورق فـــوق رمـــسى ... فـتـعـبق فى نوافـحـه عظامى
وأبـسـم فـى أزاهره لِـدُنـيـــا ... عـبـسـت لوجـهـهـا فـوق الرغـام

فأجابنى بأبيات يقول منها :

وكـــان النـصف أن نرضى بموت ... فـــلا طيف يســـاعـــد باللمـــام
أليس الكون أكـبـر منك شـأنًا ... وأولى بـالمـقـــــادر والنـظـام

فراجعته بالأبيات الآتية :

أبيتَ علىَّ أحـــلام الرجـــام ... تنيـــر حـــواشىَ الموت الزؤام
رضـينا بالحـمـام أصمّ يحـشـو ... منافـذَ حِسُّـه سـافى الرغـام
رضـينا بالحـمـام كـمـا رضـينا ... بعـــيش نوره ظل الحـــمـــام
خلعت اسمى على الدنيا ورسمي ... فـمـاأبكى رحـيلى أو مـقـامى
حـيـاتى فى حـيـــاة الكون طرًّا ... كـقطر الغـيث فى اللجج الطوامى
ومـا شـمس الحـيـاة بمسـتـحيل ... سناها إن قـضـيـتُ إلى ظلام
يظل الحـسن فى المعـشـوق حسنًا ... وإن حـسـرت لحـاظ المسـتـهـام

***

(*) أحلام الموتى : الجزء الأول .

ضيق الأمل (*)

شرٌّ مـايلقى الفـتى أجلٌ ضـــيقٌ عن واسع الأمل
ولشـــرٌّ منهـــمـــا أمل ضيق فى فـسحـة الأجل

* * *

الشىء من غير معدنه (*)

ليس أضنى لفـــؤادى من عـجـوز تتـصـابى
ودمـــيم يتـــحـــالى وعليم يتـــغـــابى
وجـــهـــول يملأ الأر ض ســـؤالا وجـــوابا

* * *

خفـ العيش (*)

خفْ العـــيش فـــإن المو ت لا يفـــجع مـــولودا
وإن المـــوت إذ يـــأتـــيـــ ـك لا يلفـــيك مـــوجـــودا !

* * *

السعادة (*)

إن الشـقىّ الذى لا صِنْوَ يشبـهـه وللأصـاغـر أشـبـاهٌ وأمـثـال
من شـابه الناسَ سـرّته مـودتهم ومن عـلا عنهمُ سـاءت به الحـال
فـاهنأ بمجـدك إذ تشـقى بعـزلتـه وليـحظ بالصـفـو أوغـادٌ وجـهـال
إن السـعـادة تحت الأرض مـعـدنهـا لا يطلب السـعـد من آوته أجـيـال

(*) ضيق الأمل : الجزء الأول .
(*) خفـ العيش : الجزء الأول .
(*) الشىء من غير معدنه : الجزء الأول .
(*) السعادة : الجزء الأول .

زماننـــا(*)

فشت الجهالة واستفاض المنكر ... فالحق يهمس ، والضلالة تجهر
والصدق يسرى فى الظلام ملثّمًا ... ويسير فى الصبح الرياء فيسفر
إنا لفى زمن كأنّ كباره ... بسوى الكبائر شأنها لا يكبر
من كل ذى وجه لو آن صَفاته ... تَندى لكان من الفضيحة يقطر
بئس الزمان لقدٍ حسبت هواءَه ... دنسًا وأن بحاره لا تطهر
وكأن كل الطيبات يردها ... فيه إلى شر الأمور مدبّر
وثب اللئام إلى ذراه فقهقهوا ... إن القرود لبالتسلق أخبر
مانيلَ فيه مطلب إلا له ... ثمن من العرض الوفير مقدر
وبقدر مابذل امرؤ من قدره ... يُجزى ، فأكبر من تراه الأصغر

* * *

صلاح المشيب(*)

أبعدَ الشيب ترغب فى الصلاح ... وتزهد فى المدامة والملاح
فرغتَ من الحياة فأنت ترجو ... حياةً فى الفراديس الفساح
رجعت عن الحرام وأنت عندى ... عجزت عن المحرّم والمباح
فما تقوى الشيوخ سوى اضطرار ... كتقوى اللص بات بلا سلاح

* * *

(*) زماننا : الجزء الأول . ١١١ (١٠٦ فقرة ٣٦) .
(١) الصفاة هى الصخرة . كأن هذه الوجوه من الصخر الذى لا يندى .
(*) صلاح المشيب : الجزء الأول .

عمر يوم(*)

من الناس فدم يومه مثل أمسه ... فأيامُه ما عاش يومٌ مكرّر
تسربل حينًا بالحياة فشانها ... كما يلبس الخزَّ الأجيرُ المسخر

* * *

الملام(*)

أنا لا ألوم ولا ألام ... حسبي من الناس السلام
ليس العتاب بمصلح ... خللا توارثه الأنام
أنا إن غنيت من الأنا ... م فقد غنيت عن الملام
وإذا افتقرت إليهمُ ... فاللوم من لغو الكلام

* * *

الفضل المغموط(*)

إذا كنت ذا فضل فلا تكُ غابطًا ... جهولاً بلا فضل لديه يُعظَّم
لعلك لا ترضى ، وقدرك حاملٌ ... بأنك تغدو مثله وهو مكرَم
وأجملُ ألا يعرف الناس فاضلا ... ويعرفهم ، من أن يوق ويعلموا

* * *

قانون العظماء(*)

لاتلحَ ذا بأس وذا همة ... على ذنوب العصبة الغلّب
فليس مقياسك مقياسهمْ ... ولاهمُ مثلك فى المأرب

(*) عمر يوم : الجزء الأول .
(*) الملام : الجزء الأول . ١٢٠ (١١٧ - فقرة ١٠٦) .
(*) الفضل المغموط : الجزء الأول .
(*) قانون العظماء : الجزء الأول .

والليث لا توثق أعضاده ... حبالة تنصب للثعلب
انظر إلى ما خلّفوا بعدهم ... من المعالى ثم لُمْ واعتب
لم يَخط إن داس رؤس الورى ... من علقت كفاه بالكوكب
من ركب الهائل من أمره ... فعذره فى ذلك المركب

* * *

مدح الناس (*)

ما عهدنا الأنام أجودَ بالمد ... ح لأعلاهُم لديهم مكانا
إنما يُظهرُ الأنام ضئيلا ... ليس يخفيهمُ إذا هو بانا

* * *

حب النفس (*)

ما فى الأنام سوى محب وامق ... سكن الغرام بكل قلب خافق
فى كل قلب صورةٌ معبودة ... وكمينُ وجد بالجوانح عالق
لا القبح ينقصه وليس بزائد ... حسن الشمائل فى هواه الصادق
عشق تملّك كل نفس حية ... فى الكون والمعشوق عين العاشق

* * *

كنت قصرت (*)

كأس الحياة أعلّينى على ظمأ ... وبللى بالحُميّا طين صلصالى
وأسكرينىَ حتى لا يكون ردى ... إلا كما غاب حس بعد جريال[1]
وفتشى فى زوايا القلب فاقتدحى ... ظنًا بظن وبلبالا ببلبال
إنى حسبت حياتى غير واحدة ... من التغير من حال إلى حال
....

* * *

(*) مدح الناس : الجزء الأول . (*) حب النفس : الجزء الأول .
(١) جريال : خمر ، والمقصود أن خبر الموت ما كان من فرط الشبع بالحياة كالغيبوبة بعد الارتواء من الخمر .
(*) كنت قصرت : الجزء الأول ١٢٢ (١١٨ (فقرة ١١٠)) .

إن الحياة حياة كيفما اختلفت ... ألوانها من مسرات وأوجال
كم ذا أهبت بروحى أن تفارقنى ... ورحت أجفل منها أى إجفال
فالآن أنشد آلامى وأحمدها ... كيما أحس بروحى بين أوصالى

* * *

الغنى والسعادة (*)

لا تحسدنَّ غنيًّا فى تنعُّمه ... قد يكثر المال مقرونًا به الكدر
تصفو العيون إذا قلت مواردها ... والماء عند ازدياد النيل يعتكر

* * *

ياكتبى (*)

ياكتبى أشكو ولا أغضب ... ما أنت من يسمع أو يُعتب
يا كتبى أورثتنى حسرة ... هيهات لا تنسى ولا تذهب
يا كتبى ألبست جلدى الضنى ... لم يغن عنى جلدك المذهَّب
كم ليلة سوداء قضيتها ... سهران حتى أدبر الكوكب
كأننى ألمح تحت الدجى ... جماجم الموتى بدت تخطب
والناس إمَّا غارق فى الكرى ... أو غارق فى كأسه يشرب
أو عاشق وافاه معشوقه ... فنال من دنياه ما يرغب
أو سادر يحلم فى ليله ... بيومه الماضى وما يعقب
ينتفع المرء بما يقتنى ... وأنت لا جدوى ولا مأرب
إلا الأحاديث وإلا المنى ... وخبرة صاحبها متعب
إذا أرانى النور قبحًا فيا ... حُسن الذى يضمره الغيهب
ياكتبى أين ترى المُنتأى ... عن أسر أرواحك والمهرب
أنقت منى ما يضن الورى ... به على الله ولم يذنبوا

(*) الغنى والسعادة : الجزء الأول .
(*) ياكتبى : الجزء الأول .

من ضوء عينيّ ومن صحتى ... سدًى ومن وقتى وما أكسب
ومن شباب فيكِ ضيعته ... فما أنا إلا الفتى الأشيب
لو كنت كالجبار فى نقمتى ... لكان فى النار لها معطب
فى ذمة الطرس وفى حفظه ... عمر تقضّى شطره الأطيب
لا رحم الرحمن فيمن مضى ... من علّم العالم أن يكتبوا

* * *

الشيب الباكر (*)

ما أقبل الليل حتى طرتَ بالقمَم ... ياصبحُ جرت على الظلماء فى القِسَم
وما انقضى شفق الأيام عن عمُرى ... فكيف لحت بفجر منك متّهم ؟
لو كنت تحسب أيامى لما خطرت ... يداك ياشيبُ فى مسودّة اللّمم[1]
دون الثلاثين تعرونى ؟ وما انصرمت ... إلا كما تنقضى الأعوام فى الحلَم ؟
مرت بقادمتىْ نسر موليّةً ... وكنتُ أعهد فيها ثقلة الرخم
وما اعتدادك بالأيام تحسبها ... وإنما أنت خدن الويل والألم
إذا ألمّا بإنسان.صحبتهما ... فانزل فقد نزلا فى أعظمى ودمى
ما أنت طارق دار لا رفيق بها ... ولستَ مُهرِم قلب ليس بالهرم
قد شبتُ والشعر مسودٌّ فما عجبى ... من واضح الشيب بعد الشيب فى القتَم
ما كان مسودّ شعرى وهو مشتمل ... عليك إلا كجلباب من الكتم[2]
قل لابن تسعين لا تحزن فذا رجل ... دون الثلاثين قد ساواك فى الهرم
إذا ادّكرتَ شبابًا فى النعيم مضى ... لم يذكر من شباب كان أو نِعم
وما انتفاعى وقد شاب الفؤاد سدى ، ... إن لم تشب أبدًا كفى ولا قدمى
وليس ما يخدع الفتيان يخدعنى ... كلاّ ولا شيم الفتيان من شيمى
ياشيب ضاقت بك الدنيا بأجمعها ... فانزل بلا ضائق بالشيب أو برِم[3]
من لا يبالى أفجر أنت تنذره ... بالصبح أم أنت ضوء النجم فى الظلم
يامرحبًا بصباح ليس يسلبنى ... صفوًا ، وبُعْدًا لليلٍ فيه لم أنم

(*) الشيب الباكر : الجزء الثانى .
(١) اللمم : جمع لمة وهى الشعر .
(٢) الكتم : صبغ للشعر والمعنى أن الشعر الأسود الذى ينطوى على قلب أشيب إنما هو كالشيب المصبوغ .
(٣) برم : متضجر .

إيه يادهر (*)

إيه يادهر هات مـــاشـــئتَ وانظر ... عـــزمـــات الرجـــال كـــيف تكون
مـــا تعـــــــفتَ فى بلائك إلا ... هان بالصـــبـــر منه مـــالا يهـــون

* * *

الخداع القاتل (*)

إلامَ تخدعنى عينى وما انخدعت ... نفـــسى ولكنهـا تهـفـو مع البـصـر
جـــربت كل خليل فى مـــودته ... فـما جـمـعت يدى إلا على صَفـر(١)
أكلمـا ضـاء لى نجم فـأتبـعـه ، ... خـبـا الضيـاءُ فلم أبصر سـوى كـدر
أكلمـا قلت هذا جـوهر ، نَطقتْ ... عليـه دونَ بنانى حـسـةُ الحـجـر
أكلمـا لاح لى صـيـدٌ فـأحـسـبـه ... صيد الأسود ، إذا الجرذان فى الأثر
أكلمـا قلت هذا كـوثر خَـضِـرٌ ... تجمع الصابُ لى فى الكوثر الخضر(٢)
ويلاه ! مـا أحـقـر الدنيـا وأبغـضـهـا ... لم ينجُ أحسن مـا فـيـهـا من القـذر
عَزَّ الكمـال على خَلْق الخيـال فـمـا ... طمـاعـةُ المرء أن يلقـاه فى البـشـر

* * *

الهـــداية (*)

كم فى الســـمـــاء نجـــوم ... ضلت ســـواء الســـبـــيل
وأنت فى الأرض تبـــغى ... هدْيًا بغـــيـــــر دليل ؟

* * *

(*) إيه يا دهر : الجزء الثانى .
(*) الخداع القاتل : الجزء الثانى .
(١) صفر : خلو . (٢) الخضر : البارد .
(*) الهداية : وحى الأربعين .

سحر الدنيا(*)

سـحـر دنيـاك يـاأخيَّ قـديم ... سـوف يبـقى ، ويذهب الكهـان
أفـيـمـضى بسـحـرها كـاهنٌ مـا ... ت وفـيـهـا الشـمـوس والأغـصـان ؟
أفـيـمـضى بسـحـرها كـاهن مـا ... ت وفـيـهـا الثـغـور والأجـفـان ؟
أفـيـمـضى بسـحـرها كـاهن مـا ... ت وفـيـهـا الألـحـان والألوان ؟
كـاهن الأولين أول مـسـحـو ... ر ، وفى كل حـقـبـة ترجـمـان
سـحـر دنيـاك دائم حـيـثـمـا دا ... م عليـهـا الإنشـاد والتـبـيـان
سـحـر دنيـاك دائم حـيـثـمـا دا ... مت عليـهـا الحـيـاة والإنسـان

* * *

فلسفة حياة(*)

الغـرام المِلْك ، والملكُ الضـيـاعْ ... هات لى الحـسـن الذى ليس يضـيعْ
ليلة قـمـراء ، أو سـحـرَ سـمـاع ... أو قـصـيـدًا راق ، أو زهر ربيع
قـال قـومٌ زينةُ الدنيـا خـداع ... قلت خـيـرٌ ! بالذى نشـرى نبـيع

* * *

زاهد الهند نعى الدنيـا وصـامْ ... أنا أنعـاها ولكن لا أصـوم !
طامع الغـرب رعى الدنيـا وهام ... أنا أرعـاها ، ولكن لا أهيم
بين هذين لنا حـدٌّ قـوام ... ولْيَلُمْ من كل حـزبٍ من يلوم

* * *

أيها السائل : ما بعد الممات ؟ ... يمم الصـحـراء وانظر قـفـرها
ماوراء القبـر فى قـول الشـقـاةْ ... حـالـة تحـمـد يومـا سـرها
لستَ بالراضى حـيـاةً كـالحـيـاة ... لا ولا ترضى حـيـاةً غـيـرها

* * *

(*) سحر الدنيا : وحى الأربعين .

(*) فلسفة حياة : وحى الأربعين .

يعبد الأقوام مايخشونه ... وأنا أعبد ما لست أخاف
ليس ينسى الله من ينسونه ... فعلام البحث فيه والخلاف
إن وصلتم أو وقفتم دونه ... لم يقف دون مقام أو مطاف

* * *

شرعُك الحسن فما لايحسن ... فهو لا يحلو ، وإن حلّ الحرام
ليس فى الحق أثامٌ بيّنٌ ... غير مسخ الحسن أو نقص التمام
ماعدا هذين مما يمكن ... فاستبحه ، على الدنيا السلامْ

* * *

إنذار الغضب

إلى الحق المحتجب(*)

ياحقُّ لا تبرح خباءَكْ ... أتعبتنا سعيًا وراءك
فيم الإباء ؟ ولم نكن ... يا حق إلا أصدقاءَ ك
فالزم مكانك فى الثرى ... إن شئت ، أو فالزم سماءك
ما الروضة الغناء ذا ... بلةٌ إذا حُرمتْ ضياءك
والناس لا يجفوننا ... يومًا ، إذا علموا جفاءك
والحسن عند المبطلـ ... ـين ، وعند من يهوى عداءك
ما فاز من يرجو رجا ... لك فى الحياة ولا نساءك
أنا إن سلوتك لم أكدْ ... أشتاق ما يغنى غناءك
ياحق هذا حدُّنا ... فاختر ظهورك أو خفاءك
إن جئتنا طوعا فجئْ ... أوْ لا فلا تبرح خباءك ! .

* * *

(*) إنذار الغضب : وحى الأربعين .

كل ما فيها امرأة (*)

أيّمـــا لفظة جـــرتْ من فم المرأة امـــــرأة
تبـتـغى الزوج من فـئـةْ والأخـــلاّء من فـــئـــةْ
ليس بالجـــسم وحـــده يعـرف «الجنس» منشـــأه

***

المعروف والمنكر (*)

كل مـاتصنع الحـيـاة يُرجّى من بنيـهـا قـبـوله واعـتـقـاده
فـإذا أنكروا قـبـيحًا ففى القـبـ ـح من الموت لونه أو شـعـاره
ذاك لب اللباب فى كل شىء ، شـطٌ بالفكر أو تدانى مـــزاره

***

حكمة التوائم (*)

حـكـيـمٌ ذلـك الـتـــوأمْ ومـن أبـائـه أحـــــزمْ
تهـيّـب أرضـــهم فـــردًا فـجـاء بصـاحب مُلزم !
ولو جـاء بجـيش كـا ن فى تـدبيـــره أحكم !

* * *

(*) كل مافيها امرأة : «الجنس» عابر سبيل ص ١٠٨ .
(*) المعروف والمنكر : وحى الأربعين .
(*) حكمة التوائم : وحى الأربعين .

على بحر الحياة (*)

أمن نظرة الآباد والمثل الأعلى ... إلى اليوم بعد اليوم والنظرة العجلى ؟
لقد كانت الأجيال عندى قريبةً ... فقد عادت الساعات توسعنى ثقلا
نظرتُ إلى عُليا الحياة أرودها ... فألفيتها صفرًا ، ولم أحمد السفلى
فأليت أقضيها كمن راح طافيًا ... على اليمِّ ، لم يضرب يدًا فيه أو رجلا
فإن شئتَ قُلْ هذا غريق وإن تشأ ... فقل سابحٌ لم يدر أقبل ولّى

* * *

نقمة فى نعمة (*)

نعمة الإحساس ما برحت ... نعمةً فى طيها نقمُ
لا يحس الفقدَ فاقدها ... ونصيب الواجد الألمُ

* * *

رعونة الحياة (*)

فيم اقتحام جنين واهن عُطُل ... أرضًا أبوه بها حيرانُ مهموم
هى الرعونة فى طبع الحياة ثوتْ ... وإنما حكمة الأقوام تعليمُ

* * *

(*) على بحر الحياة : وحى الأربعين .
(*) نقمة فى نعمة : وحى الأربعين
(*) رعونة الحياة : وحى الأربعين .

بنية قوية (*)

تعاقب السوس والجراد وما ... باد ربيع ولا انطوى شجر
فلا تخف آفة ولا غيَرا ... يُمنى بها فى الضمائر البشر
دنياك هذى قوية صمدت ... لكل شر جرى به القدَر

* * *

ما فوق الحياة (*)

ياطالبًا فوق الحياة مدًى له ... يعلو عليها - هل بلغتَ مداها ؟
ما فى خيالك صورة تشتاقها ... إلا وحولك لو نظرت تراها
ولو استويت على الخلود وجدتَها ... كفؤًا لعينك لا تروم سواها

* * *

على الشاطئ (*)

وردوا البحر فأهلاً ... بهمُ - يابحر - أهلا
أنت لا تحفل منهم ... مَن ولَى أو من تولَّى

* * *

نزلوا شطَّك غيدًا ... وشبابا ومشيبا
طلبوا فى الماء بردا ... فذكا الماء لهيبا

* * *

(*) بنية قوية : وحى الأربعين .
(*) ما فوق الحياة : وحى الأربعين .
(*) على الشاطئ : وحى الأربعين .

وردوا البحر عطاشا رشفوه . غرفوه !
لو يكون البحر بحرًا من سرور نزفوه

* * *

المساكين يريدو ن من الدنيا اتساعا
اخدعوها ، فهى لاتو سعكم إلا خداعا

* * *

وإذا لاحت بوجه يملأ الأبصار رعبا
فاضحكوا منها وقولوا ما أُحَيْلى ما أحبا !

* * *

وإذا مدت إليكم بيد فيها الحمام
فخذوا الموت وقولوا هو خُلدٌ وسلام !

* * *

نصف رغيف(*)

عجبى للحياة أشرف ما تحو يه وقف على الحقير الطفيف
صفحات السماء والأرض طرا والمعانى من تالد وطريف
والوجوه التى تشوقك حسنا تنطوى إن فقدت نصف رغيف

* * *

ذات وجوه (*)

وجوه حياتنا متعدداتٌ ودع عنك البراقع والطلاء
فإن تحمد وسامتها صباحا فقد تنعى دماتها مَساء

* * *

(*) نصف رغيف : وحى الأربعين .
(*) ذات وجوه : وحى الأربعين .

ضلال الخلود (*)

كان فى الأرض قبل عشرين ألفا ... من سِنى الأرض ، شاعرٌ عبقرىُّ
كان ، لا شك فيه عندى ولا مين ... ، وإن شك جاحدٌ وغبىُّ
نظم الشعر فى الحسان وحيّى ... قبلةَ الشمس وهو داعٍ شجىُّ
ليت لى من قصيده بيت شعر ... فى ثنايا البلاد يرويه حىُّ
ليت لى من قصيده فردَ بيتٍ ... صح أم لم يصح منه الروىّ
اشترى بيته بديوان شعب ... ين ، فأين المساوم الصيرفىّ ؟!
ضلةً للخلود نأسى عليه ، ... أخلد الخالدين فينا دعىُّ !

***

أصداء الشارع (*)

بنو جرجا ينادو ... ن على تفاح أمريكا
وإسرائيل لا يألو ... ك تعريبًا وتتريكا
وبتراكى إلى الجو ... د على الإسلام يدعوكا
وفى كفيه أوراق ... بكسب المال تغريكا
وأقزامٌ من اليابا ... ن بالفصحى تحييكا
وإن لا تكن الفصحى ... فبالإيماء تغنيكا
قريبٌ كلها الدنيا ... كرجع الصوت من فيكا
دعى الداعى فلبوه ... طغاةً وصعاليكا
إذا ناديت يا دنيا ... رُ من ذا لا يلبيكا ؟!
فما فى الناس هاذاك ... ولا فى الأرض هاتيكا

(*) ضلال الخلود : وحى الأربعين .

(*) أصداء الشارع : عابر سبيل .

عصر السرعة (*)

طاروا وداروا مسرعين فى الثرى ... يركب منهم رأسه من ركبا
لولم يكن هذا الزمان آفةً ... ما اتخذوا السرعة منه مهربا

* * *

عسكرى المرور (*)

متحكمٌ فى الراكبين ... وماله أبدًا ركوبَهْ
لهم المثوبةُ من بنا ... نك ، حين تأمر ، والعقوبَهْ
مر ما بدالك فى الطريق ... ورُض على مهل شعوبَهْ
أنا ثائر أبدًا وما ... فى ثورتى أبدًا صعوبه
أنا راكب رجلى فلا ... أمرٌ علىّ ولا ضريبه
وكذاك راكب رأسه ... فى هذه الدنيا العجيبه

* * *

الفنادق (*)

فنادقٌ تشبه الدنيا لقناءً ... وتفرقةً ، وإنْ قصر المُقام
تقول لكل من وفدوا عليها ... بأن العيش نهب واغتنام
فمن تلقاه فى يوم صباحا ... تفارقه إذا جنّ الظلام
ورب عصيةٍ فى الحب باتت ... وأقربُ من بدايتها الختام
تقول لقلبها ما الحب إلا ... أمانٌ حيث يزدحم الزحام
فلا سر هنالك مستباحٌ ... ولا شوق هنالك أو غرام

(*) عصر السرعة : عابر سبيل . (*) عسكرى المرور : عابر سبيل . (*) الفنادق :عابر سبيل .

منازلُ كل ما فيها انسجام ! منازل كل ما فيها انقسام !
وما افترقت شعوب الأرض يوما كما افترقوا ، إذا انصرفوا أو هاموا
ففيهم يافثٌ حينا وشيثٌ وفيهم تارةً حام وسام

* * *

المصرف(*) «البنك»

شبران من ذاك البناء
بيني وبين المال والدنيا العريضة والثراء
ليست بأقصى في الرجاء
من حفرة المدفون في شبرين في جوف العراء
كلا ! ولا أدنى على قرب المزار لمن يشاء
أعرفت آماد السماء ؟!

* * *

في سكَّتي أبدا وما
من سكة أبدا إليه ، ولست ألغز عندما
أصف الطريق أو الحمى
أنظر بعينيك البناء سما وطال وأظلما
واسأل : أهذا مصرفٌ ملأوا جوانبه دما ؟
تجدْ الصواب مجسما

* * *

فيه دم لا شكَّ فيه
في كل طرس أو كتاب أو سجل يحتويه
ودم المقتر والسفيه
يجري هناك وأنت تحسبه من الورق الرفيه
تُغليه كالدم في العروق سرى ، وكالدم نتقيه
وسل المدلس والنزيه !

* * *

(*) المصرف : عابر سبيل .

* * *

سلنى فلم أك طالبـــا
ورقًا هنالك على الرفوف أنال منه جانبا
وأعـــد منه حاســـبا
ألا لأوراق أراها قارئا أو كاتبا
ولما تجيش به الخواطر حاضرا أو غائبا
ودع الحســـود الغاضـــبا

* * *

يارب .. وياخلق ! (*)

يـــارب !

يـارب أعـطـيـنـاك أرواحـنـا ... فى هذه الحـرب وفى الماضـيـةْ
يا ربنا فـــاقض لنا مـــرةً ... بالسلم فى أيامنا البـاقـيـة

ياخلـــق !

ياخلق مـا أرواحكم سـمـحـةٌ ... عندى ، ولا إنْ سمحت كافيه
أعطيـتمُ إبليس أضـعـافـهـا ... من حَـيَـوات عندكم غـاليـه
وبعـتمُ فى سـوقـه كلّ مـا ... وهبـتكم من عـيشة راضـيـه
لم تشـتـروا السلم بأرواحكم ... بل اشـتـريتم نقـمـة ثانيـه
عطاؤكم إبليس سـمحٌ بلا ... أجـر ولا أمنيـة خـافـيـه
ومـا بذلتم قط لى قـربةً ... إلا رجـاء العـفـوِ والعـافـيـه !

* * *

(*) يارب .. يا خلق ! : أعاصير مغرب .

بابل الساعة الثامنة (*)

(فى بعض الأحياء يمنع الشرط نداء الباعة قبل الساعة الثامنة ، فيجتمع الباعة عند مداخل تلك الأحياء صامتين متأهبين ،حتى إذا وافت الساعة المحدودة اندفعوا دفعة واحدة ينادون على السلع ، كلٌّ وما يبيع ، وهى خليط لا تأتلف أصداؤه ولا أشياؤه ، فهى بابل لامراء ! .

قابلٌ بين بابل هذه وبابل الفجر الذى تختلط فيه أصداء الطبيعة مثل هذا الاختلاط ، ولكنها تنسجم في معناها المبشر باستئناف الحياة وعودة النور ، وإن هذه المقابلات جميعًا لحقيقة فى الشعر ببعض الأصغاء) .

كم بابلٍ فى الساعة الثامنهْ ... تثور فى حلتنا الساكنهْ
خفيةَ الأصداء لا تنجلى ... ولم تكن عجماء أو واهنة
شتى فإن أفردتها لم تكد ... تبين منها لفظة بائنة
كأنما تصغى إلى راطن ... يتتعتع الأحرف أوراطنة
فلفظة ينطقها دونها ... عشرون فى حلقومه قاطنة
واسمٌ يليه اسم وماجَمّعتْ ... قرينةٌ بينهما قارنة
إن بعدت عن سامع أو دنت ... لم تدنها أوصافها المائنة
البرتقال الحلو والفحم والا ... طباق والريحانة الفاتنة
والبيض والأثواب والتبغ والأ ... خشاب والزينة والزائنة
وأشربات العصر فى حينها ... مثلوجة إن شئت أو ساخنة
والناى والأرغن تتلوهما ... ربابةٌ كالهرة الداجنة

(*) بابل الساعة الثامنة . عابر سبيل .

ومن يناديها ويدعو بها إليه ، فى زوبعة زابنة[1]
مخلوطة ممزوجة كلها معجونة فى لفظها عاجنة
فى بابل الباعة تلك التى تسمعها لا بابل الحائنة
يحسبها الشرطى حتى إذا حانت لديه الساعة الثامنة
أطلقها فانطلقت فجأة على الحمى كالغارة الكامنة
تجدّ أقصى الجد لكنها فى السمع كالمجنونة الماجنة

* * *

إذا تمادى النوم بى ضحوة أو أرّقتنى خطرة رائنة
أيقظنى من بابلى هذه نفير حربٍ فى القرى الآمنة

* * *

عباد الطغيان (*)

كلكم . كلكم مع الغالب الظا لم لا تعدموا من الظلم رغما
لو وقفتم يوما إلى جانب المغلو ب ما فاز غالبٌ قطُّ ظلما

* * *

اعرف ما ترميه تعرف ما تجنيه (*)

تعلم كيف تستغنى إذا ماشئت أن تغنى
فمن يجهلُ مايُلقى فقد يجهل ما يُجنى

* * *

(١) زابنة : دافعة .
(*) عباد الطغيان : أعاصير مغرب .
(*) اعرف ما ترميه : وحى الأربعين .

فصـــد ! (*)

قـالوا هى الحـرب فـصْـدٌ به الشـــفـــاء يُؤمَّل
قلنا : نعم . فـصـد عـرق حىّ وإِعـــفـــاءُ دُمَّل !

* * *

الخلود المزدرَى (*)

نفـوسٌ أعـاف مـقـامى بهـا أأخلد فـيـهـا ؟ لبـئس الخلود !
وسـجنٌ أعـاف وجـودى به أليس كـفـيـلا ببـغض الوجـود ؟
فـدع عنك يا صـاحـبى خـالد يك . وقل مَن مُـزَكٍّ لهم أو شـهـيـد
فـلا خـيـر فى عـيـشـهم سرمـدا إذا سُـرمـدوا فى ضـمـيـر القـرود
فـرب خلود كـقـيـد السـجـ ـين ونسـيـان قـومٍ كـفكّ القـيـود

* * *

الشـــعر (*)

إنى ألوذ بشـعـرى حين يَطرقنى من الطوارق نُزّالٌ وضـيـفـان
والشعر من نفس الرحمن مقتبس والشـاعـر الفـذّ بين الناس رحـمـان
كـأن من صُـور إِسـرافـيلَ دعـوته لو يسـمعُ الصورَيوم البعث صـفـوان
يظل ينطف من مـاء الحـيـاة ندًى على الجـمـاد فـيـزكـو فـيـه ريَعـام
فـمـا يزال لراويه وقـائله من الخـلائق سُـمّـار وخُلصـان
يجنى المودة مما لا حـيـاة له إذا جـفـاه من الأحـيـاء خـوّان

(*) فصد : أعاصير مغرب .

(*٩ الخلود المزدرى : أعاصير مغرب .

(*) الشعر : من قصيدة الحب الأول (جزء ١) ٣٧ (٢٠ فقرة ٥٤) .

ويحسب النجمَ ألحاظا تساهره ... والودقَ يبكيه دمع منه هتان
إذا تجهم وجهُ الناس ضاحكه ... ثغرُ الورود ومال السرو والبان
أوملّ هاتفةَ الأصوات أسمعه ... للريح والغاب أبواقٌ وعينان
تُفضي له ألسن الدنيا بما علمت ... كأنما هو في الدنيا سليمان
لقد عبدتُ الأقانيم التي جمعت ... ما فرقته أقانيم وصليان
الحب والشعر ديني والحياة معا ... : دين لعمرك لا تنفيه أديان
هي الحياة جنين الحب من قِدم ... لولا التجاذبُ ما ضمّته أكوان
والشعر ألسنةٌ تفضي الحياةَ بها ... إلى الحياة بما يطويه كتمان
لولا القريض لكانت وهي فاتنة ... خرساء ليس لها بالقول تبيان
ما دام في الكون ركنٌ للحياة يُرى ... ففي صحائفه للشعر ديوان

* * *

سر في طريقك (*)

سر في طريقك بين اللائمين ولا ... تحفل بمن جدّ في لوم ومن لعبا
فالناس يرضون عمن ليس يحفلهم ... ويغضبون على من يحفل الغضبا

* * *

الخلاصة (*)

ليست خلاصةُ كل شيء غُنيةً ... عنه ، وإن كانت خلاصة ماهر
فالشهد وهو خلاصة الأزهار لا ... يغني العيون عن الربيع الزاهر

* * *

(*) سر في طريقك : وحي الأربعين .
(*) الخلاصة : وحي الأربعين .

To: www.al-mostafa.com

وصايا معكوسة (*)

من عمل بها فعليه وزرها، ومن لم يعمل بها فأجره على الله

(إذا قال الرجل لرسوله : «اذهب إلى السوق فهات عنبا حامضا ! » فليس معنى ذلك أنه يطلب العنب الحامض وإنما معناه أنه يأباه وينبه إلى اجتنابه ، وكذلك هذه الوصايا إنما هى وصايا أسف وتحذير وليست بوصايا رضا وترغيب .

والقصد منها أن تصف ما يقع أحيانا بين الناس ، وتنكر أن يشيع) :

الضعة والشرف (*)

وال المدنَّس بالعيوب ولا تكن ... يوما وليًّا للنبيل الطاهر

فذُووا المعائب لا تناحر بينهم ... والنبل فيه سبيل كل تناحر

وذوو المعائب آمنون لمن وفى ... والنبل ليس بآمنٍ للغادر

وذوو المعائب مالهم من حاصر ... والنبل محصورٌ قليل الناصر

وذوو المعائب يسترون خلالهم ... والنبل ما لهناته من ساتر

وذوو المعائب عذرهم فى نقصهم ... والنبل ما لكماله من عاذر

وذوو المعائب ينعمون بحظهم ... والنبل ما لشقائه من آخر

ولرب ربح فات من ذى ذمةٍ ... يسعى إليك مع الخؤون الخافر

رأيُ السلامة إن أردت فخذ به ... أو لا فدعه إن استطعت وخاطر

* * *

(*) وصايا معكوسة : وحى الأربعين

(*) الضعة والشرف . وحى الأربعين .

بمن تثق ! ؟ (*)

ثقى بالرذيلة تلقـــهـــا ... فى كل حين حـــاضـــرةْ
إن الفـــضـــيلة قلّمـــا ... تلقـــاك إلا عـــابرة
حـــتى الأفـــاضل عـــرضـــةٌ ... لهـــوى الهنات البـــادرة
مـــــاكـل يـوم يُرتجى ... عطفُ النفـــوس الطاهرة
ومـــن الـــنـــوادر أن تـــرى ... عند التـــعطُّف قـــادرة
مـــن لـــم يـــثر فـــى دهـــره ... دارت عـلـيـــــه الدائرة

* * *

ومن تكون (*)

ومن لا تكون

كن بينهم « بوذا » فـــإن لم تطقْ ... فكن كـــتـــيـــمـــور ونيـــرونا . .
أو عش مـــعـــافىً بينهم لا ترى ... إصـــلاحَـــهم دنيـــا ولا دينا
قـــد ضل من يطلب إصـــلاحـــهم ... لا غـــرو أن ســـمـــوه مـــجنونا !
يأمنهم من فـــاتهم طائعًـــا ... أو ســـاقـــهم كـــرهًا مطيـــعـــينا
أو راح مِنهم طالبًـــا نفـــعـــه ... لا عـــالـيًـــا يأبى ولا دونا
مـــن هـــان أو هـــان الـــورى عـــنـــده ... أو ســـامـــهم فى ظلمـــه ا لهُـــونا
أولـئـك الـرهـط الـذى لـم يـزل ... يأمن مـــا يخـــشى النبـــيـــونا
يابؤس أرض لا ترى فـــوقـــهـــا ... إلا طغـــــاةً أو مـــــرائيـــنا

* * *

(*) بمن تثق : وحى الأربعين .
(*) من تكون : وحى الأربعين .

صور الرجاء (*)

أمسيت أذكر مامضى من صبوتى ... والذكر آمال الزمان الغابر
قد ييأس الإنسان من غده ولا ... تلقاه ييأس من حنين الذاكر
ماشئت من صور الرجاء فلُذْ به ... بعضُ الغد الآتى كأمس الدابر

* * *

قرش معقول (*)

إن أحبوا القرش لم يجدوا ... عجبا فى حبه الخطر
فإذا ما الطفل هام به ... جعلوه طرفة السمر
يامحسبى القرش ويحكمُ ... هل سمعتم أصدق الخبر ؟
هل علمتم فى طرائفكم ... أىّ قرش بالهيام حَرِ ؟
ذاك قرش الطفل نضحك من ... حبه إياه فى الصغر
وهو أولى من قروشكم ... كلها بالحب والسهر
هو « حقّ » عنده جلل ... حاضر الميعاد والأثر
ثمن الحلوى يلذ بها ... وجمال الحسن والنظر
وأفانين الملاعب لم ... تخل من نفع ومن ثمر
وهو وهمٌ فى خزائنكم ... وخيال كاذب الوطر
وسجين ثم مدّخر ... لرجاء غير مدخر
لا تعيبوا الطفل وانتفعوا ... منه بالآيات والعبر
الحياة الحق ناضرة ... فاقطفوا من غصنها النضر

* * *

(*) صور الرجاء : وحى الأربعين .
(*) قرش معقول : عابر سبيل .

جلال الموت (*)

أرى فى جلال الموت إن كان صادقا ... جـــلالة حق لا جـــلالة باطل
فـلا تجـعلنّ الموت حـجـة كـاذب ... لمدحـة مـذمـوم ورفـعـة سـافل

* * *

عصر السرعة (*)

- ١ -

طـــار فـــى الـــذرى ... هام فى الســـهـــول
مـــــرع الخطى ... حـيـثـمـا يجـول
مـــــاله عـــدا ... عـــدوة الوعـــول
مـــــاله سطا ... سطوة السـيـول
فى صـــعـــوده ... يشـــبـــه النزول
تلك ســـرعـــة الحـــا ... ئـــر المـــلـــول
تـلك ســـرعـــة الآ ... ثم الخـــجـــول
أين ســـرعـــة الـ ... ـــسـعى والوصل ؟

* * *

التقـديس (*)

عـــارفُ التـــقـــديس رو ... حيٌّ ، وإن قـدّس جـسـمـا
ومُـهين الجـسـم جـســمـ ... ـيٌّ ، وإن كـان «برّهـمـا»
أنت بالتـقـديس تسـمـو ... لا بما قـدسـتَ تُسـمى

(*) جلال الموت : وحى الأربعين .
(*) عصر السرعة : عابر سبيل .
(*) التقديس : هدية الكروان .

السرور (*)

منع السرورَ حذار قلبيَ قبله ألا يتمّ ، وبعده التنغيصا
ويزيدني كلَفاً به وضنانةً ألا يباح - إذا أُبيح - رخيصا

* * *

حكمة الجهل (*)

ألم أقل لك مهلا فالناس لؤم وشر
لا تولهم منك عطفا فهم من العطف صفر
لو كنت تعلم علمي لما أصابك ضُر

نعم نعم . قلت هذا إني بذاك مُقرّ
وأنتَ عندىَ طفلٌ وأنت عندى غِرٌّ
وما لقولك وزن وما لنصحك شكر
أنفقت عطفك قبلى وذاك ياصاح فقر
كم حكمةٌ هى جهل وغفلة هى فخر

* * *

الحكمة الصادقة

حكمةٌ قد تناقضت ، هذه أصدق الحكم
ليس للعلم من تما م إذا الجهل قيل تم
فاغتنم منه ما بدا وأنتظم منه ما انتظم

(*) السرور : هدية الكروان .
(*) حكمة الجهل : عابر سبيل .

فُرضة البحر(*)

قطبَ السَّفين وقِبلةَ الربان ... ياليت نوركِ نافعٌ وجدانى
يُزجى منارك بالضياء كأنه ... أرِقٌ يقلِّب مُقلتى ولهان
وعلى الخِضَمِّ مطارحٌ من وَمضه ... تسرى مدلّهة بغير عنان
كمطارح الأفكار فى لُجج على ... لجج من الشُّبهات والأشجان
تخفى وتظهر وهى فى ظلمائها ... بابُ النجاة وموئلُ الحيران

* * *

أمسيتِ أحداقُ السفائن شرَّعٌ ... صورٌ إليك من البحار روان
كالبيت يجمع بعد تشتيت النوى ... شملَ الأحبَّة فيه والإخوان
جودىّ(١) كلُّ سفينة لم يبنها ... نوح ولم تمخر على الطوفان
فيها التقى بر وبحرٌ ، واستوى ... شرقٌ وغربٌ ، ليس يستويان
بسطت ذراعيها تودّع راحلاً ... عنها وتحفل بالنزيل الدانى
زُمَر توافت للفراق فقاصد ... وطنًا ، ومغترب عن الأوطان
متجاورى الأجساد مفترقى الهوى ... متباينى اللهجات والألوان
فانظر إلى تلك الوجوه فإنها ... شتى ديار جُمِّعت بمكان
فى فرضةٍ متقاصرٍ عن متنها ... موجٌ أشمُّ أحمّ(٢) ليس بوان
موجٌ يطيفُ بها وقد ران الكرى ... فيها طواف الضيغم الغرثان(٣)
أَلقيت مراسيَها السفائنُ عندها ... وتحصنت منها بدار أمان
فكأن ضوء منارها نار القِرى ... لو كان يُبعث ميّت النيران !

* * *

(*) فرضة البحر : الجزء الأول .

(١) الجودى : هو الجبل الذى قيل إن سفينة نوح رست عليه آخر المطاف – والمعنى أن الفرضة كالجود تنتهى إليها رحلة كل سفينة .

(٢) أحم : أسود .

(٣) الغرثان : الجوعان .

الخريف(*)

حيّ الغمائمَ فى السماء كأنها ... طيرٌ سرت فى مستهل ربيع
بيضاء ترتع فى فضاء شاسع ... صافى السراة[1] على السنا مرفوع
طورًا كتمسيح الذيول وتارةً ... كالرغو بين مُفرّق وجميع
ترفو حواشيَها الرياحُ وتنتحى ... أوساطها بالفتق والترقيع
والدّوح مهدولُ الأرائك ساهم ... كالعاشقين هنيهة التوديع
والماء كالممرور فى وسواسه ... يشجوك منه ترنّمُ المفجوع
والشمس ساهية الشعاع كمقلة ... وطفاة جللها البكى بدموع
ضحكُ الطبيعةِ فى الربيع كأنهُ ... ضحك الغريرة فى عناق خليع
فإذا تبسم فى الخريف جبينها ... أبصرت نظرة ريبة وخشوع
كالغادة الحسناء يغرب حسنها ... أثناء شيب فى الشباب سريع

* * *

أنس الوجود(*)

تماثيلَ مصرٍ أنت صورتها الصغرى ... وطلّسمها الواقى ، وآيتها الكبرى
حياتك أجدى من رجال كأنهم ... تماثيل لاتحى الصناعة والذكرى
رعى الله من أسوان دارًا سحيقة ... وخلّد فى أرجائها ذلك القصرا
أقام مقام الطّود فيها وحوله ... جبال على الشطين شامخة كبرا
بعيدًا عن الأقران ، منقطعًا بها ... فريدًا عن العمران ، مستوحشًا قفرا

(*) الخريف : جزء أول .

(١) السراة : الصفحة .

(*) أنس الوجود : جزء أول ٢٤ (٦ «فقرة ٤٤٢») .

مرصودًا وهل يُعبد الضحى ... بأظهر منها للضحى كيفما ذرا ؟
ر الله حول ربوعها ... نطاقًا وأجلى عن مطالعها سترا
مس أهلوها إذا اشتد قيظها ... وجاش على الصحراء فاتقدت جمرا
، كأفواه البراكين قاذف ... شآبيب ما زحيا وما أقتل القطرا
شت فينا الحياةَ ضرامُها ... فأنفسنا من حرها شعلة حرّى
حيث الدارجون عروشهم ... قيام تناجى فى سكينتها الدهرا
لى تلك الرمال كأنها ... خُطى الزمن الوثاب تاركة إثرا

* * *

. . . . . .

ا إليه النهر ليلا كأننا ... عبرنا من الماضى إلى الضفة الأخرى
حيةٌ فيه الزمان الذى مضى ... فكان له رسما وكان له قبرا
دنا منه شخوصًا كأنها ... مساحيرُ ترجو كاهنا يبطل السحرا
فق ذاك القلب بعد سكونه ... ويُملأ من أهوائه ذلك الصدرا !
ا يشبه الخلقَ صنعها ... تغالوا فقالوا الأنس قد مسخت صخرا
بروا إلا على الله صنعها ... فقالوا براها ، ثم أصمتها قهرا

* * *

السماء (*)

ماء البرزة[1] المحجوبة ... أعجب ما أبصرت من أعجوبة
نجمها المشبوبة ... تهولنا قبّتها المضروبة
ها الهاوية المقلوبة ... كأنها الجمجمة المنخوبة

* * *

(*) جزء أول .
(1) البارزة الحسنة .

وقفة فى الصحراء (*)

هضابُك أم هذى أواذىُّ عيلم[1] ؟ ... وهل فيك من وِرد لغير التوهم !
تخايلت كالدنيا وأقفرتِ مثلها ... فلا تخدعينى ، إننى لست بالظمى
أيا ربة الآل المخلوب وإنما ... إلى الآل[2] ركب الناس جمعاءفاعلمى
خلوتِ فلا آثارُ حىّ ثوابتٌ ... عليك ولا آثار ميْت معظّم
نبا بك عن حال العمار وضده ... شماسٌ ، فلم تبنى . ولم تتهدمى
تشابهت الأيام فيك فلم يكن ... إلى السعد يومٌ أو إلى النحس ينتمى
صحارى من الدهر الفسيح جديبةٌ ... كعهدك لم تعبس ولم تتبسم [3]
لَفيك وإن طال الزمان غواربٌ ... على الناس أخفى من غوارب أنجم
أضاءَت عليها النيرات ولم تزل ... هنالك فى ليل من الغيب أيهمِ
إلى أى ركن فيك يلجأ هارب ... وفى أى ظل من ظلالك يحتمى
تسدين أرجاء السماء بحاصب ... من النار موّار العجاجة مظلم
ثؤرٍ كأفواج الدخان تطلعت ... إلى علوٍّ[4] من قاضى قرار جهنم
إذا ما رآها الوحش ولى كأنها ... من النقع تُجلى عن خميس عرمرم
يلوذ ببطن الأرض والأرض جمرة ... خياشيمه مِ القيظِ يمضضن بالدم
ويذهل حتى يفلت الليثُ صيدَه ... ولا تفرق الغزلان من ناب ضيغم
وماسكنتها الوحش إلا لأنها ... أحب إليها من جوار ابن آدم

* * *

(*) وقفة فى الصحراء : جزء أول .
(١) أواذى عيلم : أمواج بحر . (٢) الآل : السراب .
(٣) الزمان فى الصحراء كالمكان صحراء لامعالم لها .
(٤) علو : أى السماء .

السينما توجراف (*)

بربك ماذا في ستائرك الطُّلس[1] أأشباح جنّ تلك تظهر للأنس ؟
إذا لم تكن جنًّا فمالى عهدتها تفر فرار الجنّ من طلعة الشمس
ستور ولكن يُكشف النور عندها فنونًا من الأسرار تخفى على النفس
كأنى أرى فيها قريحة شاعر مصورة للناس فى عالم الحس
وكالعين إلا أنها تمسك الرؤى وترسلها رسمًا تراه على الطرس
تردُّ تجاليد القبور كواسيًا وتبعث أشخاص الرفات من الرمس
وتحمدها عين الغريب لأنها تنوب بها الرؤيا لديه عن الحدس
تميط عن الطرف الحجاب كما رأى نبيُّ الهدى فى مكة صورة القدس
وكم معجزات للصناعة بيننا يجىء بها رُسل المعارف والدرس

* * *

الشتاء فى أسوان (*)

ألقِ الربيع على البشير كانون آذن بالظهور
أسوان تزهو حين يذ بل كل مخضرّ نضير
فى كل مربأة[1] بها نور تألّق فوق نور
بلد تجود له الطبيـ ـعة بالصغير وبالكبير
لا تستجنُّ شموسه إلا على غير البصير
نسماتهُ برءُ العلي ـل وماؤه عذب نمير
ما طبُّ جالينوس قيـ ـس بطبهِ إلا غرور

(*) «السينما توجراف» : جزء أول .
(١) الأطلس : الأغبر إلى سواد وهو لون الصور على اللوحة قبل التلوين .
(*) الشتاء فى أسوان : جزء أول
(١) مربأة : مكان مرتفع .

أبدًا تحـــــــوط بـهِ ودا ... ثعـهـا بسـور خلف سـور
من كل شـاهقـة كـأنّ ... قـلالهـا عـمـد الدهور
حـصن تهـاب ظروفـه الأ ... فـــات طرًّا والشـــرور

* * *

بولون أقـفـر غـابهـا ... من كل مـختـال فـخـور
سـرحـ صـوادحـهـا وأطلـ ... ـق وُرقـه الأيك الغـضـيـر
يلقطن حـبـات القلو ... ب من الجـوانح والصـدور
الـفـاتنات تكاد إحـ ... ـداهن من حـسـن تنيـر
الناهدات كـمـا ترى الأ ... هرام فى الرسم الصـغـيـر
العـبـهـريات الشـذى ... الكوثريات الشـغـور
الـورد فـى وجـنـاتـهـنّ ... يضـوع فى كل الشـهـور
المرسـلات الشـعـر كـالز ... رياب [1] مـصـغـرًا غـزير
مـتـمـنطقـات بالدمـقـ ... ـس مـؤزّرات بالحـريـر
من كل قـاع جـؤذر[2] ... تلقـاه أو ظبى غـريـر
مـثل الشـمـوس برزن للأ ... كـوان من فـجـر الشـعـور
داراتـهـن مـطـالـع ... لم تدر مـا نور البـدور
فـيـهن مـعـتـرك الغـرا ... م ومـعـرض الحـسن الطرير
الحـور هنّ خلقن للـ ... ـفـردوس لا للزمـهـرير

* * *

الماء فـاض على الجنا ... دل والسـواحل والجـسـور
خلجـانه تنسـاب كـالـ ... ـحيات مـا بين الصخـور
مـتـسـابقـات كـالسـوا ... بق فى مـجـال مـسـتـدير
والنيل مـصطفق كـمن ... قـد هزه فـرط السـرور
مـتـدفّع الأمـواج تر ... قص وفق توقـيع الخـرير
وترى الزوارق كـالبـوا ... شق حـومًـا أو كـالنسـور
قـد حـار فـيـهـا العنصـرا ... ن الريح والماء القـديـر

(١) الزرياب : الذهب أو ماؤه .
(٢) الجؤذر : الظبى الصغير .

والشمس شاخصة تكا ... د تنوءُ من جهد المسير
فضفاضة الأذيال تخـ ... ـطر كالعروس إلى السرير
وكأنها فوق الذرى ... فوق الجزائر والبرور
حسناء ترقب قادمًا ... فى النيل من أعلى القصور
وعلى الروابى والهيا ... كل مسحة الشفق الأخير
تبدو كما نصل[1] الخضا ... ب بعارض الشيخ الوقور
ما كان أول مغرب ... شهدت على مر العصور

* * *

كم آية فى الكون أخـ ... ـفى من خفيات الضمير
من لا يرى إلا العيا ... ن فما يرى إلا يسير

* * *

ليلة الأربعاء (*)

شفّ لطفًا عما وراء السماء ... نور بدر مفضّض اللألاء
رق سجف السماء حتى كأن الـ ... ـعين تتلو هناك سرَّ القضاء
وسرى الطرف فى الفضاء فما يثـ ... ـنيه ثان عن خوض ذاك الفضاء
وربا النور كالعباب فما فى الـ ... ـكون غير الظلال من ظلماء
تلك أولى لوائح الصيف والصيـ ... ـفُ بهيجٌ فى الليلة القمراء
يمّنَ الله سعيه من رسول ... يطرق الأرض وافدًا من ذُكاء[2]
مَولِد الأرض فهى تلبس فيه ... كلَّ عام مطارف الأضواء
أضرم الجوَّ بالمشاعل كالظبا ... فر يعدو فى إثر جند الشتاء
فنهضنا للّهو فى دار ذى القر ... نين بين الصحاب والقرناء
بلد ما تحجّب الجو إلا ... ناب عنه الصفاء فى الدأماء
كلُّ من ينتحى حماه غريبٌ ... عنه حتى ما فيه من غرباء
تكشف الشمس ثَمَّ مايضمر اليمّ ... كعين المنوم النجلاء

(*) ليلة الأربعاء : جزء أول . ٨٠ (٧٥ فقرة ٧٧) .

(١) نصل الخضاب : زال .
(٢) ذكاء : أى الشمس .

فعلى اليمّ للمطيفين سرٌّ كاشفٌ عن سرائر الأنباء

* * *

ليلةَ الأربعاء بالله عودى وأعيدى بالليلة الأربعاء
ليلةٌ أرسل الزمان بها عف ـوًا فجاءت كحكمة البلهاء
قد نسينا الصباح حتى ذكرنا بنور من بدرها الوضاء
فوصلنا مساءها بصباح ووصلنا صباحها بمساء

. . . . . .

خير ما فى الحياة يا قلب ما أذ ـساك ذكر الحياة والأحياء
بيد أن النفوس تصبو إلى الذكـ ـر وإن كان فيه بعض العناء

* * *

. . . . . .

نسج الفجر للنجوم الدرارى برقعًا حيك من شعاع الضياء
وكأنّ النسيم هموم اللـ ـيل والليل مؤذن بانقضاء
همساتٌ العوّاد حول حبيب بات لم يبق منه غير الذماد [1]
وترى البحر لو توسده النا ئم لم ينتبه من الإغفاء
فى سكون كأنه نفس الحا لم أو خفق طائر فى الهواء
وكأن الخرير صوت يناجى الغيـ ـب حتى لهمّ بالإصغاء
فبعثنا الأرواح سربًا كروح الله قدّمًا ترف فوق الماء

* * *

الورد(*)

أراح[2] الورد عازفة النفوس وأشرق نجمه بعد الخنوس
وغرّد هاتف الأطيار لما جلا البستان عن خدر العروس
وأشرقت الرياض على الروابى مكللة المفارق والرؤوس
نديم الكأس طف بالروض تنظر غصون الورد مترعة الكؤس
وفيه ثمالةٌ [3] لم يودعوها من الأفراح كرمَ الخندريس

(١) الذماء : بقية الروح .
(٢) أراح أى رد وعازفة أى بعيدة .
(*) الورد : الجزء الأول .
(٣) ثمالة : فى الكأس أى بقية .

تبسّمَ فى خمائلهُ [1] النشاوى ... فأضحك غرة الزمن العبوس
يُخيِّل ناطقًا لولا حياء ... ثناه عن مناجاة الجليس

. . . . . .

أطل من الرغام كأن روحًا ... تنادى الناس من خلف الرموس

. . . . . .

مجامر للطبيعة أرّجتها ... وخصتها بقربان الشموس
تلبيها إذا نشرت شذاها ... على الأفنان أرواح الأنيس
كما لبى بخوز السحر حور ... من الجنان خافية الحسيس
جنى الفردوس إلا أن فيه ... ذكاء النار والجمر القبيس
يكاد يبث حوليه ضياء ... كما بثته نيران الوطيس [2]

* * *

. . . . . .

لو انا قادرون لما هفونا ... إلى غير المحاسن والطروس
ولولا الدهر بالإنسان يلهو ... ويبلو القلب بالغرض الخسيس
لما ألهاه عن آس وورد ... بحبات من البُرّ [3] الدريس

* * *

حديقة البرتقال (*)

أجبٌ به من منظر سَرِىّ [4] ... ومن نبات طيب ذكىّ
متصل الخضرة فِردَوسى ... نُزّه عن تصوّح [5] وعرىّ
جنّاته تثنى على الوسمى ... بالبرتقال الواضح الروىّ
كالسُّرُج المذكاة بالعشىّ ... تستقبل المقبل إذ تحيى
منها بألف كوكب دُرّىّ ... كالشمس فى جلبابها الفجرى
غصنا على غصن زمرّدىّ ... من بارز وضامر خلفىّ
وساجد فى الأرض كالقسىّ ... مكلل بطلعه محنىّ
كأنه جلاجل الحلىّ ... يأخذ عين المبصر الذكى
أخذ الحلى مقلة الغوىّ ... على نحور البيض والشدىّ

(١) جمع خميلة : وهى الشجر الملتف .
(٢) الوطيس : الفرن .
(٣) البر : القمح .
(*) حديقة البرتقال : جزء أول .
(٤) سرى : فاخر .
(٥) التصوح : الذبول .

أغلى لدى الشاعر والصبى ... من كنز قارون ، وكل شئ
فاعجب لهذا الصائغ الغنىّ ... صائغ هذا الشعر الجنىّ
من نفس حام ومن طمىّ ... وصابغ الطلع بألف زىّ

ومخرج الحى بغير الحى

* * *

منظر (*)

الروض جم العبير ... والليل شفّ الستور
والدر ينشر نورًا ... كأنه نصف نور !
كأنما الكون يبدو ... من خلف ستر وثير
كأنه ظلّ كون ... مغيّب فى الدهور

* * *

قدوم الشتاء (*)

تسير الكواكب سير الحذرْ ... ويرجف فى الجو نور القمرْ
وللشمس مشية مستكرهٍ ... يساق إلى منظر لا يسرّ
ونهر كمرآة مهجورة ... على وجهها من جواها أثر
وللروض زهرٌ به طائح ... تقلّب فى الأرض كالمختضَر
ونادى المنادى بركب الطيو ... ر : هيا فقد حان وقت السفر
فهذا يحوم على وكره ... وهذا يصيح ولمّا يطر
ألا ما لهذا الضحى كاسفًا ... كأن الأصيل عليه انتشر
وما للرياح بأعلى الشجرْ ... تعج كموج خضم زخر
تنام العيون ويعلو لها ... نشيجٌ إذا الليل أغضى ظَهر[1]
تُحطّم أعوادَها العاريا ... ت تحطيمَ ذى جنة منذعر
فياويل من بات فى ليله ... يجاوبها بالبكى والسهر

(*) منظر : جزء أول .
(*) قدوم الشتاء : جزء أول ١٠٦ (١٠١ فقرة ٩٣) .
(١) أى يكاد يظهر إذا اختفى الليل .

النهر النائم(*)

تمهّلْ يا نسيم ولا تكدّر ... نعاس النهر بالهمس الضعيف
وقِرّى يا طيور على الحوافى ... وكفى يا غصون عن الخيف
لعل النهر ينطق وهو غاف ... بسر فيه أو حلم لطيف
ويحكى طيف هاتيك الليالى ... ليالى الوصل فى عهد الخريف

* * *

ياقمر(*)

فضضْ الماء ياقمرْ ... وانقش النور فى الحجرْ
وانظم الغصنَ بالندى ... والثم الزهر فى الشجر
واجعل الكون ضاحكا ... عن سماء من الغُرَر
وأملك الليل مفردًا ... ومع الشمس فى البُكَر

* * *

فى مجاليك راحةٌ ... راحةُ النوم والسهر
فى لياليك بهجةٌ ... بهجة الفكر والنظر
ليس كالليل فى الظلا ... م ولا الصبح فى الكدر
أنت كالطيف والدجى ... ناعس اتلطرف ياقمر

* * *

ساهد الليل لا تجِمْ ... واتل ماشئت من ذِكَر
قد تناسيت ما مضى ... ولنا اليوم ما حضر
من يذق لذة الهوى ... يسل لذاته الأخر

* * *

(*) النهر النائم : جزء أول .
(*) ياقمر : جزء أول .

النرجيـــلة (*)

هات نرجـــيلةً يضـــاحكنى منـ ـهـا خـرير كـجـدول البـسـتـان
ذات أنبـــوبةٍ كـــحـــيـــة حـــوا ءَ بفـيـهـا تفـاحـةُ الحـرمـان !
إنّ بـــين البـضـلـوع نـــارًا أُوار يهـا فـأخـفى زفـيـرها فى الدخـان

* * *

القمـــراء (*)

كلمـا أشـرق فى الليـل القـمَـرْ
وسـهـا الناس ولاذوا بالحُـجَـرْ
خلتُ أرواحـا تداعت للسـمـر
زُمَـرا تهـمس من حـول زمـرْ
إن هذا الحـــسن لا يمضى هدرْ
حـيـثـمـا أسـفـر نور وانتـشـرْ
وحـلا فى خلوة الليل السـهـرْ
فـــهنا لا ريب حِسٌ وبصـــرْ
شـيـمـةُ المـحـور يقـفـو من سـحـر

* * *

(*) النرجلية : جزء أول . (هى المعروفة بالشيشة) .
(*) القمراء : وحى الأربعين .

يوم شتاء (*)

يومُ بيتٍ لا يوم خوضِ الأياجى ... فالجُ ما بين صفحة وسراج
وجمالٍ من النفوسُ يُناجَى ... فى أسارير وجهه ويناجى
مستهلّينَ والطبيعة غضبى ... وكلانا من هولها الصعب ناج
نتحدى الرياح والليل والأهوا ... ل طرًّا بصفحة من زجاج !
فإذا ما يروع منها ويضنى ... نتلقاه ههنا بابتهاج
كالذى يشهد الكوارث فنًّا ... من فنون التمثيل والإخراج

* * *

زهرة القرنفل (*)

تعشّقتُ من زهر القرنفل لونه ... ونشرًا كريح البابلية[1] زاكيا
تَقسّم نور الشمس أحمر قانيا ... وأصفر وضّاحا وأخضر زاهيا
ونازع محزون البنفسج لونه ... وحاك له ثوبًا من الجو صافيا
كواعبُ أترابٍ تقاربن صورةً ... وسيمةَ حسنٍ واختلفن كواسيا
وأسمع منه حين أقبس ضوءه ... وأنشق رياه فأنصت واعيا :
«تشاغلْ بما يجلو العيون وغمضها ... سرائر دنيانا ، وإن كنت رائيا
وسيان تحديق العيون وغمضها ... إذا كان ماترتاده العين خافيا
فحسبك منها زينة تبهر النهى ... فغير قليل ماترى النفسُ باديا»

* * *

(*) يوم شتاء : هدية الكروان .
(*) زهرة القرنفل : جزء أول .
(١) البابلية : أى الخمر .

الجسم الخجل (*)

أرى فى البحر أجساما تُشعُّ ... عليها من حياء الحسن درعُ
إذا ما الماء جمشها تراءى ... لها خجل على الأعطاف بدعُ
وما خجل الخدود وذاك جسمٌ ... سَنَى الخجل المورّد فيه طبعُ ؟

* * *

ليالى رأس البر (*)

مناظرُ من سحر الجمال أراها ... ولولا سناها قلت : كنت أراها !
تلوح كذكرى حالم يستعيدها ... لعمق معانيها و بعد مداها
فمن عالم النسيان فيها مشابهٌ ... وفيها من السلوى جميل رضاها
ليالى برأس البر تَنْدَى وداعةً ... ورقةَ شجان ، وطاب نداها
وداعةَ ذات الدّل شاب فؤادَها ... شوائب من هجر ، فراض صاباها

* * *

ليالى برأس البر طالب نداها ... وشفّتْ دياجيها ورقّ سناها
هنا النيل ساج طال فى الدهر سيرُه ... وطالت مرامى نبعه فسلاها
هنا البحر ثوّار الدهور على الكرى ... ويطغى فلايحمى النفوسَ كراها
إذا استرسلت أصداؤه فى اطّرادها ... ترسلت الأحلامُ ملءَ مناها
هنا علم السلوى ، هنا العالم الذى ... تحس الليالى فيه خمسَ خطاها
هنا العالم الشهود ذكرى قديمةٌ ... وذكراك دنيا لاتزال تراها
فلولا حياتى فى عروقى أحسُّها ... لقلت نعيم الغابرين طواها

* * *

(*) الجسم الخجل : وحى الأربعين .
(*) ليالى رأس البر : هدية الكروان .

جمالكَ - رأس البر - وفى زى ناسك ... إذا ضاحكَ العينَ الضحوكَ شجاها
لياليك-رأس البر- فى صومعاتها ... مناسك ضلّت فى الظلام هداها
صحابك-رأس البر- أطيافُ نائم ... تساوى لديها صبحها ودجاها
عناها الذى يعنى النيامَ من الرُّؤى ... ولم أر جهدًا فى الحياة عناها

* * *

حياتك-رأس البر - طفل مُجَدد ... سقته ثديُ الخالدات جناها
فلا تحرمينا رشفةَ الخلد كلما ... فنينا ، وكم تُفنى الجسومَ نُهاها
بحسبى من أبناءِ آدم إن صفا ... لنا العيش يومًا ، أن تكفَّ أذاها

* * *

أغانى (*)

فى الهوى قلبى ... زورقٌ يجرى
أين يمضى بى ... نهره الخمرى
ليتنى أدرى !

* * *

ليته يجرى ... يا أبا الأنهار
مثلما تسرى ... فى حمى الأقدار
حولك الأزهار

* * *

حولك الصفصاف ... مبل الشعر
ناعس الأطياف ... سابح الفكر
فى الهوى السحرى

* * *

(*) أغانى : عابر سبيل .

يـاريـاض الـنـيـل عـلـمـى قـلـبـى
فـــرحـــة التّهليل عـــــشتِ لـلحب
يامنى الصب

* * *

قـــــال لى قلبى والهـــوى يرعـــاه
هو فى قـــــربى مـــا الذى أخـــشـاه
عند ما ألقاه

* * *

الشتاء والربيع (*)

كل باد يريد أن يتـــــوارى فى الشـتـاء المغلّف المسدود
كل خـاف يريد أن يتـجلى فى الربيع المزخرف المشهود
هات لى العالم الصريح ودعنا من حياة خجلى ، وطبع برود

* * *

فى القمر (*)

فى الليلة القمراء ، ما أحلى النظر ! لكل شىء لاح فى ضـوء القـمـر
حتى الثرى ، حتى الحصى ، حتى الحجر

* * *

ليـــست من الآجـــرّ هاتيك البنىٰ لا بل خـــيـــال من ظلام وسنى
كخيله الأشكال فى السحب لنا

* * *

(*) الشتاء والربيع : عابر سبيل . (*) فى القمر : عابر سبيل .

أكـــــــاد عـنـد رؤيـتـى طـلاءهـا أُرسـل عـــــــيـنـىّ لـمـا وراءهـا

كما تخوض نظرة فضاءَها

* * *

قد شفت بالصخرة مصباح الدجى فكيف بالنفس وكـيـف بالحـجى

عاش على مر الليالى مسرجا

* * *

العيش جميل (*)

صـفـحـة الجـو على الزر قـاء كـالخـد الصـقـيل
لمعـة الشـمـس كـعين لمعـت نحـــو خـلـيـل
رجـفـة الزهر كـجـسـم هزةُ الشـوق الدخـيـل
حـيـث يمت مـروج وعلى البـعـد نخـيـل
قل ولا تحـفـل بشيء ! إنما العـيش جـمـيـل

* * *

القـمر والظلام (*)

لا أوثر القـمـراء فى حـسنهـا على الدجى ، والطرف فـيـه يحـوم
سـنـاك يابدر يـرينـى الشـرى وظلمـة الليل ترينى النجـوم

* * *

(*) العيش جميل : عابر سبيل .

(*) القمراء : الأعاصير . ص ٥٠ وبعنوان «القمر والظلام» (أعاصير مغرب ١٣٥) .

صداح الأثير (١)

مـــلأ اللآفـــاق صـــداح الأثيـــر ... لا فـضـــاء اليـوم .بل صـــوت ونور
لك من كل فـــضـــاء شـــاسع ... حـيـثـمـا يممتَ ، داع وبشـيـر
مـاصـقـاد الجـو إن فـتـشـتـه ... غـيـــر أصـــداء حـــواليك تمور
لجِبٌ لكنه مـــــــتـــــأذن ... يطرق الســـمع بسلطان قـــدير
أوْ هى الأرواح إن قلت احـضـرى ... حضرت ، أو شئت أعياها الحضور
قـيل أمـــواج . فـــقلنا وبحـــور ... من مـــعـــانٍ وبيـــان وشـــعـــور
تركب الألبـابُ فـيـهـا سـفنًا ... سـبُـقـا بين طويل وقـصـيـر
حـــملت من كل زاد ، وقـــرت ... كل غـــاد ، ووعت كل أثيـــر(٢)
ولـهـــا فى كل يوم مـــددٌ ... يلتـقى الأول فـيـه والأخـيـر

* * *

كـــان فـــرعـــون له مـــجلســه ... وهو ذو الصـــرح المعلّى والســـرير
ولـنـا فى كـل دار مـــــجلس ... يسع العـــــالَم أيان يـدور
هو نـاد لـك ، أو مـــدرســـة ... أو مـجـال السبق ، أو ملهى السرور
غـلـب الـوهَـم الـذى زيـنـه ... فى الأساطيرِ خـيـالٌ مـسـتطيـر
دعـــوة المارد إن قـــيـــت إلى ... دعـــوة المذياع ظـن وغـــرور
بورك العلم لعـــمـــرى إنه ... من صـــفـــات الله ، والله قـــدير
ربما أسـمـعنا فى غـــده ... نغم الأفـلاك ، أو صوت الضمير

* * *

(*) صداح الأثير : أعاصير مغرب .

(١) اقترحت محطة الإذاعة موضوع هذه القصيدة لتحية المحطة العربية بلندن عند الاحتفال بمرور عامين على افتتاحها .

(١) الأثير هنا بمعنى المأثور وهو المفضل المنتقى .

أسود يلتحى (*)

أليس كفى هذا السوادُ فزدتَه ... سواد غراب فى لحاك معلق ؟
سريت برأس لا حدود لوجهه ... فما زال فيه الليل بالليل يلتقى
ألا فانتظر حتى تشيب فقد ترى ... سوادك محفوفا بأبيض مشرق
وأخلقُ أن يرتادك الشيب حالكا ... على حالك ، لو كان يجرى بمنطق

* * *

على شاطئ البحر (*)

نفض النسيم عن النفوس رمادها ... فأعاد للسالى قديم هواه
والبحر تطّرد الخواطر عنده ... مثل اطّراد اللج حين تراه
لم أبصر الآذىّ فيه كأنه ... خيل الطّراد توقهنّ صَبَاه
وكأنّ متن الماء فى شمس الضحى ... فيروزجٌ قدح الضياء سناه
وكأن مبيضّ الجليد طفا به ... إن مج بالزبد النقى حشاه
إلا وددتُ بأن أراة فلا أرى ... أُفُقًا يصد الطرق دون مداه
الروح يطمع أن يتيه بلا مدى ... والعين ترسم فى الفضاء خطاه
البحر أقدم والنفوس قديمة ... فالنفس تألفه ولا تنساه

* * *

(*) على شاطئ البحر : الجزء الأول .

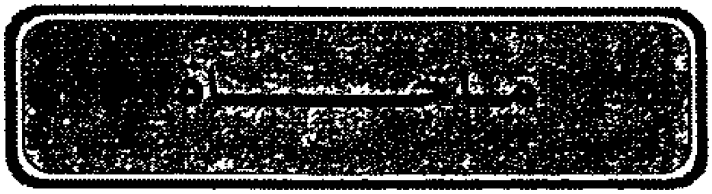
مقاصد

مناجاة(*)

يا من أحب لقاءه ... سرًّا وأزوى عنه جهرا
إن العيون بمرصد ... لى فى هواك ، وأنت أدرى
من ذا يتيه على الحما ... ل وأهله بالتيه أحرى
الشمس تحيى بالضيا ... ء لحاظنا فنغض قسرا
كن فى الملاحة والصبا ... لقلوبنا فخًّا ووكرا
واغنم بحسنك حبنا ... واقنع بهذا الحب أجرا

* * *

لسان الجمال(*)

يا من إلى البعد يدعونى ويهجرنى ... أسكتْ لسانًا إلى لقياك يدعونى
أسكتْ لسان جمال فيك أسمعهُ ... فى كل يوم بأن ألقاك يغرينى
أبالجمال تنادينى وتجذبنى ... وبالمقال تجافينى وتقصينى
هيهات لست بسال عنك مانطقت ... فيك المحاسن فانظر كيف تسلينى
أعصيك أعصيك لاَ آلوك معصيةً ... ولست أعصى جمالا فيك يحيينى

* * *

متى !(*)

متى تشرق الشمس التى قد رأيتها ... تغيب وراء الأفق فى مغرب الأمس
لقد طال عمر الليل حتى حسبتها ... توارت من الغرب المعصفر فى رمس

* * *

(*) مناجاة : الجزء الأول ٦١ (٤٨ فقرة ٦٣) .
(*) لسان الجمال : الجزء الأول .
(*) متى : الجزء الأول .

الحب الأول (*)

(. . . كنا نقرأ ذات يوم أنا وصديقاى الشاعران النابغان المازنى وعلى شوقى قصيدة ابن الرومى النونية التى يمدح بها أبا الصقر ويقول فى أولها :

أجنيتك الورد أغصان وكثبان
فيهن نوعان : تفاح ورمان
وفوق ذينك أعناب مهدّلة
سود لهن من الظلماء ألوان

فلما فرغنا من تلاوتها وقضينا حق إطرائها ونقدها خطر لنا أن يعارضها كل منا بقصيدة من بحرها وقافيتها وقد فعلنا فنظم المازنى قصيدته فى مناجاة الهاجر ونظم شوقى قصيدة فى هذا المعنى ونظمت أنا هذه القصيدة فأهدتها روح ابن الرومى :

يهنيك يازهر أطيارٌ وأفنان ... الطير ينشد والأفنان عيدان
طوباك ! لستَ بإنسان فتشبهنى ! ... إنى ظمئت وأنت اليوم ريان
هذا الربيع تجلى فى مواكبه ... وهكذا الدهر آن بعدها آن
تفتحت عنه أكمام السماء رضىً ... وزفهُ من نعيم الخلد رضوان
وشائع النور[1] فى البستان باسمةٌ ... والأرض حالية والماء جذلان
الشمس تضحك ، والآفاق صافية ... جلواء ، والروض بالأثمار فينان[2]
وللنسيم خفوق فى جوانبه ... وللطيور ترانيم وألحان
فى كل روض قُرى للزهر يعمرها ... ياحبذا هى أبيات وسكان
مستأنسات سرى ما بينها عَبَقٌ ... كما تراسل بالأسواق حبّان
الورد يحمر عجْبًا فى كمائمه ... والياسمين على الأغصان ميسان [3]
وللقرنفل أثواب يتوعها ... عن البِلَور صَناعُ الكف رقّان [4]

(*) الحب الأول : الجزء الأول .
(١) وشائع الثوب : طرائق نسجه .
(٢) فينان : مثمر .
(٣) ميسان : نائم من الوسن .
(٤) رقّان : مزركش - بكسر الكاف .

وللبنفسج أمساح ممسّكة ... كأنه راهب فى الدير محزان
وحبذا زهر الليمون يسكرنا ... منهنّ جام خلا من مثله الحان
والليل يحييه والأطيار هاجعة ... بلابل وشحارير وكروان[1]
مؤذن الطير يدعو فيه محتسبًا ... فيستجيب له بَرٌّ وغيان
والصبح فى حلل الأنوار طرّزه ... فى الشرق والغرب أسحار وأصلان[2]
كأنما الأرض فى الفردوس سابحة ... يحدو خطاها من الأملاك ربان
ضاق الفضاء بما يحويه من فرح ... فكل ما فى فضاء الله فرحان
إلا المحب الذى لاحبّه دنس ... ولا مودته خبٌّ وإدْهان[3]
نفاه عن عُرس الدنيا شواغله ... إن الحدا عن الأعراس شغلان

. . . . . .

يامن يرانى غريقا فى محبته ... وجدًا ، ويسألنى هل أنت غصان ؟
واضيعةَ الحب أبديه وأكتمهُ ... ومن عنيت به عن ذاك غفلان !
لى فى مديحك أشعارٌ أضنّ بها ... على امرئ فخره عرش وإيوان
على محياك من وشى الصبا روَع[4] ... وللمحبين أحداق وأعيان
ففيم تعذلهم إن راح ناظرهم ... بحسن وجهك يهذى وهو ولهان ؟
ما الحسن ذنبًا ، فما للحب تحسبهُ ... ذنبا من الناس لا يمحوه غفران ؟
هما شقيقان فارفق أن تحيلهما ... ضدّين بينهما نأىٌ وهجران
من علّم الناس أن الحب مأثمة ... حتى كأن ليس غير البغض إحسان
هبها جناية جان أنت آثمها ... ما كان يعصم لا إنس ولا جان
إن الجسوم مثنّاةٌ جوارحها ... إلا القلوب فصيغت وهى أحدان
لكل قلب قرينٌ يستتمّ به ... خَلقٌ وخُلقٌ فهل يرضيك نقصان ؟[5]
إن التعاطف بالأرواح بغيتنا ... وفى الوجوه على الأرواح عنوان
تمثالك الصخر أحظى منك أن نفرت ... عنك العيون ، ولم يشملك وجدان
إنا لمن معشر حب الجمال لهم ... حبٌّ لما كان فى الدنيا ومن كانوا[6]

(١) كروان : جمع كروان .
(٢) أصلان : جمع أصيل .
(٣) إدهان : مكر وملق .
(٤) روع : ملاحة وجمال .
(٥) خلق لكل عضو قرين فى الجسم إلا القلب فإنه منفرد لا يكمل إلا بقلب آخر .
(٦) لايعرف أن حب الجمال إنما هو بمثابة حب كل شىء إلا من لخص نفسه من تعريف الناس للحسن والقبح .

ليـــأمنْ الطيـــر أنا لا نكيـــد له ... ولايخفْ مكرنا وحش وعـــقـــبـــان
لو تسـمع الورْق[1] لجـوانا لكان لهـا ... منا غـصـون نضـيـرات وأحـضـان
أو كـان يدرَى حـيىّ نبت عـفـتنا ... لم تُغض منه بأيدينا أغـيـصـان
أو ينظر الـسـائم النـابى طويتَنا ... لم تألف القـفـرَ آرامٌ وغـزلان
ولا اتقى الحوتُ شرًّا حين يبصـرنا ... إذا وقـتـه شـبـاكَ الإنس قـيـعـان
ياليت أن لنا كـهـفًـا نعـوذ به ... إن راح يفـزعـهـا بغىٌ وعـدوان

* * *

مـاضـرٌ من نال فى حين سعـادته ... إن فـاته فى طويل الدهر أحـيـان
إذا جنيت من الأيام زهرتهـا ... فـاقنع ؛ فـسـائرها شـوك وعـيـدان
ولا وربك مـا بالنفس مـقـتنع ... أكـان نجح لهـا أم كـان حـرمـان
فـإن روينا ، فـبـعض الرأى مظمـأة ... وإن ظمـئنا ، فـمـا يرتاح ظمـآن
أى الفـريقين أحـمى لهـفـةً ووجىً ... من ذاق أو لم يذق ؟ فـالكل لهـفـان
ياليلة حُطمت أنوال حـائكهـا ... فـلا يحـاك لهـا فى الدهر ثُنيـان
العـيشُ من قبلهـا شوق نعـمت به ... والعـيش من بعـدها ذكـر وتحنان
طالت ولا غـرو فـالجنات خـالدةً ... وفى الوصـال من الجنات ألوان
أصبحت والله لا أدرى لبهجتهـا ... أليلةٌ سلفت أم تلك أزمـان
وكيف لا وهى شطرٌ حين أحسبها ... والعمر شطرٌ ، وفيهـا عنهُ رجحان
لقد شقانا الهوى خمرًا معتّقة ... صبـا بهـا قبلنا شيبٌ وشبـان
هيهات لا تبلغ الصهباءُ نشوتَها ... ولو تناول منهـا البحـرَ نشـوان
فاض الهيام على قلبى ففاض به ... نبعٌ لـه من وراء الدمع شطآن[2]
وددت والدمع فى عينىّ محتجزٌ ... لو سـال منه على خـدىّ غـدران
أمسيت أرشف شهدا من مراشفه ... والسلسـبـيل بعليين غـيـران
والنيل تجرى له فى كل ناحـيـة ... جـداولٌ لؤلؤيات وثغـبـان
يقـودنا حـيث شـاء الموج واطّردت ... أمـواهه ، فكأن الفلك وسنان
حتى تصرم جنح الليل وانبثقت ... من كل مطّلع للصبح عـمـدان

(١) الورق : أى الحمائم جمع ورقاء .
(٢) شواطئ .

فـمـا أفـقنا وعين الصبح شـارفـة ... ومـا هجـدنا وغـول الليل سـهـران
بنا سوى الشمس والشهبان ترصدها ... شموس أنس مضيئات وشهبان

. . . . . .

بقـيـة لك أتلوها وأُنشـدها ... هذى القـصـائد لى فـيـهن سلوان
بقية من متاع الذكر قد صفحت ... عنها السنون . فلى بالذكر قنعان
كـأننى تاجـر فى الشط مـرتقبٌ ... موج الخضمّ . وفلكى فيه غرقان
خـذى بقـاياك لو تسطيع تذهبـها ... كـمـا ذهبت فـيطويهن نسـيـان
لا يأمن الحبُّ صبٌّ لا يكون له ... بالحب عن صلة المحـبـوب غنيـان
مـا كنت أجـهل لما أن كلفت به ... أنى سـألقـاه يومـا وهو غـضـبـان
من لى به مـثل مـا أرضـاه فى مـلأ ... هامـوا وهانوا فـهم للوهم عـبـدان ؟
تفـرق الناس أو طانًا ومـا افـترقت ... لهم على حـسـب الأفـهـام أوطان
بتنا نسـاكنهم دارا ونحـسـبـهم ... منا ، وشـتـان إنسـان وإنسـان
نشقى بأنفسنا فيهم فيسعدهم ... هذا الشـقـاء ولا يجـزيه شكران

* * *

يا أملح الناس هلاً كنت أكـبـرهم ... روحـا فـيـتـفـقـا ، روح وجـثـمـان
صـدّقتَ باطل مـا قـالوا كـأنهـمـو ... لا يكذبون ، أو أن العـذل قـرآن
أمـا علمت بأن الناس ألسنةٌ ... سـودٌ لهـا غـيـر مـا تبـديه أبطان
أحـرى مزاعـمهم بالشك أسـيـرها ... فـالحق مـتـئـدٌ والإفك عـجـلان
وربَّ قـولة زور قـالهـا رجلٌ ... منهم فطاف بهـا فى الأرض ركـبـان
تداولوها فـراحت فى مـذاهبـهم ... شريعةً نقضـهـا كـفـرٌ وعـصـيـان
مـاكـثرة المثبـتين الأمرَ تثبـتـه ... ولا بقلتـهـم للحق إيهـان
فـإن ألف ضـرير ليس يَعـدلهم ... بالمبصـر الفـرد يومَ الشك مـيـزان

. . . . . .

تكشّـفتْ هذه الدنيـا فـأنكرها ... حسى وأذهب فـيـهـا الحـدْس إيقـان
مـازال يحـرمنى دهرى ويوهمنى ... حـتى غـدا وهو بالأوهان ضنان
إناً لنضحك لا صـفـوًا ولا لعـبًـا ... وقـد ينوح بغـيـر الدمع أَسْـوَان[1]
أعيى العقول صلاحُ الخلق من قدم ... وضـاق عن هديهم ذرعٌ وإمكان

(١) أسوان : حزين من الأسى .

فعش كما شاءت الأقدار فى دعة ... لايجرمنّك[1] بَرّ الناس أو خانوا

لعلهم فى طريق الصدق قد سلكوا ... ونحن نحسب أن القوم قد مانوا

من عاش فى غفلة طاب البقاء له ... وإن تولته بالأرزاء حدْثان

لم يدر من نام والأفلاك دائرة ... أدار بالسعد أم بالنحس كيوان

فاطلب لنفسك منها مهربًا أمنًا ... ودانِ من شئت فالأعداء خلاّن

والزم حياتك واعشقها فبينكما ... فى شرعة الطبع ميثاق وإيمان

هى الوجود فصنه أن تجود به ... على التراب ، فإن الحر صوان

. . . . . .

وانهض بها مرةً فى الدهر واحدة ... ثم استرح أبدًا والحقّ بمن حانوا [2]

* * *

كأس الموت (*)

إذا شيعونى يوم تُقضى منيتى ... وقالوا أراح الله ذاك المعذّبا

فلا تحملونى صامتين إلى الثرى ... فإنى أخاف اللحد أن يتهيبا

وغنوا فإن الموت كأسٌ شهيةَ ... وما زال يحلو أن يُغَنّى ويُشربا

وما النعش إلا المهد مهد بنى الورى ... فلا تحزنوا فيه الوليد المغيبا !

ولا تذكرونى بالبكاء وإنما ... أعيدوا على سمعى القصيد فأطربا

* * *

(١) لا يجرمنك : لا يهمنك .

(٢) حانوا : ماتوا .

(٢) كأس الموت : الجزء الأول .

الحبيب الثالث (*)

(ردا على قصيدة الحبيبين لصديقنا شكرى ، وقد شبه أحدهما بالجنة والثانى بالجحيم وهذا الحبيب الثالث جامع بين الجنة والجحيم)

قِـلاك من دفّـاع نار الجـحـيم ... ووصلك الجنة دار النـعـيم
وريـقـك الـكـوثـر لـكـنـه ... كـالمُهل فى صـدر المحب الكظيم
وخـدّك الزقـوم مـرٌّ لمن ... تزويه عنه وهو حلو الشـميم
وأنت تضنى كل جـسم سليمْ ... وأنت تشفى من ضناه السـقـيم
وأنـت دان نـافـر ، راحـم ... قـاس ، مـحب ، كـاره ، لا تدوم
ويا نسـيـمًـا شـبـمـاً [1] ربما ... أذكى كـمـا أطفـأ ذاك النسـيم
ويـا بـرىء الـوجـه فـى نـاظرى ... ويا أثيـمـا فى الفـؤاد الكليم
الحب لـونـان ومـا أن أرى ... حـبـا بلون واحـد يسـتـقـيم
كن لى على النعـمـة عـونا أكن ... عـونا لقلبى فى العـذاب الأليم

خير ما فيهن (*)

غـفـر الذنبَ من بكائى عليك ... أننى لا أعـود مـا عـشتُ أبكى
لا ياوى - وقـد تعلمت منك- ... نسلُ حـوّاثكنّ دمـعـةَ شك

خـيـر مـا فى النسـاء سـاعـة ضـحك

إلى صديق (*)

أخىّ وأعـذب بهـا لفظةً ... تذكّرنى العـهـد عـهـد الصـفـاء
أهـبْـتَ بـودى ولّـما يمـتْ ... فـأسـمـعت حـيـاً بذاك النداء

(*) الحبيب الثالث : الجزء الأول .
(١) شبما : بارها .
(*) خير ما فيهن : وحى الأربعين . (*) إلى صديق : الجزء الأول .

ولم ينسنى القصر [1] عهدا خلا ... وكيف وفى القصر معنى البقاء
وإن أنس شيئاً فإنى نسيـ ... ـت يا صاحبى أيّنا قد أساء
ولست بقال ولا ناكث ... ولكنْ كذلك شاء القضاء
وهذى القلوب بأيدى الزما ... ن يقلب أهواء كيف شاء
وقد يذهل المرء عن نفسه ... فكيف يلام على الأصدقاء ؟!

خواطر الأرق (*)

يا ليلُ لونك فى اللواحظ إثمد [2] ... إلا لدىّ فمن غبار يُرمد
ها أنت بالرؤيا تضن لأنها ... سلوايَ ، حين تركتنى لا أرقد
دل الظلام على المدامع خاطرا ... أعيى عليه مع الصباح المورد
كم فى الدم المدعوّ بالإنسان من ... زعم يطيش وعارض يتردد
العقل شيخ والحياة فتيّة ... والعيش بينهما شقاق مجهد
والطبع يغرينا ولست بواجد ... كالطبع طفلا لا يفارقه الدّد [3]
أوّاه من عبث الحياة وسوء ما ... يجنى الزمان وشر ما يتوعد
لا أشتكيه فقد أمرّ فساغ لى ... ما لا يسوغ وسرنى ما يكمد
وجزعت حتى قيل جُن من الأسى ... وصبرت حتى قيل صخر جلمد
أبدى التجلد والتجلد فى الأسى ... بعض الرياء ، وبعضه قد يحمد

. . . . . .

وخميلة يجنى الغداف قطافها ... وترود حوليها الصّلال [4] الشرد
كرمتْ عناصرها وأينع يومها ... حسنا ، ويوشك أن يطيب لها غد
ظللتها بالنصح إلا أنها ... لم تلق من يرعى ومن يتعهد
باتت تجاذبها السّموم فتلتوى ... طوعاً ، ويدعوها النماء فتجمد
يا من أصون جماله وكأنه ... خصمٌ على تلك المحاسن يحقد
لا شىء أوجع لامرئ من أن يرى ... حملا يطيب مع الذئاب ويرغد

(*) إلى صديقى : الجزء الأول .
(١) إشارة إلى قصر ملا وهو طلل فى حديقة كنت أجلس فيها بأسوان وقد أشار إليه الصديق فقال :
أعباس يهنيك قصر به ... نسيت الوداد وعفت الإخاء
(*) خواطر الأرق : الجزء الأول . (٢) الأثمد : حجر الكحل .
(٣) الدد : اللعب . (٤) الخميلة : هى الشجر الملتف . والصلال جمع صل : وهو الثعبان الخبيث .

أخشى عليك من البعيد وأنت لا ... تخشى من الدانى الذى لا يبعد
وأحوط حسنك بالتمائم والرُّقى ... وتظل تنشر عقدها وتبدد
وتبيت ريان الجفون من الكرى ... والنار حولك والدخان الأسود
لم تتبع نصحى وملت مع الهوى ... جهلا ، وغرّك أن غصنك أملد
والغصن تسقط - إذ يميل - ثماره ... ويزلّ عنه الزهر إذ يتأود
إن كنت تحميك الطراءة والصبا ... شرُّ التقصف فالتجرد أنكد
أولى بوجهك أن يضنيك حسنه ... من أن يحفك منه غيم أربد(١)
هذى يمينى فى يمينك فاعتصم ... أولا فأرسلها فما لك منجد
لو كنت نوحا لم تفدك سفينتى ... إن ابن نوح كان فيمن ألحدوا
فاستبق ودك للذين عرفتهم ... إنى لغير الطهر لا أتودّد
ما كنتَ أول نعمة ودعتُها ... كلا ، ولست مع المودة تخلد
ماذا على الدنيا لو أن مغرراً ... منها يميل به الغواة فيفسد
لولا المشوب لما يمخض خالص ... منها ، ولو لم يعتدوا لم يهتدوا
ما كنتُ يوما بالأنام موكلا ... فأعدّ منهم من يضل ويرشد
إنى اتخذتك للصيانة قنية ... فعلمت أنك بهرج لا عسجد
فالآن ألقى فى التراب بحلية ... كانت أحب ذخيرة تُتقلد

إليك (*)
إهداء الديوان الثانى

إليك إهداءُ أطرابى وأشجانى ... لوكنتَ تعلم إسرارى وإعلانى
شعر لحسنك فيه كلُّ قافية ... وما تضمَّن إلا بعضَ وجدانى
يُهدَى إليك ولم تفطنْ لدعوته ... كأنما هو قربانٌ لأوثان
ولو صمدتُ بتسبيحى إلى وثن ... إذن لأثلج صدرى صدقُ إيمانى
وخفف النار : نار الوجد عن كبدى ، ... علمى بأنك لم تجهل بقربانى
لكنْ جهلتَ مناجاتى فواجذلى ... لو فزتُ منك ، على علم ، بحرمان
يا من هو الناسُ فى عينى وإن كثروا ... إنى أخص بشعرى كلَّ إنسان
أُهدى إلى الناس ما أعنيك أنت به ... فاقبل ، فإنك بعض الناس ، ديوانى

(١) الأربد : اللون الكدر المتغير .
(*) إليك : الجزء الثانى .

الدنيا الميتة (*)

أحبك حب الشمس فهى مضيئة ... وأنت مضىء بالجمال منير
أحبك حب الزهر فالزهر ناضر ... وأنت كما شاء الشباب نضير
أحبك حبى للحياة فإنها ... شعور ، وكم فى القرب منك شعور
فهل فى ابتغائى الشمس والزهر سُبَّة ... وهل فى ولوعى بالحياة نكير

. . . . . .

فدع ما يقول الناس واعلم بأننا ... على غير ما سار الأنام نسير
لنا عالم طلقٌ وللناس عالم ... رهينٌ بأغلال الظنون أسير
ووا أسفا ! ما نت إلا نظيرهم ... وإن لم يكن للحسن فيك نظير
ويا عجبا منا نسائل أنفسنا ... إذا سئلت حارت وليس تحير (١)
أنشقى بدنيانا لأن منعَّما ... من الناس بسَّام الثُّغير غرير
أيذوَى الصبا فينا لأنك ناشئ ... ربيع الصبا فى وجنتيه غضير
أتعشى مآقينا لأنك أحور ... بعينيه من ومض الملاحة نور
ألا نتملى الحسن والحسنُ جمةٌ ... مطالعه إلا وأنت سمير
فيا ضيعة الدنيا إذا لم يكن بها ... غنىً عنك للمحزون حين يثور
ويا ضيعةَ النفس التى لا يجيرها ... من البث والشكوى سواك مجير
إذا الشمس غابت لا نبالى غيابها ... وإن غبت آض العيش وهو كدور
وليتك مثل الشمس ما فيك مطمع ... فيهدأ قلب بالضلوع نَفور
قريتَ ، ولم يخطئ عطاش تلهفوا ... على جدول فى السمع منه خرير
وسرتَ على الأرض التى أنا سائر ... عليها ، ولم تُضرب عليك ستور
فلو لم نُوَلّ شطرك لامنا ... على الجهل كون بالجمال فخور
لديك مقاليد السرور وديعة ... وما لحب فى سواك سرور
فإن تأذن الدنيا أباحت شوارها (٢) ... وغنت عصافير وفاح عبير
وإلا فما فى الأرض حظ لناظر ... ولا النجم فى عُليا السماء يدور

(*) الدنيا الميتة : الجزء الثانى ١٦٧ (٤٣ فقرة ١٢٩) .
(١) تحير جوابا : أى ترد .
(٢) شوار العروس : جهازها .

بعد عام (*)

كاد يمضى العام يا حلو التثنى ... أو تولّى
ما اقتربنا منك إلا بالتمنى ... ليس إلا !

* * *

مذ عرفناك عرفنا كل حسنِ ... وعذابِ
لهب فى القلب ، فردوس لعينى ... فى اقترابى

* * *

غير أنا لا نرى الفردوس إلا ... رسمَ راسمُ
وشربنا من جحيم الحب مُهلا ... شرب هائم

* * *

لا تلمنى أنّ قلبى خاننى ... أو عشقتُكْ
لم يكن منّىَ إلا أننى ... قد رأيتكْ

* * *

كان فى الدنيا جمال لا يُعَد ... ثم لُحتا
فعددنا الحسن طرًا فهو فرد ... وهو أنتا

* * *

كأسى على ذكرى (*)

. . . . . .

هاتها واذكر حبيب النـ ... ـفس يا خير ثقاتى
ودع التلميح واجهر ... باسمه دون تقاة [1]
أترى نُحرم حتى ... ذكره فى الخلوات ؟
صفه لى صفه وما كا ... ن بمجهول الصفات

(* بعد عام : الجزء الأثانى . ١٤١ (٨ فقرة ٢٩) .
(*) كأس على ذكرى : الجزء الثانى . ١٤٤ (١٢ فقرة ١١٩) . (١) تقاة : مبالاة .

غـيـر أنى أمـتع السـمـ ـع بحظ الحـدقـات
صـفـه فى عـينى ومما تعـ ـدو به وصف الأضـاة[1]
صـفـه فى قلبى لو اسطعـ ـت ، وترجم زفـراتى
أتـرى ألـبـق مـنـه باصطياد المُهُـجـات
أترى أملـح مـن خـطـ ـرته بـين الخـطـرات
أترى أصـبح من خـد يـه بـين الـوجـنـات
أترى أعـدل من قـا متـه فى الصـعـدات [2]
ذهبىّ الشـعـر سـاجى الطـ ـرف حلو اللفـتـات
وحـيـىّ لا يحـيـ ـك بغـيـر البسـمـات
جـاهل بالحب أشكو ه ولا يـدرى شـكـاتـى
وغـريـر القلـب لا يفـ ـهم مـعنى نظـراتى
ودّ لو يسـأل مـالى مـسـتـهَلّ العـبـرات
وإذا قلت «شـجـانى من أفـدّيه بذاتى
ليس ينجـينى وفى كـفـ ـيه لو شـاء نجـاتى»
قـال مـا أقـساه من جـا ن غليظ القلب عـات !

. . . . . .

صـفـه ! بل أمسك فـقـد ها جت عليـه حُـرُقـاتى
جـمح الوجـد بأشـجـا نى وضـاقت أزَمـاتى
هاتهـا صـرفًـا وأغـرق فى طلاها حـسـراتى
عـوضـاً عـمـا يؤاتى مـن هـوى أو لا يـؤاتـى

الصبابة المنشورة (*)

صبابةَ قلبى ! أقبل الليل غاضياً [3] فهَبى ! فقد يغشى الرفاتُ المغانيا
وقـد تهـجـر الموتى القـبـورَ أمـينةً إذا الليل غـشّى بالرقـاد المآقـيـا

---

(١) الأضاة : المرآة .
(٢) الصعدات : جمع صعدة وهى قناة الرمح .
(*) الصبابة المنشورة : الجزء الثانى .
(٣) غاضيا : مظلما .

وثوبى إلى الدنيا مع النوم فانظرى ... مكانك قد أنوى وعرشك خاويا [1]
ومُرّى به مرّ الغريب وطالما ... تربعتِ فيه قبل ذاك لياليا
ولا تسألى من بالديار ؟ فأنها ... على موثقٍ ألا تجيب مناديا

* * *

بدا شبح عار من اللحم عظمُه ... يجاذب أضلاعاً عليه حوانيا
يقارب فى قيد المنية خطوه ... ويمشى به ليلاً مع الليل ثانيا
وقال سلام ! قلت فاسلم وإن يكن ... دعائى لميْت بالسلامة واهيا
مَن الطارق السارى ؟؟ فقال صبابة ... نعمتَ بها حينا وما أنت ناسيا
فقلت أرى جسمًا عرى من روائه ... وعهدى به من قبلُ أزهر كاسيا
جهلتك لولا مسحة فيك غالبت ... بشاشتُها أيدى المنون المواحيا
جهلتكِ لولا هزّة فى جوانحى ... يدَ الدهر [2] لا تُبقى من الشك باقيا
ألا شدّ ما جار البلى يا صبابتى ... عليكِ . فكيف استلّ تلك المعانيا
أأنت التى أسهرتنى الليل راضيًا ... وأنت التى أسكرت عينىّ صاحيا ؟؟
وأنت التى كنا إذا الناس كلهم ... تولوا ، وجدنا مغنما فيك وافيا
وأنت التى جلّيت لى الأرض جلوة ... أسائل عنها الأرض وهى كما هيا
أسائل عنها كل شىء رأيته ... أما كنتَ فينان [3] المحاسن شاديا
نفخت بها روحاً فغرد صامت ... ورنّم جلمود ، وأصغيتُ لاهيا
فلما ألَمّ البين لاذت بصمتها ... وأمسيتُ حتى يأذن اللّه صاغيا
وهل يسمع الصاغى إلى القبر نأمة [4] ... ولو كان فيه معبد [5] القوم ثاويا

* * *

نعم أنت لولا ساتر من منية ... وحسبك ستراً بالمنية ساجياً
وأن امرءاً ماتت خوالج نفسه ... فليت لقد جمع الشرين حيًا وفانيا
حياة لها حد ولا حدّ للردى ... فليت المنايا والحياة تواليا
كما تتوالى يقظة العيش والكرى ... وتعب أنوار الصباح الدياجيا

---

(١) خاويا : تخرب .
(٢) أى إلى آخر الدهر .
(٣) فينان : مزهر .
(٤) نأمة : صوتا خفيا .
(٥) معبد : إمام المغنين فى صدر الدولة الأموية .

إذن لتشوقنا الحمام اشتياقنا إلى النوم واشتقنا الحياة دواليا [1]

* * *

الهين الصعب (*)

. . . . . .

أكبرتُ قدرك حتى لست أدركه وأصغروك فنالوا منك ما طلبوا
فإن تباعدت عنى وادّنيتَ لهم فما توانيتُ فى خطوى ولا دأبوا
يا ليت أنفسنا صيغت كأنفسهم فلا يملك عنا الصد والعجب
أو ليت مثلك يدرى ما نهيم به فلا تُعز علينا بعضَ ما نهب

نضرة فى الشتاء (*)

يا نضرة فى الشتاء أبصرها أبهج من كل منظر نَضِر
كأنها والعيون تنهبها والنفس تَرْوَى بحسنها العطر
ألف ربيع للعين مُدخَّر بل ألف حب للقلب مختصر
يا طيب ذاك الأكسير مجتمعاً من حُسْنِ شتى الرياض والغرر
أضمه كله وأرشفه فى قبلةٍ كوثرية السّكَر

* * *

إلى الغرق (*)

دعتك العرائس فى بحرها فقيم الوقوف على الساحل ؟
إلى الماء ! لا بل إلى السابحين ، لا بل إلى الغرق العاجل
فليس على البحر إلا غر يقّ ، وإن لم يكن فيه بالنازل !
سواحره احتشدت كلها علينا ، فيا ويح للغافل

* * *

(١) دواليا : بالتداول .
(*) الهين الصعب : الجزء الثانى .
(*) نضرة الشتاء : وحى الأربعين .
(*) إلى الغرق : وحى الأربعين .

مـائـدة (*)

مـائدةٌ أسـرف فى طهـيـهـا ... عشرين عاما ، عبقرىُّ الزمانْ
أكـرمنا الطاهى بهـا سـاعـةً ... فكيف بالمكرم يلقى الهـوان
حـسنٌ وأنسٌ وحـيـاءٌ مـعـاً ... وطلعـة البـدر ونفح الجنان
مـدتْ لنا طوعـا فـمـا عـذرنا ... إذا تركنا لقـمـةً فى الخـوان (١)

* * *

لغـير البيع (*)

جـواهر الحب قـالوا : غـيـر زائفـة ... مـهـلا ! فـمـا أنا فـيـه بائع شـار
كـلا ، ولا أنا مـن شـكٍ ولا ولع ... بالسـرِّ عـارضُ أحـجـارى على النار
خذ معدن الحب أن ألفيت معدنه .. ... إنّى قـنـعـت بومضٍ منه غـرار
مـا للأناسىّ من حب يدوم ، ولا ... حب يقـوم على صـدق وإيثـار

* * *

ليلة البـدر (*)

هاتِ لى الذكرى وجدد ما مضى ، ... عندك الذكرى ورُجعاها معـاً
هات ما كان كـمـا كـان انقضى ، ... أو فـجـددْ غـيـره مـبـتـدعـا
ليلة البـدر ، وقـد كـان الرضى ... مـوعـدَ الأهرام نبـغى مطلعـا
فـقـضى اللّه سـواه غـرضـا

* * *

(*) مائدة : وحى الأربعين .
(١) الخوان : ما يوضع عليه الطعام .
(*) لغير البيع : أعاصير مغرب .
(*) ليلة البدر : وحى الأربعين .

قـــد نوينا ونوى الغـــيبُ لنا نيّـــةً أمـــتعَ للمـــســـتـــمـــتع
خُـــسف البـــدر وأمـــســـيت أنا ادّعى من نشـــــوة مـــــا أدعى
كلمـــــا ناديتنى هيّـــا بنا ! قلت : هيـــا ! وأنا فى مـوضـــعى

السنى عندى فـمـالى والسنى

* * *

خُـسف البـدر ومـا كـان الخـسوفْ شـيـمـــة البـــدر الذى بينَ يدىّ
نشـــر النـاس وطافـــوا بالدفـــوف وأنا والبـــــدر فى نشـــــرٍ وَطىّ
خلٌ من شـاء كـمـا شـاء يطوف إن بـــدرى طـالـــع مـــنـــه إلىّ

لا أحب البـــدر ترعـــاه الألوف

* * *

يا سـمـيـر الليل يا نعم السـمـيـر مـــا لنا والصـــبح مـــا دمت أراك
أنا فى نور وروض وعـــبـــيـــرْ حـــيـنـمـــا ألقـــاك لا ألقى ســواك
رشـفـةٌ من ثغـرك العـذب النضـيـر أو من الكأس احـتـوتهـا شـفـتـاك

وســـلامٌ أيهـــا الكون المنيـــر

* * *

هاتِ لى من فـيك أنفـاس الغـرامْ أو فـقل إن شـئتَ أنفـاس الحـيـاة
واسـقنى الخـمـرة من أعـذب جـامْ لا من البلوّر فى أيدى الســـقـــاة
ثغـرك الضـاحك كـأسٌ ومُـدَامْ ونـــديمٌ لـــى ، وراو فـــى الـــرواة

ينشد الشعر فيشجينى الكلام

* * *

ينشـد الشـعـر جـديداً كـالصّبـا وأنـا نـاظـمـــــــه مـنـذ سـنـين
بث فـيـه من صـبـاه عـجـبـا فـــإذا قلتَ ارتجـــالٌ لا تمين
هات لى الحـــسن وهات الأدبا واسـقنى الخـمـر من الثـغـر المبين

ذاك حـسبى فى زمـانى مطلبـا !

* * *

إعفـــاء (*)

أعـــفـــيك من حليـــة الوفـــاءْ ... إنـك أحـلـى مـن الـوفـــــــاء !
خـونى . فـمـا أسـهل التـقـصّى ... عـنـدى ومـــا أســـهـل الجـــزاء
وليس بالســـهل فى حـــــابى ... فـــقـــدك يـا زينـة النســـاء !

* * *

الحـب الضاحـك (*)

فرغتُ من الحب الذى يُعقب الشكوى ... فحبى من النُعمى وليس من البلوى
بذلت له نارى ثلاثين حـــجـــةً ... فـلا نار بعـد اليـوم . . اليـوم للحلوى

* * *

لو كان إلها (*)

(قال الشاعر الفرنسى «دوجيرل» لحبيبته : «لو كنت إلها لأعطيتك الأرض والهواء وما على الأرض من بحار ، ولأعطيتك الملائك والشياطين الحانية بين يدىْ قدرتى وقضائى ، ولأعطيتك الهيولى وما فى أحشائها من رحم خصيب . بل لأعطيتك الأبد والفضاء والسموات والعالمين -إبتغاء قبلة واحدة» .
وسئل صاحب هذا الديوان : «وماذا تعطينى أنت لو كنت إلها» فقال :

أعطيك ؟! كيف وما العطاء بخيـر مـا ... تبـدى القلوب من الغـرام الصـادق
بل لو غدوتُ كـما اشتهيت وأشـتهى ... ربـاً ، أخـــذتك أنـت أخـــذ الواثق
فـتـرين أنك حين فـزت بحظوتى ... أحلى وأجـمل من جـمـيع خـلائقى
وتسيطرين على الصروف ، وفوقَـهـا ... نبـضـاتُ قلبى المسـتـهـام الوامق
إن كـــان رب الكون عندك قلبـــه ... أهونْ لـديـك بأنجم وصـــــواعق
وبكل شـمس فى السـمـاء وضـيـئـةٍ ... وبكل بحـــر فى البســـيطة دافق

(*) إعفاء : أعاصير مغرب ص ٤١ .
(*) الحب الضاحك : أعاصير مغرب ص ٤١ .
(*) لو كان إلها : وحى الأربعين .

مـاذا عليه (*)

مـــاذا عليـــه إذا اســـتـــوى وإذا التـــوى ، مـــاذا عليـــه ؟
هـذا القـــوام جـــمـــالهُ مـهـمـا تعـسّف ، فى يديه !
أنّـى تمـايـل عـطـفـــــه مـــالت جـــوانحنا إليـــه
أشـــتـــاق بعض نفـــاره شـغـفـاً برؤية صـفـحـتـيـه

* * *

ملتقى الربيع (*)

هـات الـربـيـع الـغـضّ لـى كـلّـه فى روضـة ، بل طلعـة ، بل شـفـهْ
إن فـــاتنى جـــمـع أزاهيـــره فى قطفـة ، فـالرأى أن أرشـفـه

* * *

نبضات جديدة (*)

خـفـقـاتٌ تلك من وزن جـديدْ أيهـا القلب ! فـأسـمـعنى صـداك
ذلك الوجـه ، ومـا العـهـد بعـيـد ! أنـت تهـــواه ، فـــلا تنكر هواك

* * *

أنت تهـــواه وتســـعى بى هنا كـلّ يـوم بعـــــد يوم كـى تراه
لا تـراوغـنى وقـلْ هيّـــــا بنـا فى صـريح القـول ، نـسـتـجلى سناه

* * *

(*) ماذا عليه : وحى الأربعين .
(*) ملتقى الربيع : وحى الأربعين .
(*) نبضات جديدة : وحى الأربعين .

نحسب الرقة فيه ألَما ... فإذا أنت من الوجد تذوبْ
لا يكون الحب إلا هكذا ... أنا لا أجهل أسرار القلوب

* * *

كاصفرار الشمس فى ثوب الغروبْ ... واصفرار العاج فى ثوب القِدمْ
ذلك اللونُ نسمّيه الشحوب ... وهو فى الحسن شفيع للسّقم

* * *

رحمةٌ للقلب من ذاك الوُجيهْ ... صيغ ذوبَىْ حنان وحنينْ
كلما رفرفت بالعين عليه ... شبَّهَ الفرحان عندى بالحزين

* * *

إن أشأ قلتُ خيالٌ فى الكرى ... أو أشأ قلت عيان لا خيال
جُمع الأمران لى فيما أرى ... حين صحَّ الحُلم فى خير مثال

* * *

جمال يتجدد (*)

كلما قلتَ لى الربيع جميلٌ ... قلتُ : حقّاً . وزاد عندى جمالا
عجباً لى بل العجيبة عندى ... صور الكون كم يسعن كمالا
خلتُنى قد وعيتهن عِياناً ... وتتبعت من وَعوها خيالا
شاعراً عاشقاً وقارئ كتْبٍ ... قرأ الكتب دارساً ، فأطالا
فإذا نظرةٌ بلحظك تبدى ... صوراً ما طرقنَ عندىَ بالا
بعداد الأنوار فى أعين الحـ ... ـب نعد الأكوان والأجيالا

اليوم الموعود (*)

يا يوم موعدها البعيد ألا ترى ... شوقى إليك ، وما أشاق لمغنم ؟
شوقى إليك يكاد يجذب لى غداً ... من وكره ، ويكاد يطفر من دمى

(*) جمال يتجدد : هدية الكروان .
(*) اليوم الموعود : هدية الكروان .

أسرعْ بأجنحة السماء جميعها ... إن لم يطعك جناح هذى الأنجم
ودع الشموس تسير فى داراتها ... وتخطُّها قبل الأوان المبرم
ما ضرّ دهرك إن تقدم واحد ... يا يوم من جيش لديه عرمرم

. . . . . .

يا يوم موعدها ستبلغنى المنى ... وتُتم لى الفردوس خير مُتَمّم
لا غصن رابية تقصّر راحتى ... عنه ، ولا ثمر يعز على فمى
سأظل أخطر كالغريب بجنتى ... حتى أثوب على قدومك ، فاقدم؟
فأبيتُ ثم إذا احتوانى أفقها ... لم أنه عن أمل ولم أتندم
فرحى بصبحك حين تشرق شمسه ... فرح الضياء سرى لطرفٍ مظلم

* * *

الحب المثال (*)

كأنى مثّال وحسنك تمثالى ... عجائبُ حب ما خطرن على بال
فما أتمنى فيك معنى أريده ... من الحسن إلا وافق الحسنُ آمالى
وأحلام قلب تسرى كأنها ... خوالق أيدى الفن فى الذهب الغالى
تجول بأشكالٍ الخيال وتنثنى ... وقد أسعدت منك العيان بأشكال
إذا ما تمثّلت فيك معنىً لمستُها ... محاسنَ أعطاف ورقة أوصال
إذا اقترحتْ عينى فأنت مجيبها ... فهل منك أو منى صياغة تمثالى ؟
وما اقترحت إلا كما اقترح المنى ... غنىٌ على وفر من الوقت والمال (١)
فما فيك من نقص ولكنما الهوى ... نوازعُ شتى لا تقر على حال
فيا قدرة الحب المبارك أبدعى ... لكل حبيب فى الصبا ألف سربال
وأجملُ من صوغ الدُّمى صوغ دميةٍ ... لها زينتاها من حياة وإقبال

(*) الحب المثال : هدية الكروان .

(١) إذا كملت نعمة الإنسان تمنى الأمانى التى لا حاجة به إليها ، وإنما تغريه بها وفرة النعمة وطبيعة الأمل فى الإنسان .

الثوب الأزرق (*)

الأزرق الساحر بالصفاء
تجربةٌ فى البحر والسما
جرّبها «مفصّل» الأشياء
لتلبسيه بعدُ فى الأزياء
مجوّد الاتقان والرواء
ما ازدان بالأنجم والضياء
ولا بمحض الزّبَد الوضّاء
زيّنته بالطلعة الغراء
ونضرة الخدين والسماء
ولمعة العينين فى استحياء
إن فاتنى تقبيله فى الماء
وفى جمال القبة الزرقاء
فلى من الأزرق ذى البهاء
يخطر فيه زينة الأحياء
مقبّلٌ مبتسم الأضواء
مردّد الأنغام والأصداء
وقبلةٌ منه على رضاء
غنىٌّ عن الأجواء والأرجاء
وعن شآبيب من الدأماء (١)
وعنك يا دنيا بلا استثناء

(*) الثوب الأزرق : هدية الكروان .
(١) الشابيب أول ما يظهر من الحسن . وشدة اندفاع كل شيء والدأماء البحر .

ضياء على ضياء (*)

على وجنتيه ضياء القمرْ ... نظيران يستبقان النظر
جمعتما أنا في لثمة ... أو البدر قبّله فابتدر ؟
فما زال يلحظه جهرةً ... ويغمزه من وراء الشجر
ويزعمها قبلةً من أخ ... ففيم إذن قطفها في حذر ؟!
ولو شئتُ ظللتُ وجه الحبيـ ... ـب ولو شئت كللته بالزهر
ولكن كرمتُ فَخُذ يا قمرْ ... من الزاد ما تشتهي في السفر

* * *

سها الليل عنا وعن بدره ... وهز الحبيب حنين السهر
فقال وقد فاض منه الرضى ... وسُرّ بفيض رضاه وسَر
على مثل هذا تطيب الحيا ... ة ، وفي مثل هذا يروق السمر
فقلت أجل ما أحب الحيا ... ة ، وأنت شفيع لها مُدّخر
لأجلك يصفو لها من صفا ... وباسمك يعذرها من عذر

* * *

دنيا مقلوبة (*)

صوت النذير [1] الذي أبقاك خائفةً ... على ذراعيّ قولي كيف أخشاه ؟
أو البشير الذي يدعوك ثانيةً ... إلى الطريق لعمري كيف أرضاه
الحبُّ والحربُ واويلا قد اجتمعا ... في القلب فانقلبت أحوال دنياه !

(*) ضياء على ضياء : هدية الكروان .
(*) دنيا مقلوبة : أعاصير مغرب .
(١) النذير بالغارات .

ساعى البريد (*)

هل ثم من جـديد يا سـاعى البـريد

* * *

لو لم يكن خطابى فى ذلك الوطاب
لم تطوِ كلّ بابِ يا سـاعى البـريد

* * *

مـا ذلك التنسـيق والجـمع والتـفـريق
والقـفـز والتـعـويق يا ساعى البـريد ؟!

* * *

كـسـوتُك الصـفـراء والخطوة العـرجـاء
يمشى بهـا الرجـاء يا مـحنة الجليـد

* * *

لو لم تكن جـمـالا فى مِشية العجالى
صـغنا لك التـمـثالا من جـوهر فـريد

* * *

لا أحسب الساعات فى حـاضـر وآت
إلا على الميـقـات : مـيـقـاتك الوئيـد

* * *

(*) ساعى البريد : هدية الكروان .

فى شرفتى أبتكر غيرك لا أنتظر
وإن سعى لى القمر يا ساعى البريد

* * *

كم لهفة نسيتها أماتنى ميتها
لقيتها ! لقيتها يا ساعى البريد

* * *

جددتَ لى انتظارى وقلة اصطبارى
عن طلعة القطار وطلعه النضيد

* * *

أكرم به من ثمر منتظرٍ مدّخر
فى كل يوم مزهر مبتدئ معيد

* * *

يا طائفاً بالدور كالقدر المقدور
بالخير والشبور فى ساعة البريد

* * *

فى لمحة تنتشر منك المنى والعبر
وأنت ماض تعبر كالكوكب البعيد

* * *

كن أبًا مريدى بالخبر السعيد
وبابتسام العيد يا ساعى البريد

* * *

عجب الساعى (*)

عـجب «الســاعى» الذى كنتُ له ... أبداً فى شـــرفـــتى منتظرا
إنَّ من تُحـضـر لى أخـبـاره ... أيهـا الساعى بخـيـرٍ . حـضـرا
ألق إن شـئت وطاباً حـافـلاً ... لا أبالى لحظةً إن صـفـرا
الطريق الآن لا أرقـبـه ... لأرى وجـهك . ولكن لأرى . . .
ولك الشكر ، ولى العـذر ، فـلا ... تظهـر الآن . فـهـا قـد ظهـرا
لا تذكّـرْنى نواه بعـد مـا ... كنت تروى عنه ذكـرًا عطرا

* * *

تسـلّم (*)

تسلّمْ هذه الدنيـا ... كـمـا خلّفـتـهـا عندى
وحـاسـبْـهـا على قـربٍ ... بما تجنى على البـعـد

* * *

تسلم هذه الشـمـ ... ـس التى تؤنس أو تهـدى
لقـد كـانت هداها اللـ ... ـه مكسـالا من المهـد
تجـوب الأفق فى جـهـد ... ومـا تسـرع بالجـهـد
وكـانت تحـجـب الأنو ... ار أو تُبـدى فـلا تجـدى
وكـانت شـعلة حـرّى ... من اللوعـة والوجـد

* * *

(*) عجب الساعى : هدية الكروان .
(*) تسلم : هدية الكروان .

تسلّم هذه الأطيـــــا ر واسألها عن العهد
تُغنّى الآن فاسألها أغنّت قط لى وحدى ؟
وإن غنّت فهل كا ن سوى نوح لها مُعْد
وإن أعدَتْ فهل تُعدى بغير الشجو والسهد ؟
نعم سلها جزاها الله : أين تحية الورد
وأين تحية الإلف وأين تحية الفرد
لقد كانت لحاها الله تطويها على عمد
فسلها فيم تطويها وفيم تضن أو تسدى

* * *

تسلّم أنجم الليل بلا عدٍ ولا حد
تسلمها وكاشفها بما تخفى وما تبدى
وسلها كيف ضلّتنى وما ضلت عن القصد
وفيم تغامزٌ منها إذا حيّرنى قيدى
نعم قيدى الذى فى النـ ـفس لافى صفحة الجلد
أهزلا تهمس الأنجـ ـم أم تهمس عن جد ؟!

* * *

تسلم زهرك المحبو ب فى السهل وفى النجد
تراه ضاحك العين تراه ناضر الخد
فسله ما عراه أمـ ـس حتى لاذ بالرشد
فلا يلهو ولا يُوصى بغير الهم والزهد
فما عن لومه فى ذا ك يا مولاه من بد !

* * *

تسلم هذه الدنيا كما خلّفتها عندى
بحمد الله تلقاها كما تلقاك بالحمد
فخذها راضيا عنها وعنى وعن الود

وعلمها إذا ما عدت ... لا عدتَ إلى البعد
أماناً في مغيب منـ ... ـك أو في محضَر رغد
فما تسمع لي قولاً ... إذا ناجيتها وحدي !

* * *

ثرثارة (*)

أراك ثرثارة في غير سابقة ... فهات ما شئت قالاً منك أو قِيلا
ما أحسن اللغو من ثغر نقبله ... إن زاد لغواً لما زدناه تقبيلا

* * *

زمن محل (*)

أمحل الدهر واطَّردْ ... لا خميسٌ ولا أحد
لا انتظار لموعد ... أو هيامٌ بمن وعد
كل أيامنا تساً ... ويُن في الوسم والعدد
صبحها مثل ليلها ... والتقى أمسها بغد
تنقص العمر كلها ... وبها العمر لم يُزد [1]
لم تزد ماضيا وقد ... نقصت مقبل الأمد

* * *

(*) ثرثارة : هدية الكروان .
(*) زمن محل : هدية الكروان .
(١) يوم السعادة الذى يمر بالإنسان هو يوم ينقص من العمر ولكنه يزيد فى ثروة الماضى . أما يوم الشقاء فإنه ينقص العمر ولا يزيده فى ماض أو حاضر .

إساءة مشكورة (*)

إليك منى الشكر حتى على ... إساءة اللقيا غداة السفر
أغضبتنى منك فأنجيتنى ... من لوعة الهجر وطول السهر
إذا التوى الصبر على عاشق ... تَعرَّضَ العتب له فاصطبر
ما ذاكر اللجة رياً له ... كذاكر اللجة فيها الخطر
ولهفة الظامِئ ترياقها ... أن ينظر الغصة فيما انتظر

* * *

صنوف حب (*)

عرفت من الحب أشكاله ... وصاحبت بعد الجمال الجمال
فحبّ المصور تمثاله ... عرفتُ ! وحب الشباب الخيال

* * *

وحب القداسة لم أعدُه ... وحب التصوُّف لم يعدُنى
وفى كل حب وَرَى زنده ... سماتٌ من المؤمن الديِّن

* * *

. . . . . .

وحب التى علمتنى الهوى ... وحب التى أنا علمتها
ومن أستمد لديها القُوى ... ومن بالقوَى أنا أمددتها

* * *

(*) إساءة مشكورة : هدية الكروان .
(*) صنوف حب : هدية الكروان .

. . . . . .

صنوف من الحب لا تلتقى وفيك التقى لبُّها المحتوى
فلولا هدى نورها الأسبق لما كنتُ كفؤاً لهذا الهوى

* * *

هذا هو الحب (*)

غريرٌ تسأل : ما الحب ؟
بنيتى ! هذا هو الحب !

* * *

الحب أن أُبصر ما لا يُرى أو أغمض العين فلا أبصرا
وأن أسبغ الحق ما سرّنى فإن أبى ، فالكذب المفترى

* * *

الحب أن أسأل : ما بالهم لم يعشقوا المنظر والمخبرا ؟
ويسأل الخالون ما باله هام بها بُهرًا وما فكّرا ؟

* * *

الحب أن أفرق [1] من نملة حينا وقد أصرع ليث الشرى
وأن أرانى تارةً مقبلا وخطوتى تمشى بى القهقرى

* * *

الحب كالخمر فإن قيل لى سكرت ؟ هم القلب أن ينكرا
وكل عضو بعده قائل نعم . ولا أحفل أن أسكرا

* * *

(*) هذا هو الحب : أعاصير مغرب .
(١) أفرق : أخاف .

الحب أن يفـــرق أعـــمـــارنا عـهـدان ، والعـهـد وثيق العـرى
أحـــبنى الأكـبـر حـتى إذا عـانقـتنى ألفـيـتنى الأصـغـرا

* * *

الحب أن نصـعـد فـوق الذرى والحب أن نهـبـط تحت الثـرى
والحـب أن نـؤثـر لـذاتـنـا وأن نـرى آلامـنـا آثـرا

* * *

الحب أن أجـمـع فى لحظة جـهـنم الحـمـراء والكوثرا
وإننى أخطئ فى لهـفـتى من منهـمـا روّى ومن سـعّـرا

* * *

الحب أن يمضى عـام ومـا هممت أن أنظم أو أشـعـرا
وربما علّقت فى سـاعـة حـواشى الدفـتـر والأسطرا

* * *

بنيّـتى ، هذا هو الحبُّ
فـهـمـتـه ؟ كـلا . ولا عـتب !
مـسـألةٌ أسـهلهـا صـعب
لا الناس تدريهـا ولا الكتب
حسبك منها . لو شفت حسب ،
إشـارة دقّ لـهـا القلب

* * *

الحب (*)

مـا الحب روح واحـدٌ فى جَـسـدىْ مـعـتنقين

(*) الحب : أعاصير مغرب .

الحب روحـــان مـــعـــاً كـلاهمـا فى الجـسـدين
مـا انتـهـيـا من فـرقـة أو رجـعـــة طرفـــةَ عين

* * *

الصدار الذى نسجته (*)

هنـا مكـان صـــــــدارك هنـا ! هنـا ! فى جـــوارك

* * *

هنـا ، هنـا ، عنـد قلـبى يكـاد يلـمـس حـــــبى
وفـــيـــه منك دليل على المودة حـــــبى

* * *

ألـم أنـل مـنـك فـكـرة فـى كـل شـكّـة إبـرةْ
وكل عـــقـــدة خـــيطٍ وكـل جـــــرة بَكـرة !

* * *

هنـا مكـان صـــــــدارك هنـا ، هنـا ، فى جـــوارك
والقلب فـيـــه أسـيـــرٌ مطوق بحـــصـــارك !

* * *

هذا الصـــــدار رقـــيبٌ على الفـــؤاد قـــريبُ
سليـــه : هل مـــر منه إلىّ طيف غـــريب ؟

* * *

نسـجـتـــه بيـديك عـلـى هـدى نـاظـريـك
إذا احـــتـــوانى فـــإنى مـا زلت فى إصـبـعـيك

* * *

(*) الصدار الذى نسجته : أعاصير مغرب .

ليلة الوداع (*)

أبُعدًا نُرَجّى أم نرجى تلاقيا ... كلا البعدِ والقربَى يهيجُ مابيا
إذا أنا أحمدتُ اللقاءَ فإننى ... لأحمَدُ حينا للفِرَاقِ (النعم)
ألا من لنا فى كلِ يومٍ بفرقةٍ ... تُجددُ ليلاتِ الوَداعِ كما هيا
ليالٍ يبيح الذّلَ فيها زماهُ ... ويُرخص فيها الشوقُ ما كان غاليا

* * *

وياليلتى لما أنستُ بقربه ... وقد ملأ البدرُ المنيرُ الأعاليا
تَطلّعَ لا يَثْنِى عن البدر طرفه ، ... فقلت حياء ما أرى أم تغاضيا
بنا أنت من بدر وددتِ لو أنه ... على الأفق يبدو أينما كان ثاويا
غدا تنظر البدر المضوّئَ . فوقنا ... وحيدين من دارين لم تتلاقيا
أشم شذى الأنفاس منك وفى غد ... سيرمى بنا البين المشتُّ المراميا
وألثمه كيما أبرد غلتى ... وهيهات لا تلقى مع النار راويا (1)
فقبّلت كفيه وقبلت ثغره ... وقبلت خديه وما زلت صاديا
كأنا نذود البين بالقرب بيننا ... فنشتدّ من خوف الفراق تدانيا
كأن فؤادى طائر عاد إلفه ... إليه فأمسى آخرَ الليل شاديا
إذا ما تضامنا ليسكن خفقه ... تنزّى فيزداد الخفوق توالیا
أو شَجٌ فى كلتا يديه رواجبى (2) ... وشيجا يظل الدهرَ أخضر ناميا
وتلمس كفى شعره فكأننى ... أعارض سلسالا من الماء صافيا
وأشكوه ما يجنى ، فينفر غاضبا ... وأعطفه نحوى فيعطف راضيا
أقول له يكفيك أنك قادر ... على أمل أعى الزمان المعاديا
قدرت على إسعادنا ومنحتنا ... ليالِىَ أعيى منحهن الليالیا
قدرت ، ومن يقدر على السعد لم يكن ... جميلا به أن يترك الخل شاكيا

* * *

(*) ليلة الوداع : الجزء الأول .
(١) راويا : اسم فاعل من روى الماء .
(٢) الرواجب : مفاصل الأصابع .

وناعيـة صـاحت ولِلّيل هجـعـة ... فـقـال : «عـلام البـوم ينعب ناعـيـا»
«لقـبـحتِ منعـمـيـاء تقرأ فى الـدجى ... إذا اسـود أسطار الخـراب الخـوفـيـا»
فقلت :على النفس التى سوف تغتدى ... طلولا بأحناء الضلوع حـوانيـا
تجـوس أفـاعى الحـزن فى جنبـاتهـا ... ويا ربما تأوى الضلوع الأفـاعـيـا
فـلا تحـسبن البـوم تنعى المغـانيـا ... فـقـد تندب البـوم النفـوس البـواليـا
وكم وحشة للنفس يخشى اقتحامها ... أخـو غـمـرات ليس الفـيـافـيـا

* * *

ولما تـقـضـى الـلـيـل إلا أقـلـه ... وحـان التنائى جـشت بالدمع باكـيـا
فـأقـبـل يرعـانى ويبكى وربما ... بكى الطفل للباكى وإن كـان لاهيـا
وزحـزحنى عنه بكف رفـيـقـة ... وأسـبل أهداب الجـفـون السـواجـيـا
يقـول لقـد ران الكرى وتفـرّقت ... نجـوم الدجى والديك أصبح داعـيـا
فـقـلت وكم من ليلة إثر ليله ... سـهـرتُ وقد أمسيت وحدك غافيا
فـهـب من رقـادك ليلة ... تمرُّ ، فـإنى قـد وهبت حـيـاتيـا
حـرام علىَّ النوم ، مـادام هاتف ... من الليل لا ينسى إذا بت ناسـيـا
وأسلمت كـفى كـفـهُ فـأعـادها ... وقلبى ! فـهـلا أرجع القلب ثانيـا
فلم أر ليـلا كـان أبيض مطلعـا ... وأسـود أعـقـابا وأشـجى مـعـانيـا

* * *

الخمر الإلهية (*)

على طريقة ابن الفارض

. . . . . .

يدور بهـا السـاقى علينا كـأنهـا ... مـبـاسم ثغـر والحـبـاب ثناياه
جـرت فى صـفـاء الدمع وهى دواؤه ... فـمن ذاتهـا لم تجـر بالدمع عـيناه
تنيـر فلولا أن تسـيل رحـيـقـهـا ... لقلت لظى أذكى النسـيم شظاياه

(*) الخمر الإلهية : الجزء الأول . ٧٤ (٦٢(فقرة ٧٤) .

يكاد إذا طاف الغلام بجامها ... يرفرف حوليه الفراش ويغشاه
لها في يمين الشاربين توهج ... إذا ما حبا قلب من الحزن أذكاه
تلوح كماء المُهل [1] أما مذاقها ... فمن سلسبيل الخلد في طيب سقياه
تشابه في عين النديم وما انتشى ... فواغٌ صف كالثريا وملأه
كؤوس كجام السحر [2] يكشف وحيه ... لعينيك من سر العوالم أخفاه
إذا طاب في الفردوس رياً نسيمها ... فأطيبُ في دار الشقاوة زياه
ولو مزجوا بالخمر طينة آدم ... لعاش ولم يدر القطوب محياه

* * *

حسناء عمياء (*)

قرة العين عزاءً ... لك في الكون المنير
إنّ طرْفاً يأسر النا ... س هو الآن أسير
إن سحراً غاض في عينـ ... ـيك هيهات يحور [3]
صدت الشمس ضياها ... عنك يا أخت البدور
غربت عنك غروباً ... ما له الدهر بكور
ليت نور العين مصبا ... ح معار فتعير
ليس أولى ببكى العيـ ... ـن من الحسن الضرير
وجمال عن جمالِ الـ ... ـكون مكفوف حسير
مطمح الأبصار بدع ... أن يُرى غير بصير

* * *

(١) المهل : شراب أهل جهنم .
(٢) هي الكأس التي يزعم السحرة أن من نظر إليها انكشف عنه الحجاب .
(*) حسناء عمياء : الجزء الأول .
(٣) يحور : يعود .

من تقليد «نشيد الأناشيد» (*)

أجل تلك خبـــاياها وهـاتـيـك خـطـايـاهـا
فـــهـل تدرين مـــاذا ك الذى يدعى مـزاياها ؟!

* * *

لما فـيـهـا من العـيب سننسـاه وننسـاها
وللحـسن الذى فـيـهـا سنُحـيى الآن ذكـراها

* * *

سـأحـصى لك مـا يعـجـبـ ـب منهـا ، وهو كـالشـمس
كـمـا أحـصـيت مـا يغـضـ ـب بعـد السـعى والدس

* * *

ثـنـايـاهـا ثـنـايـاهـا وهـل ذقـت ثـنـايـاهـا ؟!
وعـيـنـاك . ويا للقلـ ـب كم تسبيه عيناها ؟!

* * *

وتلك الوجنةُ الخـمـر يةُ السكران رائيـهـا
أفى الجنة يا رضـوا ن تفـاحٌ يحـاكـيـهـا ؟!

* * *

وتلك القـامـة الهـيـفـا ء زانتـهـا زواياها
إذا مـا جـار ردفـاها أقـام الجـور نهـداها

* * *

(*) من تقليد نشيد الأناشيد : أعاصير مغرب .

وتلك النسمة الحلو ... ة فى ثوب الأناسى
هى الروح الفراشية ... فى النور السماوى !

* * *

دعيها تفسد الخمس ... ين إفساد ابن عشرينا
وحاشا . بل هى الأكسير ... باسم الحب يحيينا

* * *

وعندى من حُميّا [1] الشعر ... إكسيرى وترياقى
وهل كالشعر فى الدنيا ... ربيع دائم باق !

* * *

مزيج (*)

ما الحب من محض الصدا ... قة يا بنىّ ، ولا العداء
الحب فيه الخلصتا ... ن ، وفيه مزجهما سواء
أحلى الصداقة والعدا ... وة يمزجان لمن يشاء
فيه العطاء ، والاغتصا ... ب ، وقل على الدنيا العفاء !

* * *

ندم (*)

عشقتك مُكْذبا خلقى ورأيى ... وعفتك صادقا لهما أمينا
وما أخطأت فى لوميك يوما ... وقد أخطأت فى عذريك حينا

* * *

(١) الحميا : سورة الخمر .
(*) مزيج : أعاصير مغرب .
(*) ندم : أعاصير مغرب .

تقويم العام (*)

تقـــــويمُ هذا العـــــام من ... لحـظـاتـه الأولـى لـديـكِ
قـومى ارفـعـيـه وارفـعى ... عنه الغطاء براحـتـيكِ
من يوم مطلعـــــه إلى ... رجـعـاه مـوقـوف عليكِ

* * *

وإذا انتـــهت أيامـــه ... ولكل عـام منتـهـاه
فـعـليك أنت وداعـه .. ... وترحـبين بما تلاه
ويُحـى إذا دار المـدى ... ورعـيتُ وحـدى ملتـقـاه !

* * *

هى قـبلة ضـمت عُـرى ... عـامين فـاتصـلا اتصـالا
ومُنى الخـواطر فى غـد ... عـام كـسـابقـه مـآلا
لا تعـجلنّ به فـمـاً ... أقسى الحياة على العجالى

* * *

لا . لا . فـهـذا يومنا ... وغـدٌ ، وبعـد غـد ، خـفـاء
أنا مـغـمض عـينى ومـسـ ... ـتـمع إلى حـادى الرجـاء
فـإذا سـمـعت حـداءه ... فـدعـيـه يمضى حيث شاء

* * *

وعام ثان (*)

بشـــراى . مـــا أنا شـــاهدٌ ... يا عـام وحـدى ملتـقـاك

(*) تقويم العام : أعاصير مغرب .
(*) وعام ثان : أعاصير مغرب .

دارتْ بروجُك والهوى ... يخطو وتتبعه خطاك
وحمدت وجهك مقبلا ... ومضى . فلم أذم قفاك !

* * *

هذى فتاتى هذه ! ... هى لا خوف ولا اشتباه
هى فى بديع قوامها ... هى فى الصبا ، هى فى حلاه
هى فى غوايتها وآ ... هِ من غوايتها ، وآه

* * *

ضُمِّى ثغورَك يا بنيـ ... ـة وابعثى منه الأمل
لا بالعهود إلى مدى ... عام . ولكن بالقُبل
إن ساعفتنى ليلة ... فدعى العهود إلى أجل

عام تفتح بالرجا ... ء وبالرجاء ختمته
ودعتِ ذاك العام فى ... قربى كما استقبلتِه
قولى ، وقد ولّى ، أفى ... شرع الوفاء قضيته ؟

* * *

لا تخدعينى يا بنيـ ... ـة بالوفاء من اللسانْ
خنّا وخنت ولا أقو ... ل سلى فلانة أو فلان
ذهبت خيانتنا معاً ... والآن نحن الباقيان

* * *

ذهبت خيانتنا كما ... ذهب الوفاء ومن يفون
لا ذمةٌ تبقى ولا ... يبقى الوفىّ ، ولا الخؤُن
كم ذمة ضيعتها ... يا عام فى تلك الغضون !

* * *

انظر ألست ترى فتـــا ... تى حيث كنتُ ضممتها
فى جلسة الأمس التى ... حتى الصباح جلستها
فكأنها ما فارقت ... صدرى ولا فارقتها

* * *

وإذا سألتَ وربما ... جاء السؤال بلا كلام
«ماذا تقول مودعى ... والليل يومىء بالسلام»
حيرتنى يا عام فاستمع ... الجواب ولا ملام

* * *

ما كنت عندى أيّهذا ... العام كلك بالسعيد
لكنْ سويعاتٌ مضت ... لى فيك تنسى ألف عيد
غفرت ذنوبك كلها ... وطغت على العام الجديد

* * *

حسبى من الدنيا الذى ... أعطت ، ودنيانا غرور
حسبى قليل عطائها ... وقليلها أبدا كثير
إن عاد يومُ غدٍ كأمـ ... ـس فدرْ - زمانُ - كما تدور

* * *

أكذبينى (*)

. . . . . .

أكذبينى وأكذبينى ... كلما شئت أكذبينى
ما غناء اللب عندى ... إن أبى أن تخدعينى
أنا فى ثروة وفقر ... منه مهما تسلبينى
أنقصيها . أى ضير ؟ ... درهما أو درهمين !!

* * *

(*) أكذبينى : أعاصير مغرب .

المرأة والخداع (*)

خل الملام فليس يثنيها ، ... حبُّ الخداع طبيعةٌ فيها
هو سترها ، وطلاء زينتها ، ورياضة للنفس تحييها
وسلاحها فيها تكيد به من يصطفيها أو يعاديها
وهو انتقام الضعف ينقذها من طُول ذل بات يشقيها
أنت الملوم إذا أردتَ لها ما لم يُرده قضاء باريها
خنها ! ولا تخلص لها أبداً تخلص إلى أغلى غواليها

* * *

الحب أحمق (*)

لم أدر كيف يُتاح لى نسيانها وخيالها فى ناظرىّ معلّق
حتى نسيت ، فعدت أذكر أنها كانت هواى ، فلا أكاد أصدق

* * *

مصيبتان (*)

قالوا اسلها ودع البكاء فإنها فى حبها ليست بذات وفاء
ومصيبتى فيها اثنتان لأننى أبكى لمن لا يستحق بكائى
من كل يبكى الأوفياء ففى الأسى لمن استحق أساه بعضُ عزاء

* * *

(*) المرأة والخداع : أعاصير مغرب .
(*) الحب أحمق : بعد الأعاصير .
(*) مصيبتان : أعاصير مغرب .

عجائب القلب (*)

تلك التى كنت أغليهـا واذكـرها ... صُبحا ومُسْيا ، وفى سر وإعلان
قـد كنت أرحم نفسى من تذكّرها ... فاليوم أرحمها من فرط نسيانى
عجائب القلب . ويلى من عجائبه . ! ... عـزت نظائرها فى العـالم الفـانى

* * *

فراغ . فراغ (*)

فـــراغ بارد شـــات .! ... بـلا مـــــاضٍ ولا آت
أأمـــوات ؟ نعم . لكنْ ... نحس فناءَ أمـــوات
وويا بؤسَ الفناء نحـــــ ... ـه فى كل مـيـقـات

* * *

الصحوة الكبرى (*)

مـتـجـردان ويملكان سـعـادة ... لكليهما ، لا يحتويها العالم
يتـمليان الصحوة الكبرى وقـد ... سـعـدا بأسعـد مـا يراه الحـالم

* * *

(*) عجائب القلب : أعاصير مغرب .
(*) فراغ . فرغ : أعاصير مغرب .
(*) الصحوة الكبرى : بعد الأعاصير .

معجزة وبرهان (*)

أطفـــأت منى الليـــالى شُـــعَـــلا بعـــد شُـــعَلْ
من غـــواياتى وأحـــلا مـــى ، ومـــن بـــرق الأمـــلْ
فلمـــا يُومض فـــيـــهـــا النـــ ـــور من نار القُـــــبل
عـــجـــبـــا ، لكنّه وهـ ـــو عجيبٌ قد حصل ! . .

* * *

عـــجـــبـــا والدهر لا يفـ ـــنى أعـــاجـــيبَ الحـــيـــاة
مـــفـــرِقُ شـــاب يُشـ ـــبّ الحبّ فى قلب فـــتـــاة
شـــركٌ صـــاد - ولم أنـ ـــصبـــه - صـــيّـــادَ البُـــزاة
وقـــديماً كـــان إن دا ر على الصـــيـــد نصل

* * *

لـو لســـانٌ قـــالـه لى لم أصـــدّق مـــا يقـــول
غـــيـــر أنّ الشـــوق فى خـــد يكِ يســـرى ويجـــول
مـــزهـرًا بعـــد ذبول مـــشـــرقـــاً بعـــد أفـــول
قـــسمٌ فـــاه به قلـ ـــبـــكِ ، بـــل وحـــىٌ نـــزل

* * *

أحـــوج الوحى إلى مـــعـ ـــجـــزة وحىٌ عـــجـــاب
عند قلب كـــافـــر بالنـ ـــاس يغلو فى ارتيـــاب
يا رســـول الحب آمنـ ـــتُ وفى كـــفى الكتـــاب
طفلة تهـــفـــو إلى الشـ ـــيـــب ؟ أجـل ثم أجل !

* * *

(*) معجزة وبرهان : بعد الأعاصير .

حين لمّحت تغـــابيـــ ـــتُ ، ولى واللّه عـــذرُ
وانثنى التلميح كـالتـ ـصريح والشكُّ مصرّ
ثم طاش السـر حـتى كـاد يسعى وهو جهـر
وتلاقينا فـماذا كـا ن ؟ بركـان جـفلْ

* * *

خـاب شكى وأنا الأ ن بما خـاب سـعيـد
وسـعـيـدٌ كلمـا خـا ب ببـرهان جـديد
بين حـسن فـيك يزدا د وإقـبـال يزيد
وسـلام شـاع فى نفـ ـسك كـالليل شـملْ

* * *

يا فـتـاتى هو من ربـ ـك واللّهِ قـدّرْ
قـدّرٌ أرحم مـا حمّ عـلى قلب بشـر
أغمضنى عينيك وامضى فـيـه أيّان اسـتـقـر
واطمأنى . مـا قضى اللّه قـضـاءً فـارتجلْ !

* * *

صـاغـه اللّه عـجـيـباً ومـحـا عنه عـجـيـبـا
غـيـر بدع أن يهـيج الشـ ـرر الحى لهـيـبـا
إنما البـدع لهـيب ببـتـغى منا شـبـوبا
كـلـه إن جـل أو قـ ـل من الشـمس وصلْ

* * *

نحن فى الآفـاق قُـربى بعـضنا ينشـد بعـضـا
ربما قـيـل رمـاد وهو ملء الأفق رمـضـا
إن فى النور لقـاحـا صنـوه بالصنو يرضى
رب نجـم منـك لـو لا شـرر منى أفلْ

* * *

انتقام جيتى (*) (١)

يا صديقى القديمَ «جيتى» اعتذارًا ... لك من سوء ظنّتى ومالى
كنت أنعى عليك حبك فى السـ ... ـتين بنتَ العشرين ، فاغفر ملامى
وأرانى على ملامك من قبلُ ... لحب دون الثمانين دام
فانتظرنى فقد يجىء اعتذارى ... لك طوعاً فى مقبل الأيام
إن عشقنا كما عشقت وأوفيـ ... ـنا عليها انتقمت خير انتقام !

* * *

إلى الشفاه لا إلى الآذان (*)

فيم أروى لك شعرى ؟ ... أنا أدرى . أنا أدرى

* * *

أنا أدرى . يا فتاتى ... حيث ألقى بالأغانى
إن شعرى سمعته ... شفتان . . شفتان !
ها هنا سرب إلى القـ ... ـلب الذى أعنيه دان

* * *

(*) انتقام جيتى : بعد الأعاصير .
(١) شاعر الألمان الأشهر وله قصة حب فى الستين وأخرى فى الثمانين .
(*) إلى الشفاه لا إلى الآذان : بعد الأعاصير .

* * *

رفّ شعرى حيث رفّت ... بالأمانى قبلاتى
وتصفّحت صداه ... قبساً فى الوجنات
هو من ثغر فتاتى ... وإلى ثغر فتاتى

* * *

فيم تسعى رحلتى بـ ... ـين المعانى وتطول
ها هنا الشعر وموحى الـ ... ـشعر يصغى ويقول
كل إصغاءٍ لعمرى ... بين هذين فضول

* * *

مزج (*)

سمّيتنى باسم اللّدات وبيننا ... عمرٌ كعمرك أو يزيد قليلا
مزجَ الهوى العمرين فى جيلٍ فلا ... تقديم بينهما ولا تأجيلا
ومحا الفوارق كلهن فلم يدع ... غير الهوى جيلاً لنا وقبيلا

* * *

لفاع (*) (١)

لفاعك فى عنقى كالوفا ... ء يطوّق جيدَ السميع المجيب
مكانُ ذراعيك أولى به ... نسيجُ يديك السخى القشيب

* * *

(*) مزج : بعد الأعاصير .
(*) لفاع : بعد الأعاصير .
(١) اللفاع : هو ما يعرف بالكوفية ويلف حول العنق فى الشتاء .

إذا فـــاتنى منك طيب العنا ... ق فلســـواى منه بديلٌ قـــريب
فـــلا أُحـــرَم الدفء عند القـــا ... ء ولا أحـــرم الدفء عند المغـــيب

* * *

رأيـــت(*)

رأيت النهـــــر ظمـــــآ ... ن إلى البـــيـــداء يرويهـــا
رأيت الزهر مـــشـــتـــاقـــا ... إلى الأطواد يُحليـــهـــا
رأيت الليلة الليـــــلا ... ء والكوكب حـــاديهـــا
رأيت الحـــان تنســـاب ... إلى أفـــواه حـــاســـيـــهـــا
رأيت العـــجب العـــاجـ ... ـب فى الدنيا وما فـيـهـا
شـــبـــاباً هام بالهـــا ... مة قـد شابت نواصيـهـا
إخـــال الحب يســـتـــحـــد ... ث ترويحـــاً وترفـــيـــهـــا
ألا فليّلهُ مـــــا شـــــا ... ء فـمـا تفنى مـلاهيـهـا

* * *

من الأستاذ عماد (*)

يا حـــزين النفس أُعطيت مناها ... فـاغنم الفـرصـة حـتى منتـهـاها
لا تنغّصـهـا اختـيـارًا واكـتناها ... إن مـن خـــــاف مـن الجـن يراها

* * *

. . . . . .
لا تقل يا وردتى شـــوكك أينا ... مـا علينا منه فـيـهـا مـا علينا ؟
إنهـا أخـفـتـه عنا فـانتـهـينا ... حـــــبنا الوردة رفّت فى نداها

* * *

(*) رأيت : بعد الأعاصير .

(*) من الأستاذ عماد : أعاصير مغرب .

إلى الأستاذ عماد (*)

يا صديق النفس من عهد صباها ... نصحك الصادق لو تُشفَى ، شفاها
محنةٌ تبلغ فى يومٍ مداها ... ما ترانى صانعاً ، أو ما تراها ؟

* * *

ناصحى أنت بزهرى أنتشيه ... لا أبالى الشوك والغصة فيه
كل شوك يا صديقى أتقيه ... يخرق الدرع وإن دقت عراها

* * *

وردتى يا صاحبى فى الورد بدع ! ... بدعها طبع ، وكل الورد طبع
طبعها كالفخ ينهاك ويدعو ... وبلاء النفس فى مسّ جناها

* * *

إن تقل فز بالجنى قلت رويدا ... الجنى الكيد ، فهل نأمن كيدا ؟
الجنى القيد ، فهل نحمد قيدا ؟ ... الجنى ، يا ويحها ، أشهى أذاها !

* * *

وردتى آفتها فرط التحدى ... جاوزت فى كل شىء كلّ حد
حسنها هيهات منه حسن ورد ... شوكها أنفذ من شوك سواها

* * *

أترانى نافعى والقلب دام ... وسعار الجرح يمشى فى عظامى
لذة العيش بوشى ونظام ... وامتلاء الأنف من عطر شذاها

* * *

(*) إلى الأستاذ عماد أعاصير مغرب .

آه من برئى وآه من ســـــقـــــامى آه من صلحى ، وآه من خـــصـــامى
آه من شـــــمـــــسى وآه من ظلامى آه من لـذعـــــــة آهٍ فى جـــــواها

* * *

لـذعـــة النيـــران ينفـــثن دخـــانا ليـــضيع اللهب الخـــافى عـــيـــانا
لهـــبـــاً صـــرفـــا تعـــالى وتدانى من قـــــــرار النـفس يرتـاد ذراها

* * *

آه من آهٍ لخـــــاها اللّه جـــــداً لا تزل خـــــالدة فى النار خلداً
من قلوبٍ تلتظى حـــبـــاً وحـــقـــدا حـــــرقت آهاتهـــــا آها فـــــآها

* * *

أنا لا أطلقـــهـــا حـــتى تذوبا فى لظاها ، كلمـــا شـــبت شـــبـــوبا
وأرانـى يـا صـــــــديقى لن أتوبا فـــإذا تابت عـــرفنا منتـــهـــاها

* * *

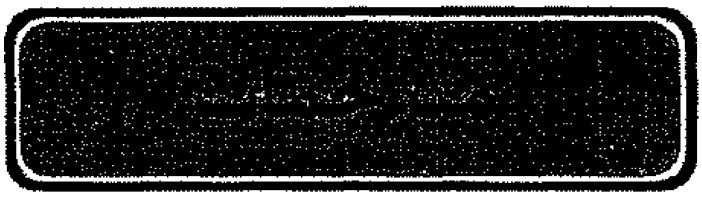

فينوس على جثة أدونيس (١)

معربة عن شكسبير

رأت شفتيه والبكى يستجيشها ... فما راعها إلاّ اصفرارٌ عليهما
وجست يداً كانت نطاقاً لخصرها ... فلا رمقاً فيها تُحس ولا دما
ومالت على أذنيه حتى كأنهُ ... ليسمع منها شجوها والتندما
وتفتح جفنيه لتبصر فيهما ... سراجين كانا يسطعان فأظلما
سراجين كانا يجلوان لعينها ... جمال محياها فواراهما العمى
وكانا لوجه الحسن أجمل مبصر ... فقد فجع الموت المحاسن فيهما
فقال «برغمى إنك اليوم ميّت ... وإن الضحى لمّا يزل متبسما»

* * *

«ألا أيُّهذا الحب إنك بعدهُ ... ستصبح داء فى الجوانح مسقما
ستصبح أنّى سرت ترعاك غيرة ... بعين تريك الوهم صدقاً مجسما
ستقبل محمود الأوائل سائغاً ... وتدبر مشئوم العواقب مؤلما
وإنك إما عن مرامك قاصرٌ ... فتأسف أو مجتازهُ متهجما
عذابك بالصفو الذى فيك راجح ... ومساؤك ممزوج به الرى والظما

* * *

«بلى سوف تغدو أيها الحب كاذباً ... لجوجاً ملولاً جافياً متبرما
يطير بعطفيك النسيم إذا سرى ... وترمى بك الأنفاس فى كل مرتمى

(*) فينوس على جثة أدونيس : جزء أول .

(١) فينوس عند الأقدمين هى ربة الحب وأدونيس فتى جميل من أبناء ملوك قبرص كان مولعاً بالصيد والطراد ورأته فينوس طارداً فهويته ونصحته بالإقلال من الصيد خوفا عليه ولكنه أبى ، وما زال حتى قتله خنزير وحشى فوقفت على جثته حزينة تريق عليها من شراب السلسبيل إلى أن نبتت فى موضعها زهرة نضرة ، والأقدمون يرمزون بهذه القصة إلى تجدد الربيع بعد موته ويقال إن عبارة أدونيس مأخوذة عن الشرق وأن اسمه مأخوذ من أدوناى وهو اسم من أسماء الله بالعبرية .

تطوف وما أحلاك يا حب ساقياً ... بكأس تغر الحاذق المتوسما
بكأس حوافيها نعيمٌ ولذةٌ ... وما ضمنت إلا سماماً وعلقما
تهد قوى الثبت المريرة من جوىً ... فتعرفهُ [1] إلا مشاشاً وأعظما
وتنفخ فى روع العيىّ فينبرى ... فصيحاً ويغدو مدره القوم [2] أبكما

* * *

«ويا حب تعفو عن كبائرَ جمة ... وتضطغن الذنب اليسير تجرُّما
ويا حب تضرى من يدب على العصا ... فيضرى ، وتنهى الضارى المتقحما
وتبتز أموال الغنى وربما ... منحت كنوز المال من كان معدما
عراقة [3] مجنون ورقة مائق [4] ... ويا ويح قلب وامق من كليهما
وقد يحلم الفتيان فى ميعة الصبا ... ويسفه فيك الشيخ إن بات مغرما
هيوباً ولا شيءٌ يهاب لقاؤه ... عسوفاً إذا ما الخوف قد كان أحزما
وترحم أحياناً وفيك قساوة ... وأنت بأن تقسو جدير وترحما
وأخدع شيء أنت إن قيل منصف ... وأصعب شيء أنت إن قيل أسلما
وإن شئت أزجيت الجبانَ فاقدما ... ووسوست فى قلب الجريء فأحجما

* * *

«ألا أيها الحب الغوىّ ألا انطلق ... على الناس سيلاً جارفاً أو جهنما
ألا ولتفرق والداً عن وليده ... فلا أمّ تحنو إن قسوت ولا ابنما
وكم فتنة يا حب توري ضرامها ... وترسلها شعواء فى الأرض والسما
ألا وليكن أشقى الأنام بحبه ... أحق امرئ فيه بأن يتنعما»
نبوءة ولهى رُوّعتْ فى حبيبها ... وجار الردى الباغى عليها فصمما

* * *

(١) فتعرفه : عرق اللحم كشطه وأبقى العظام والثبت المريرة هو الصبور الوثيق الخلق .
(٢) مدره القوم : المتكلم عن القوم . (٣) عراقة : شراسة .
(٤) مائق . أحمق .

العـــــرض (*)
معربة عن شكسبير

أرى الذكـــر للإنســـان أنفس جـــوهر ... تزان به أعـــراضـــه ومناقـــبـــه
ومـــا ســـارقى من يســـرق المال إننى ... أرى المال من يظفـر به فـهو صـاحـبـه
تَقلّب فى الأيدى فـقـبلك كـاسب ... حـواه ، وقـد يحـويه بعـدك كـاسـبـه
ولكنّ من يسلب من المرء عـرضـه ... فـذلك فى شـرع الحـقـيـقـة سـالبـه
يُضـيع على المثلوب زينة نفـســه ... وليس يفـيـد العـرض من هو ثالبـه

* * *

الـــوداع (*)
معربة عن بيرنز

قـــبلة بعـــدها يطول الفـــراق ... وعـناق ، وليس بعـــــدُ عـنـاق
سـوف أبكيك والمحـاجـر شَكْرَى [1] ... بـدمـــــوع من الفـــــؤاد تراق
ســـوف أدعـــوك فى الدجى بأنين ... وزفـيـر فى الصـدر منه احـتـراق
كـيف يشكو من عـشرة الجـد ظلمـاً ... مَن مـحـيـاك نجـمـه الأألاق
بيـد إنى درجت فى ظلمـة اليـأ ... س فـحَـوّلى من الظلام نطاق
لست ألحى على الهـام فـؤادى ... قـدَرُ الحب دفـعـه لا يطاق
من رآها فـكيـف يسـلو هواهـا ... يعـشق القلب إذ ترى الأحـداق
آه لولا صـبـابة وغـرام ... قـد شـربناه والكؤس دهاق
مـا غـدونا ولى فـؤاد كـسـيـر ... وجـبين سـيـمـاؤه الإطراق
فـسـلامـا يا قـرة العين والقلـ ... ـب وأحلى من صـوّر الخـلاق

(*) العرض – معربة عن شكسبير : جزء أول .
(*) الوداع – معربة عن بيرنز : جزء أول .
(١) شكرى : ملأى .

حـــاطك اللّه بالســـعـــادة والحب ... ورواك مـــــــاؤه الـرقـــــــراق
قـــبلةً بعـــــدها يطول التنائى ... وعنـاق ، أواه ! ثـم افـــتـــــراق

* * *

لا طـلع الصبـاح (*)

مترجمة ببعض توسع عن رواية روميو وجوليت

أمـبـتـعـدٌ ومـا اقـتـرب الصبـاح ؟ ... كـأنّ الدهر شـيـمـتـهُ الـسـمـاح !
أراعك صـــائح الطيـــر المغنى ... فـخلت الليل ينعـاه الصـيـاح ؟
ترّفقْ لا عـدمـتك من حـبـيب ... فـلـيـس عـلـيـك مـن رفـق جُـنـاح
فـــذاك البلبل المسكين يبكى ... فـيطربهُ كـمـا شـاء النواح
يـرفُّ لـه وجـنـح الـلـيـل داج ... على رمـــان دوحـــتـنا جناح
أكنت حـسـبـتـهـا الورقـاء هبّت ؟ ... لـقـــد واللّه جـــدٌ بـك المزاح
قليـلا مـا أقـمـت فـقف مَليـاً ... قُـبَـيل الفـجـر ، لا طلع الصـبـاح

* * *

الـــوردة (*)

مترجمة عن قطعة للشاعر الإنكليزى وليام كوبر

(وردة قطفتها صديقة للشاعر وقدمتها إلى صديقة أخرى فعرضتها هذه عليه تستندى قريحته فتناولها من يدها ثم هزها فتناثرت أوراقها فندم واستعبر ثم قال ذلك الشاعر الرقيق) :

أتتنى بهـا مَن خـدُّها مـثل لونهـا ... مـــبللة الأوراق باكـــيـــة الـسـن
جنتـهـا لهـا تربٌ حَـصـان تزفـهـا ... إليها ، وقد يجنى على الورد من يجنى

(*) لا طلع الصباح : الجزء الأول .
(*) الوردة : جزء أول .

كـــــــأنَّ ندىّ الطل دمعٌ أطله ... فـراق وُرَيدات صـغـار على الغـصن
فـأمـسكتـهـا خـجلى الحـيـا أهزها ... لتنشط من خـوف وتبـسم من حـزن
فما كان أقسانى ! لقد فاض روحها ... وطـرت بداداً فى التـراب إلى الدفن
ولو لطفت كـفى لفـاحت وأزهرت ... كما شئت من عطر وما شئت من حسن
كـــــذاك يكون اللوم طـعـناً وربما ... حوى بلسما يشفى الجريح من الطعن
وكم راح تعنيف الشـجى بروحـه ... ألا إن بعض العـذل يضنى ولا يثنى
ولو لمتَ فى رفق رأيت ابتـسـامـة ... تجـول مكان الدمع من جـانب العين

* * *

القـــــدر (*)

مترجمة عن بوب الشاعر الإنكليزى

إنما الغـيـب كـتـاب صـانه ... عن عـيـون الخلق رب العـالمين
ليس يبـدو منه للناس سـوى ... صـفـحـة الحـاضـر حـيناً بعـد حين

* * *

لامرتين على جبل الكرمل (*)

سقاك الحيا يا حوض أعذب ما سقى ... ففـيك قرأت الحـسن سطرا منمّـقـا
حـبـاك الفـضـاء اللازوردى لونه ... فـجـلاك كـالمرآة تلمع أزرقـا
أراك وقـد فـيـأت «ليلى» عـشـيـة ... صـمـوتا كـمن يصغى إليها محدّقا
تمثل منهـا وجـهـهـا - فـعلَّ عـاشق - ... يظل إلى مـعـشـوقـه مـتـشـوقـا
فـتطلعـه كـالبـدر يبـدو مـثـاله ... بمصطفق الآذىّ أبلجَ مـشـرقـا
فـمـا حـفلت عين بما فيك من حصى ... حكى الدر أو عـشـبٍ هنالك أورقـا

(*) القدر : جزء ثانى .
(*) لامرتين على جبل الكرمل : الديوان الجزء الأول الطبعة الأولى . (٦٨ فقرة ٦) .

وما ينظر الرائى السماء مصعّدا ... إلى الأفق بل يستوضح الماء مطرقا
لك الله كم حسناً حويت ورونقا ... روى الماء عن ليلاى فيك فأصدقا
فعينان أبهى زرقة وملاحة ... من الزهر ينمو فى حوافيك مونقا
وحسبك من در البحار بمبسم ... تضاحك فيه دره وتألقا
وثغر كأن الورد باكره الندى ... فجال على أوراقه وترقرقا
وجيد كمثل العاج أبلج ناصعا ... على أنه كالغصن مال على النقى
وفرع كخفق الموج فيك خفوقه ... يكلل منه الزهر فودا ومفرقا
وفيك من المرجان يا حوض دملج ... تحلى بأحلى معصم حين أحدقا

* * *

رفعت يدى دون النسيم وقد سرى ... مخافة ذاك الظل أن يترنقا
أحدث نفسى أننى منك لا قط ... إذا ما مددت الكف درا منسقا
وأرشف من ماءٍ هنالك ريقٍ ... جلا الحسن عذبا فى حواشيه ريقا

* * *

على أن ليلى خلفتك وأجفلت ... إلى أمها تعطو لديها تأنّقا
فأنى لأدلى فيك طرفى فلا أرى ... سوى الماء أمسى راكد الحس ضيقا
تذوقت منه قطرة بعد قطرة ... فألفيت ما لا يستطاب تذوقا
وكنت أرى حسنا فمالىَ لا أرى ... سوى حشرات أو نبات تفرقا

* * *

حنانيك يا بنت المشارق إن لى ... فؤادا بربات الجمال تعلقا
لحسنك سر فى الفؤاد كسرّه ... على الماء أن حكاك فدقا
فقد رسمت فيه لحاظك صورة ... مدى الدهر لا تمحى وتزداد رونقا
عذيرى من تلك اللحاظ كأنما ... هى النجم فى عرض السماء تألقا
إذا رمقت فالصبح ، أو حال دونها ... خمارٌ ، فهذا ليل من قد تعشقا

* * *

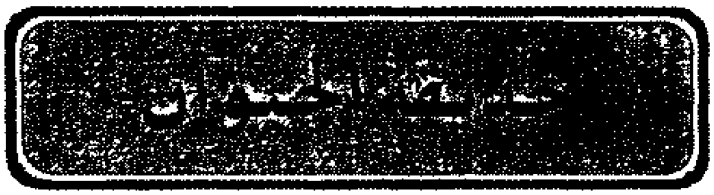

مسودات الحياة (*)

مسوّدة ! (*)

تأمل ترَ الأحياء عُجمًا كأنها ... مسوّدةٌ للخلق لَما تُنقّح
ويارب سر فى كلام مسوّد ... يعود فيخفى فى الكلام المصحح
أراها كأخوان تفاوت حظهم ... ومسيراتهم ، من سابقين ورزّح
فمن حائز نُعمى أبيه وأمه ... ومن خاسر رفديهما أو مطرّح
ومن يلقهم يلق الحياة كأنها ... حبتْ طفلةً من مهدها المترجّح

* * *

رأى واحد (*)

فى وضعين مختلفين

زعموا الإنسان قرداً ... قد ترقى وتحلى
وأنا س يزعمون الـ ... ـقرد إنسانا تدلى
هو رأى واحدٌ نقلـ ... ـبه علواً وسفلا

خنزير أعجف (*)

فيه خنزيرية ظاهرة ... ما نفاها عنه ذاك العجف
هو خنزير ولكن شانه ... جسدٌ فى وضعه منحرف

(*) مسودة : وحى الأربعين ١٤٠ .
(*) رأى واحد : وحى الأربعين .
(*) خنزير أعجف : هدية الكروان .

خمارويه وحارسه (*)

(كان لخمارويه بن أحمد بن طولون أسد عوّده أن يجلس بين يديه إذا أكل وأن يسهر إذا نام وقد سافر مرة وتركه بمصر فقتل فى دمشق ، فأعجب لرجل حرسته السباع واغتاله الناس! .)

ركنت إلى السباع خمارويه ... ولم تركن إلى أحد سواها
تحوطك نائماً وتبيت تخشى ... قلوب الناس أن يطغى أذاها
أليس من العجائب أن ليثاً ... يذود رعية عمن رعاها ؟
وأن يحمى ابنَ آدم من أخيه ... سباعٌ جَلَّ أن يُدعى أخاها
وثقت بذى حفاظ ليس يُرشى ... ولا ينسى الحقوق لمن حباها
وهم قتلوك حين وثقت منهم ... وكم حفظ العهود فما اعتداها
ولو شهد اغتيالك فى دمشق ... لضرّج بالجناية من جناها

* * *

العقاب الهرم (*)

يهم ويعييه النهوض فيجشم ... ويعزم ، إلا ريثه ، ليس يعزم
لقد رنّق (١) الصرصور وهو على الثرى ... مُكبٌّ ، وقد صاح القطا وهو أبكم
يُلملم (٢) حدباء القدامى كأنها ... أضالع فى أرماسها تتهشم
ويثقله حمل الجناحين بعد ما ... أقلاه وهو الكاسر المتقحم

(*) خمارويه وحارسه : الجزء الأول .
(*) العقاب الهرم : جزء أول . ٣٠ (١٢ (فقرة ٤٥) .
(١) رنق : طار طيرانا خفيفا .
(٢) يلملم : يضم .

جناحين لو طارا لنصت فدوّمت ... شماريخُ رضوى واستقل يلملم [1]
ويلحظ أقطار السماء كأنه ... رجيم على عهد السموات يندم
ويغمض أحياناً فهل أبصر الردى ... مقضاً عليه أم بماضيه يحلم
إذا أدفأته الشمس أغفى وربما ... توهمها صيداً له وهو هيثم [2]
لعينيك يا شيخ الطيور مهابةٌ ... يفر بغاث الطير عنها ويهزم
وما عجزت عنك الغادة وإنما ... لكل شباب هيبة حين يهرم

* * *

عيش العصفور (*)

حطّ على الغصن وانحدر ... أقلّ من لمحة البصر
مغرداً قط ما توانى ... مرفرفاً قط ما استقر
يلمس أيكاً بُعَيْد أيك ... كأنهما يلمس الإبر
مطارداً لا إلى طريدٍ ... مسابقاً لا إلى وطر
كخفة الطفل في صباه ... لكنها خفة العُمر
وروده نغبة فأخرى ... من خوّف الطائرَ الصدَر ؟
يقارب السحب ثم يهوى ... يبشر الروض بالمطر
أصدق من سار في سرار ... بين الحيا [3] العذب والشجر
ويستحث الرياح ضرباً ... بخافقيه فتبتدر
لله ما أهول المطايا ... وأضعف الراكب الأشِر [4]
طار وليداً شيخاً ... بين البغاتين والغدُر

* * *

(١) التدويم : تحويم الطائر في الفضاء والشماريخ القلال والمعنى أن خاصة الطيران سلبت من جناحيه فأصبحتا هما والجبال سواء . ورضوى ويلملم اسما جبلين .
(٢) الهيثم : العقاب الصغير .
(*) عيش العصفور : جزء أول .
(٣) الحيا : المطر .
(٤) الأشر : المرح .

لا أعين الماء ناضبـــاتٌ ولا خـلا الروض من ثمـر
أخـبـرُ بالنضج مـقلتـاه ممن ســقى الحب أو بذر
سلة عن الجند والزمـــر سله عن الملك والسُـــرر
لـم يـأتـه عـنـهـمُ بـلاغ ولا دليل ولا خـبـــر
هذا هو العـيش فـاغـبطوه عليـه يا أيهـا البـشـر

* * *

هذا هو العيش فـارحـمـوه عليـه واسـتـخـبـروا الغِيَـر
فـإن سـألتم فـسـائلوه عن صولة الصقر إن كسر [1]
وحـيـلة الدّبقْ [2] فى ثراه وغـيـلة الحـيـة الذكـر
هنـاك ينـزو لـه فـــؤاد لا يجـهـل الريب والحـذر
لم يخف عن أعين الليـالى ولا توارى من الصـغـر
حـبـائل الدهر قـانصـات من طار أو غـاص أو خطر
من عـاش يومـاً أو بعض يوم يعلم مـا ضـربه القـدر
أليس هذى الحـيـاة ذخـراً وحـارس الذخـر فى خطر ؟؟

* * *

الـكروان (*)

هل يسـمـعـون صـدى الكروان صـوتا يرفـرف فى الهـزيع الثـانى
من كل سـار فى الظلام كـأنهُ بعض الظلام تَضله العـيـنان
يدعـو ، إذا مـا الليل أطبق فـوقـهُ مـوجَ الدياجـر ، دعـوة الغـرقـان
ويشبّ فى الجـو السـحـيق كـأنهُ يبـغى النجـاة إلى حـمى كـيـوان [3]

(١) كسر : الطائر الكاسر هو المتهيئ للانقضاض على الفريسة .
(٢) الدبق : الشرك .
(*) الكروان : الجزء الأول .
(٣) كيوان : عطارد إله الغناء والفنون عند اليونان .

عـاف التـجـمل فـهـو فى جلبـابه ... فـــان يرتل كـــالأبيل الفـــانى [1]
مـــا ضـــرّ من غنى بمثل غنائه ... أن ليسَ يبطش بطشـة العـقـبـان
إن المزايا فى الحـيـاة كـثـيـرة ... الخـوف فـيـهـا والسُّطا سـيـان [2]

* * *

يا مـحـيىَ الليل اليـهـيم تهـجّـداً ... والطـيـــر آوية إلى الأوكـــان
يحـدو الكواكب وهو أخـفى مـوضـعـاً ... من نابغ فى غـمـرة النسـيـان
قل يا شـبـيـه النابغين إذا دعـوا ... والجـهل يضـرب حـولهم بجـران [3]
كم صـيـحـة لك فى الظلام كـأنهـا ... دقـات صـدر للدجنّة حـان
هن اللغـات ولا لغـات سـوى التى ... رفـعت بهنّ عـقـيـرة الوجـدان
إن لم تقـيـدها الحـروف فـإنهـا ... كـالوحى ناطقـة بكل لسـان
أغنى الكلام عن المقـاطع واللُّغى [4] ... بث الحـزين وفـرحـة الجـذلان

. . . . . .

ما أحب الكروان (*)

ما أحب الكروان !

هل سمعت الكروان !

مـوعـدى يا صـاحـبى يوم افـترقنا ... حـيث كـانت جـيـرةٌ أو حـيث كنا
عـاتفٌ يهـتف بالأسـمـاع وهنا [5] ... هو ذاك الكروان ، وهو هذا الكروان !

* * *

الكراوين كـثـيـر أو قليلْ ... عندنا أو عندكم بين النخـيـلْ
ثَم صـوتٌ عـابرٌ كلَّ سـبـيلْ ... هو صوت الكروان ، فى سبيل الكروان

* * *

(*) ما أحب الكروان : هدية الكروان .
(١) الأبيل الفانى : الراهب . (٢) سطا : جمع سطوة .
(٣) الجران : هو العنق . (٤) واللغى : جمع لغة .
(٥) وهنا : الوهن من الليل نحو منتصفه أو بعد ساعة منه .

لى صـــدى منه فـــلا تنس صـــداك ... هـو شـــــــاديك بـلا ريـب هـنـاك
فـإذا مـا عـــسـعس الليل دعـاك ... ذاك داعى الكروان ، هل أجبت الكَروان ؟

* * *

مـــــفـــــــردٌ لكـنـه يؤنـسـنـا ... ســـــــاهرٌ لكـنـه ينعـــــــسـنـا
صـــدحت فى نفـســـه أنفـــسنا ... فتسامعنا سواء ، وسمعنا الكروان ؟

* * *

واحـــــدٌ أو مـــــائة ترجـــعـــه ... عـنـدنـا أو عـنـدكـم مطـلـعـــــــه
ذاك شىءٌ واحـــد نســـمـــعـــه ... فى أوان وبيـان ، هو صـوت الكروان

* * *

واحـــدٌ بين عـــصـــور وعـــصـــور ... نحن نستـــحـــيى به تلك الدهور
لم يفـــتنا غـــابر الدنيـــا الغـــرور ... فى أوان الكروان ، مـا أحب الكروان

* * *

على الجناح الصاعد (*)

حـادى الظلام على جناح صـاعـدِ ... يا أرض أصغى ، يا كواكب شاهدى !
يا آنسين بصـــحـــبـــة من وجـدهم ... نُصـــوا المســـامعِ للأنيس الواجـــد
يا سـاهدين على انفـرادٍ فى الدجى ... ردوا التـــحـــيـــةَ للفـريد الســـاهد
المســـتـــعـــزِّ بعـــرسـه وكـــأنه ... منهـــا نجىٌّ مـــغـــاور وفـــراقـــد
لهـجت طيـورٌ بالضـحى وتكفّلتْ ... بالليل حنجـــرة المغنى الخـــالد
يحـدو ويشـدو لا مـســاعـد حـوله ... أبداً ، ومـــا هو آمنٌ لمســـاعـــد
أنا صـائد لصـداك ، لستُ بصـائد ... لك أنت يا كـروان ، فـأمن صـائدى
بينـا أقـــــول هنـا إذا بك من هنـا ... فى جنح هذا الليل أبعـــد باعـــد

(*) على الجناح الصاعد : هدية الكروان .

وودت يا كـــروان لو ألقـــيتَ لي ... صـــوتين منك على مكان واحـــد
إن كنت تشـــفق أن أراك فـــلا تَزلْ ... فى مســمعى وخواطرى وقصائدى
عـاهدت هذا الصـيف لست بواهب ... سمعى سواك ، فهل تراك معاهدى ؟
من كـان قـد أغنى الطبـيعـة كلهـا ... مُـغنِيٌ عن شـاد سـواه وشـائد

* * *

شـدو لا نـوح (*)

شـدوٌ القـمـاريٌ لا نوح القـمـاريٌ ... هل يعبر الحزن بالشادى الصباحيٌ ؟
أو الربيـــعيٌ فى أنس وفى أمل ... وفى غـــرام على الإلفين مطويٌ ؟
يا حـسنهـا من بشـيرات على دعـة ... كـأنهـا أمنت فـوت الأمـانيٌ
مـحـبّـبـات إلى الإنسـان تألفـه ... وتعـــتلى من ذراه كلٌ علويٌ
تهوى الديار ، وفى الآفاق مطلعها ، ... ما بالها ؟ هل سباها حسن إنسى ؟
ولأناسيٌ حـــسنٌ لا أبوح يه ! ... هل تعرف الطير ما حسن الأناسى ؟
غَنّتْ لزهر وسلسـال ولو رشـفت ... زهر المبـاسم جُنّت بالأغـانيٌ
أوْلى لقُـمـريّنا أن لا يحـوم على ... يأس الهـوى بين إنسى و «طَيْـرىٌ»
غـرد على الدور يا قـمـريٌ فى دعـة ... واسلم هنالك من باك ومـبكيٌ
واتلُ الرجـاء على هذا وذاك ولا ... تسألهما عن جوى فى القلب مخفيٌ
حسب المغانى التى يبكى الحزين بها ... من سلوة ، أن فـيـهـا شـدو قـمـريٌ

* * *

شفاعة الغراب (*)

حييٌ الغراب الفجرَ بالنعيب ... تحـيـة التـهليل والتـرحـيب
وافـتـرٌ نور الفـجـر كـالمجـيب ... فى غـيـر مـا لوم ولا تثـريب
لهـــاتف ناداه من قـــريب

* * *

(*) شدو لا نوح : هدية الكروان .
(*) شفاعة الغراب : هدية الكروان .

ما ذنب ذاك الناعب المسكين ألا يحيّ النور باليقين
تحية العصفور والشاهين ؟ ألا تدين كلها بدين ؟
فماله يعذل كالرقيب ؟!

* * *

شفاعةَ الأنوار والأحباب في الأسود المهجور في الخراب
ما الصّدحُ الهاتف بالعجاب أصدق حباً لك من غراب
فاعذره يا فجر على التشبيب

* * *

أسمعُه والطير في أوان وقُبلةَ الصبح ، وقد ناجاني
صوت حبيبي بادئ الحنان لذلك الموعود بالحرمان
وماله في الحسن من نصيب !

* * *

أمنتُ منه لوعة الفراق وكلّ (غاق) عنده وفاق
فلا يزل ينعم بالاشفاق من الرياض الفِسيح والآفاق
ومنك يا فجر ، ومن حبيبي

* * *

(*) الحب : أعاصير مغرب .

أسبوع فلورة (*)
أو تكريم الكلاب

(لا أعني تكريم كلاب الجاز ، فليس تكريم هذه الكلاب بالأمر الطارئ أو البدع الغريب . وما خلا زمان ولا مكان من كلب من كلاب الإنس علا به الجد إلى حيث باتت تتزلف إليه الأسود وتمشي بين يديه السباع ، فإن المرء ليجد كيف صار إنساناً له خسة الكلب وتذالته وليست له نظرته وإهانته ، والناس تظلم الكلاب بحشره في زمرتها ، ويرون نهاية الزراية وصفه بصفتها . وإن الكلبية لتبرأ براءة الإنسانية منه . . ولكني عنيت الكلاب ذات الأذناب وقد وصفها العرب ورثوها ومدحوا خفتها وسرعتها ولكنهم لم يسبقونا إلى الاحتفاء بها ، والاحتفال بولادتها وتسميتها ، وأن حقاً على الناس أن يجدوا الأمانة حيث كانت وأين ظهرت ، فهل نلام إذا نحن مجدناها في مخلوق من مخلوقات الله ؟

اجتمعنا في رهط من الأدباء ليلة من الليالي ، وجعلنا مناسبة اجتماعنا مضي أسبوع على ولادة كلبة لبعض أصدقائنا ، فقلت أبارك للنفساء وأحيي المولود ! :)

أعلني «يا فلورة» الأفراحا ... وامـلأ الأرض والسماء نباحا
ما حبا الدهر بنت كلب بأعلى ... من ذراريك عنصراً ولقاحا
أبشري ، دولةَ الكلاب ، بجرو ... سوف ينفي عن جيله الاتراحا
ما تقضّى الأسبوع إلا تمشى ... يذرع الدار جيئة وروحا
خلع الليل والنهار عليه ... فتوارى عن العيون ولاحا
حرّك الدهر ذيله حين وافى ... وعوى الكون بهجة وانشراحا !
سوف يدعى على الكلاب أميراً ... يفزع الأسد وثبةً وصياحا
يلبس الطوق من نضار ودر ... ويحوك الخز الثمين وشاحا

* * *

(١) أسبوع فلورة أو تكريم الكلاب : جزء أول .

واراه يعـــيـــد ســـيـــرة قطمـــ ـــيـــر [1] وقـــاراً وفطنة وصـــلاحـــا
لا أصـــابت عـــصـــا لئـــيم قـــفـــاه أو ثوى فى الطريق ليلَ صـــبـــاحـــا
لا ولا عـــضـــه من الجـــوع ناب يُشـخن الناس والســبـاع جـراحـا
أو ترامى على الموائد يومـــــاً يرقب العظم ســائلاً ملحـــاحـــا
أو براه داء الكـلاب فـــأخـــفى بين جـفنيـه عـــسـجـداً لماحـا
كـان إيواؤها حـرامـاً فـاضحى اليـو م إيواؤها حـــلالاً مـــبـــاحـــا
قـــد فـــرحنا فى عـــيـــده وطربنا وشـــربنا فى نخـــبـــه الأقـــداحـــا
يا كليـــبـــاً أزرى بذكـــر «كليب» لا تظنن مـــا نقـــول مـــزاحـــا
مـــا مـــدحت الأنام يومـــاً وإنى لست آلوك يا كليب امـــتـــداحـــا
أعـــجم الناس فى الوداد ومـــازا ل بنو الكلب فى الوداد فـصـاحـا
إن عىّ اللســان خـيـــر من النطـ ـــق إذا كـــان للأذاة ســـلاحـــا
وســـعـــار الكـلاب أهون شـــرا من ســـعـــار يمرق الأرواحـــا

* * *

أبو العيـــــد (*)

طائر يأكل دود القطن

أبا العـــيـــد لو جـــئت بين الأول لصلى إليك عـــبـــاد الجُـــعل
ولاتخـــــذوك إلـهـــــا لـهـم لـه مـلـة بـين تـلـك الملـل
وقـــــالـوا إلـهٌ رحـــيـمٌ بنا فـــمن يدنُ منه بســـوء قـــتـل
وأبدلت من شَـــرك بيـــعـــة على الأرض شـاهقـة كـالجـبل
وكـــان لعـــيـــدك فى أرضـــهم أبا العـــيـــد يومٌ عـــمـــيم الجـذل

* * *

(١) قطمير : كلب أهل الكهف .

(*) أبو العيد – طائر يأكل دود القطن : جزء أول .

وعل كردفان (*)
بحديقة الحيوانات

يا وعلَ القفر كيف أسرَى ... إلى حماك العزيز أسر
ساقُك يثنينها العوادى ... والضأن عدّاءة تكرّ
سهوت عنا وعن أناس ... يعجبهم سجنك الأمر
تذكر داراً نأيت عنها ... والعمر غض الأهاب نضر
والأرض قد ملّكتك فيها ... ساقٌ لها كالرياح مر
ترود منها سهلا ووعراً ... يرضيك مرج منها وقفر
لو فرّ من حتفه وليد ... لكنت فى رحبها تفر
هذى ديار وتلك أخرى ... هيهات من كردفان مصر !
وربما خلتَها قريباً ... لها وراء الحديد عبر
لو زحزحوا بابه قليلا ... حواك من كردفان عُقر ! (١)
تبلغها طفرة فأخرى ... ولا يؤد الوعول طفر
وكل ذى حاجة جهول ... وكل راجى الخلاص غر

* * *

قضاؤك الحتم فاحتمله ... واصبر وإن لم يفدك صبر
نت بحسن العزاء أحجى ... وبعض حسن العزاء كبر
تربك (٢) تسليك والروابى ... حولك رفّافة تسر
ألفتَ زأر الأسود فيها ... وكان للسمع منه وقر
وكنت إن همهمت تَمشّى ... قلبٌ بجنبيك مقشعر
أمّنك الذل وهو خوف ... وحاطك الأسر وهو شر

* * *

(*) وعل كردفان – بحديقة الحيوانات : جزء ثالث . ٢١٦ (١٩ فقرة ١٤٦) .
(١) عقر : الدار وسطها .
(٢) تربك : الترب الند والمقصود به هنا أنثى الوعل .

عش مفرد القيد ، إن أصلا ... نمالك بين الأصول حر
وما وجدنا الإنسان إلا ... مضاعف القيد لا يقر
للضيم فيه وفى ذويه ... حزٌّ بفوديه مستمر
نحن بنى آدم أسارى ... لنا بوشم الإسار فخر

* * *

الطير المهاجر (*)

علمتنى مواسم الروض أنّ الطـ ... ـير شتى : مهاجر ومقيم
أترانى لا أسمع الطير إلا ... فى رياضى معششاً لا يريم (١) ؟
رب شاد فى هجرة يتغنى ... وعليه السلام والتسليم
من جنوب إلى شمال ، وحيناً ... من شمال إلى جنوب يحوم
فله حين يستقلّ (٢) وداعٍ ... وله حين يقبل التكريم
خذ من الطير كلّ يوم جديداً ... فسواء جديده والقديم
كم مُوَلٍ وصفوه لا يولى ... ومقيم وصفوه لا يقيم

* * *

حديقة حيوانات آدمية (*)

(هذه الحديقة لا تجمع إلا الفنان أو المحب للفنون ، سمى كل زميل من زملائها باسم حيوان يلاحظ فى اختياره اتفاق الشبه فى الملامح والعادات . وقد جمعها الفن كما كان أورفيوس المعروف فى أساطير اليونان يجمع الأحياء حين يغنى ويعزف فتقبل عليه من كل فصيلة ، وهى لا تشعر بخوف أو تهم بعدوان :)

أورفيوس الفن سوّى بينها ... فتلاقى الدُّبّ فيها والقرودْ

(*) الطير المهاجر : أعاصير مغرب .
(١) يريم : يفارق .
(٢) يستقل : حين يبرح ويسافر .
(*) حديقة حيوانات آدمية : وحى الأربعين .

وتغنّى فرسُ البحر بها ... يالله من فرس طَلْقِ النشيد !
ومشى الأرنب والحوت لها ... صاحبا القاعين من لُج وبيد
وتآخَى الجِدىُ والضبْع وما ... بين هذين سوى الشأر اللدود
وجرى «السيسىُّ» فيها شوطه ... وهو ناهيك بسيسى عنيد
ولغا «البطريق[1]» فيها لغوه ... وهو من قطبٍ جنوبىٌّ بعيد
وكأنى بالزرافى [2] اجتمعتْ ... وحمير الوحش منها فى صعيد
وأوى السنَّور والجرو إلى ... نمر فيها ، على غير الوصيد [3]
والسُّلَحفاةُ تجارى عندها ... أرنب البيداء والكلب الصَّيود
فُتحتْ أقفاصها واختلطتْ ... لا سدود ، لا قيود ، لا حدود
حيواناتٌ نماها آدم ... وهى من أبنائه نسلٌ فريد
حيواناتٌ ولكن بينها ... كلُّ ذى لب سماوى رشيد
أورفيوس الفن سوّى بينها ... فاستوى المنشد فيها والمعيد

* * *

رثاء كلب(*)

حزناً على كلب طاهر [4] ... فإنه طاهر الكلاب !
تشابها فى خليقةٍ ... واتفقا - شيمةَ الصحاب
وربما عَىّ طاهرٌ ... وكلبه حاضر الجواب
فليس يُوفيه حقه ... من اكتئاب أو انتحاب
إلا إذا بات نابحاً ... نبح المساعير فى الخراب
عوْعوْ ، عَوْوَوْ ، بلا وبىٍّ ... ولا انقطاع ولا اقتضاب

* * *

(١) البطريق : هو الطير المعروف فى اللغات الأفرنجية بالبنجوين .
(٢) بالزرافى : جمع زرافة .
(٣) الوصيد : العتبة ، وفى البيت إشارة إلى الآية «وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد» .
(*) رثاء كلب : وحى الأربعين .
(٤) طاهر : هو الأديب طاهر الجبلاوى .

لا تسألوا رحمة له ... قد رحم اللّه واستجاب
لعله مات قانطاً ... من «أزمة» الأكل والشراب
منتحراً في شبابه ... وهكذا يفعل الشباب
أراحه اللّه من ضنىً ... أنقذه القبر من عذاب
فليحمد اللّه ربه ! ... من جاع فليرضَ بالتراب

* * *

كلب ضائع (*)

أوديوجين الكلبى (*)

أمست كلابك شتى ... وأنت يا صاح أنتا
كلبٌ نجا وهو حيٌّ ... وآخرٌ فرّ ميتا
ما بين تاركِ دنيا ... وتارك لك بيتا
قل لى بربك ماذا ... على الكلاب جنيتا
حتى «ديوجين[1]» ؟ قل لى ... يا شيخُ ماذا صنعتا
واللّه ما كان يأبى ... لو صادف الخبز بحتا
أو جَدتَ يوماً عليه ... فصادف الأدْمَ زيتا
زعمتَه راح يهوى ... من قومه الغرّ بنتا
لا تلزم الحب ذنباً ... من الصيام تأتى
فاحمل رغيفاً تجده ... فى أى صوب نظرتا
مصباحه [2] ليس يجدى ... فلا تُضع فيه وقتا
أنعمْ به من حكيم ... إلى ديوجين مَتَّا
رأى السلامة حقا ... ومن رأى الحق أفتى

* * *

(*) كلب ضائع - أوديوجين الكلبى : وحى الأربعين .

(١) ديوجين : الكلبى فيلسوف يوناتى . قد سمى الكلب باسمه لأنه كان كبير الرأس ولأنه يمت إلى الفيلسوف بصلة الكلبية .

(٢) مصباحه : كان ديوجين الفيلسوف يحمل مصباحاً فى النهار يفتش به عن رجل فلا يجده .

أمام قفص الجيبون (*)
فى حديقة الحيوان

(القرود العليا هى الشمبانزى و «الأرانغ أتانغ» و الغورلا» و«الجيبون» وهو فرع وحده فى رأى كثير من النشو ئيين ، لأنه صغير الحجم مختلف التركيب بعض الاختلاف .

ومن هذه القرود العليا ما يصلح – من الوجهة الشعرية – أبا للفلاسفة والحكماء وهو «الشمبانزى» لتأمله وسكونه وإشمئزازه من الحياة !

ومنها ما يصلح أبا لرجال المطامع والوقائع وهو «الغورلا» لبطشه وهياجه وقوة عضله .

ولكن «الجيبون» وحده هو الذى يصلح من الوجهة الشعرية أبا للفنانين والراقصين لأنه لعوب طروب ، رشيق الحركة خفيف الوثوب يقضى الكثير من أوقاته فى الرقص والمناوشة ، ويحب أن يعرض للناس ألاعيبه وبرواته ، وإذا صعد أو هبط فى مثل لمح البصر فإنما يصعد ويهبط فى حركات موزونة متعادلة كأنما يوقعها على أنغام موسيقية لا تخطئ فى مساواة الوقت ولا فى مضاهاة المسافة ، فإذا شهدته فاسأل نفسك :

ما بال هذا القافز الماهر قد وقف حيث هو فى «سلم الرقى» ولم يأت على درجات السلم كلها صعودا ووثبا فى بضعة ملايين من السنين ! هذا سؤال ، وسؤال آخر تعود فتسأله : ماذا يفيد من الصعود إن كان قد صعد ؟ الطعام المطبوخ ؟ هو يأكل طعامه الآن نيئا وذلك أنفع ، أو يأكله مطبوخا على يد غيره وذلك أدنى إلى الراحة !!

أو يفيد العلم ؟ فصاراه إذن أن يقول «لست أدرى» كما يقولها الإنسان كلما واجه معضلات الوجود .

أو يفيد وزن الشعر ؟ هو الآن يزن الحركة كما توزن التفاعيل والأعاريض . وغاية مسعاه إذا أتقن وزن الكلام أن تعجز يداه وقدماه عن رشاقة الوثب ورقصات اللعب لتستعيض منها بترقيص الكلمات وتوقيع المعانى ، وهو قاعد حسير ! أمام قفص الجيبون مجال واسع لأمثال هذه الأسئلة وأمثال هذه الموازنات :)

(*) أمام قفص الجيبون : عابر سبيل .

أيهـذا الجـيـبـون أنعم سـلامـا ... يا أبا العـبـقـرىّ والبـهلوان
كـيف يرضى لك البنون مـقـامـا ... مُـزريا ، فى حـديقـة الحـيـوان ؟

* * *

إلعبْ الآن وانتظر بعـدُ حـقْـبـا ... ترقَ فـى «سـلـم الـرقـى» وتـعـلُ
كـيف لم تصـعـد الـسـلالم وثبـا ... أيهـا الصـاعـد الذى لا يمل

* * *

يا عـمـيـد الفنون صـبـراً ، ومـهـلا ... وارض حظ الهـتـاف والتـهليل
مـرحـبـا مـرحـبـا ، وأهلا وسـهـلا ... والهـدايا مـا بين لب وفـول

* * *

انتظر يا صـديق شـيـئـاً فـشـيـاً ... تطبخ القـوت كله بيـديكا
غـيـر أنى أخـال مـا كـان نيـئـاً ... منه أجـدى فى الحـالتين عليكا

* * *

انتظر يا صـديق مليـون عـام ... أو مـلايين ، لست والله أدرى !
إن تدانيت بعـدها من مـقـامى ... فـقـصـارى المطاف أن لست تدرى

* * *

واصطبـر إن عناك نثـر ونظم ... سـوف تتلوا نثـرا وتنظم شـعـرا
وغـدًا يطفـر الخـيـال ويسـمـو ... والذراعـان لا تطيـقـان طفـرا

* * *

وجـمـال الوجـوه سـوف تراه ... فى المرايا ، بعـد الطواف الطويل
سـوف تحلو فى ناظريك حـلاه ... فـتـهـيـأ للضم والتـقـبـيل !

* * *

وإذا مـــــــا درســت أوزان رقـص بعـد لأى ، فـالرقص فـيك انطبـاع
هل تنال الكمـــال من بعـــد نقص إن أقـلـتُّـك فـكـرة ، لا ذراع ؟

* * *

قـفص أنت فـيـــه أرحب جـــدا من فـضـاء ، نقـيم فـيـه أسـارى
قـد ضللنا فـيـه وهيـهـات نهـدى ونجـوم الســمـاء فـيـه حـيـارى

* * *

انتظر ! ســوف تفـــهم الشىء باسم بعـــد رسم ، وغـــابر بعـــد حـــال
فـــإذا مـــا طلبت باطن فـــهم يا صـــديقى ، طلبت أى مـــحـــال

* * *

أين بالأمس كنت يوم ابتـــدأنا والتـــقـــينا بآدم فى الطريق
قـــد بلغنا . فـــأين تبلغ أينا حين تمضى وراءنا يا صـــديقى ؟

* * *

إلهُ والعب واضحك كـما شئت منا أنت طفل الزمـــان ، والطفل غـــر
سوف تبكى حـزنا وتضـحك حـزنا حـين يمضى دهرٌ ويقـــبل دهر

* * *

عتب على الجيبون (*)

(ذهب بعض الأدباء إلى حديقة الحيوان بعد نشر القصيدة السابقة ، وقصدوا إلى قفص «الجيبون» فإذا هو فى تلك الساعة كاسف البال صادف «المزاج» عن الرقص واللعب ، فجاءوا إلى صاحب الديوان يطالبونه بتعويض أجر الدخول إلى الحديقة ، كأنه هو الذى يعرض الجيبون ويتكفل للمتفرجين بتمثيل الاعيبه ، وفى الأبيات التالية رجاء كذلك الفنان ألا يكذب شهادته ولا يخيب ظنون الأدباء فى مدحه وتقريظه :)

أيها الجيبون لا تفـ ـضح تقاريظى وشكرى
أنت بعد اليوم محسو ب على نقدى وشعرى
أنت إن لم تحسن الرقـ ـص فمن يحسن عذرى ؟
أنت إن قصرت قالوا شاعر بالزور يطرى
ما لذا العقاد والتقـ ـريظ يغرى
أنه يهرف بالمد ح ولكن ليس يدرى
فاملأ الأقفاص يا جيـ ـبون طفرا أى طفر
وقل العقاد لا يخطـ ـىء فى تعريف قدر

* * *

(*) عتب على الجيبون : عابر سبيل .

بيجـــو (*)

رثـــاء

حزناً على بيجو تفيض الدموع
حـزناً على بيـجـو تثور الضلوع
حـزناً عليـه جـهـدَ مـا أسـتطيع
وإن حـــزناً بعـــد ذاك الولوع
واللّهِ - يابيـجـو - لحـزنٌ وجـيع

* * *

حـــزناً عليـــه كلمـــا لاح لى
بالليل فى ناحـــيـــة المنزل
مُـسـامـرى حـينا ومـسـتـقـبلى
وســابقى حـيناً إلى مـدخلى
كـــأنه يعلم وقت الرجـــوع

* * *

وكلمـا داريت إحـدى التـحفْ
أخـشى عليهـا من يديه التلف
ثم تنبـــهـت وبى من أسف
ألا يصيب اليوم منها الهدف . .
ذلك خـيـر من فـؤاد صـديع

* * *

(*) بيجو : أعاصير مغرب .

حـزنى عليـه كلمـا عـزنى
صـدق ذوى الألبـاب والألسن
وكلمـا فـوجئت فى مـأمنى
وكلمـا اطمـأننت فى مسكنى
مستغنياً . أو غـانياً بالقنوع

* * *

وكلمـا ناديتـه ناسـيـاً :
بيـجـو ! ولم أبصـر به آتيـا
مداعبـا مبتهجاً صاغياً . . .
قـد أصبح البـيت إذن خـاويا
لا من صدى فيه ولا من سميع

* * *

نسيت؟ لا . بل ليتنى قد نسيت
أحـسبنى ذاكـره مـا حـييت
لو جاءنى نسيانه مـا رضيت
بيـجـو معـزىّ إذ مـا أسيت
بيـجـو مناجىّ الأمين الوديع

* * *

بيجو الذى أسمع قبل الصباح
بيـجـو الذى أرقب عند الرواح
بيجو الذى يزعجنى بالصياح
لو نبحـةٌ منه ، وأين النباح ؟
ضيّعتُ فيها اليوم ما لا يضيع

* * *

خطوته . . . يا برحـهـا من ألم
يخـدش بابى وهو ذاوى القـدم
مستنجداً بى . ويح ذاك البكم !
بـنـظـرة أنـطـق مـن كـل فـم
يا طول مـا ينظر ! هذا فظيع !

* * *

ثم لا أرى النوم لعـيني يطيب
أنتم خـبـيـرون بنهش القلوب
يا آل قطمـيـر هواكم عـجـيب
غاب سنا عـينيك عند الغروب
وتنقضى الدنيا . . ولا من طلوع

* * *

نم واترك الأفـواج يوم الأحـد
والبـحـر طاغ والمدى لا يُحـد
عـيناى فى ذاك وهذا الجـسـد
بوحـشـة القلب الحـزين انفـرد
والليل . والنجم . وشعب خليع !

* * *

أبكيك . أبكيك وقلّ الجـزاء
يا واهب الود بمحض السـخـاء
يكذب من قـال طعـام ومـاء
لو صح هذا ما محضتَ الوفاء
لغـائب عنك . وطفل رضـيع

* * *

قصص وأمثلة

سباق الشياطين (*)

يا شـــيـــاطين الدجى حيّ هلا (١) وتغنّى الآن بالفـــعل الذمـــيم
أيّكم فـى الـنـاس أعـلـى منـزلاً فله عندى مـقـاليـد الجـحـيم

* * *

رنّ فى الندوة صـــوت الكبـــرياءْ رائعَ الصـيـحـة مـرهوبَ الصـدى
قـــال إنى أنا داء الأعـليـــاء أنا داءٌ لـهُـم فـــيـــه الـردى
مـالئٌ بالغـيظ قلب الضـعـفـاء تارك النابه (٢) فـيـهم أوحـدا
رُب خـيـــر بت أجـريه على منهج الفـتنة والشـر العـمـيم
ووضـــــيع رحت أذروه إلـى مطلع النجم كـمـا يُذرى الهـشـيم

* * *

ومـشى الشـيطان شـيطان الحـسـد مِـشـيـة الأفـعى إلى وكـر القطا
شـاحبَ السحنة مـهـضـوم الجسـد خـائفـاً فى جـبنه قـد أفـرطا
قـال : لو شـئت لما حـاز أحـدْ منكم السـبق وإن جـدّ الخطأ
بذوى القـربى ولُوعى والأولى بينهم قـربَى سـهـيم من سـهـيم (٣)
أجـدر الناس بأن يتـصـلا حـائل بينهـمـا كـيـدى العظيم

* * *

ونبـرى للقـول يأسٌ مـعـضلُ كلمـا هم تولاّهُ الضـجـر
قـال مـا لليـأس فـيكم مـأملُ لا ولا يرجـو مـقـاليـد سـقـر
بيـد إنى قـاتل لا يَعـقـل ومن القـتل حـيـاة للبـشـر

(*) سباق الشياطين : جزء أول . ٥٠ (٣٥ فقرة ٥٦) .
(١) هلا : أى أقبلى وتعالى .
(٢) النابه : المشهور .
(٣) السهيم : الشريك والحسد موكل بالنظراء من الناس وهم أحق الناس بالمؤاخاة .

أنا إنْ أيأست من وِرد حـــــلا ... فكمـــا ييـــأس من ثدىٍ فطيم
فـــذرونى ! كـــيف أبغى مـــؤثلاً ... بين خنّاس ووســـواس رجـــيم ؟

* * *

ثم أبدى الليل شـــيطانَ الندمْ ... ضـارعـاً يفـرق من خـفق الهـواءْ
اخـرس المِقـوَل من غـيـر بكم ... ولقـــد ينطق حـــيناً بالبكاء
يمقت الإثم ويغـــرى من أثِم ... بذنوب مـــاله منهـــا وقـــاء (١)
يمقت الإثم ويغـــرى بالطلا (٢) ... وهو بالشـــارب ينبـــو والنديم
يغـــفـــر الموتور للجـــانى ولا ... يرحم الجـــانىَ من وخـــز أليم

* * *

ومـــشى من جـــانب الحب أنينْ ... كـــشـــواظ النار يرمى بالشـــرار
لفح القـــومَ فـــهـــبـــوا صـــارخين ... وهُم فى الخلق من مـــــارج نار
أنا شـيطان الهـوى أفـرى الوتين (٣) ... كل من أغـشـاه مـسلوب القـرار
أنا للبـــغض ســـبـــيل والقلى ... وســـبـــيل للرزايا والهـــمـــوم
ليس فى الكون مكان قـــد خـــلا ... من صـــراعٍ أنا مـوحـيـه القـديم

* * *

ودعـــا الداعى بشـــيطان الكسلْ ... فـــتـــمطى ســـاعـــةً لا ينطق
قـــال لو راودت نجـــمـــاً لأفل ... وثوى فى أفـــقـــه لا يشـــرق
آفـة القـول جـمـيـعـاً والعـمل ... وبلاء اللّه فـــيـــمـــا يخلق
ورأى وجـــه الرياء المقـــبـــلا ... فـــتنحى خلفـــه وهو كظيم
مـــذ رأوه هتـــفـــوا مـــا أجـــمـــلا ... وهو يزوى عنهـمـو الوجه الدميم (٤)

* * *

(١) وقاء : كم أدى ندم المجرم على جريمة إلى اقتراف جريمة أخرى !! .
(٢) بالطلا الخمر .
(٣) الوتين : عرق بالقلب .
(٤) الدميم : للرياء وجهان : وجه جميل يظهر به للناظرين ووجه يستره عنهم .

قـــال : إنى أنا شـــيطان الرياء ... صـاحب الوجـهين أملود [1] اليـد
ألبس الأعـداء جلبـاب الإخـاء ... وأعـيـر العـبـد وجـهَ السـيّـد
وأمـيت النفس فى طى الخـفـاء ... فـهى تحـيـا كـالرفـات الملحـد
أنا فـيـمـا ابتلى صنو البلى ... أبدل الأحـيـاء إبدال الرمـيم
مـيتٌ من عـاش يومـاً مـبـدّلا ... ومـسـيخٌ وجـهـه وهو وسـيم [2]

* * *

أنصت الجـمع ولم يبق سـوى ... حكم إبليس بسـبق السـابق
رجع الأمـر إليـه فـاسـتـوى ... يلحظ الرّهط بعـينى حـاذق
ثم نادى بالرياء المجـتـوى [3] ... فـأبى الخب إباء المـاذق [4]
قـال تـأباها ولولاك المجلّى ... غـيـهب الأرض فكانت كـالنعيم
دونك الدنيـا اتخـذها منزلاً ... وتولّ اليـوم أبواب الجـحـيم

* * *

كولمب فى الأقيانوس (*)

من لكولمب والمخـاوف تشنيـ ... ـه وتزجـيـه خـادعـات الغـرور
هام بالعـالم الجـديد كـمـا ها ... م تقى بالعـالم المسـتـور
مـا ابتـغى جـيـرةً هناك ولا أهـ ... ـلاً ولا عـاذ عنده بنصـيـر
أى أهل وجـيـرة لهـمـام ... أوْحَـدىّ المنى قليل النظيـر

من له فـاتحـاً . ومـا فـاتح المجـ ... ـهـول يومـاً كـفـاتح المنظور
ضارباً فى حشا خضارة [5] تعلو ... ه سـمـاءً عـمـيـقـه التـدوير

---

(١) أملود : ناعم .
(٢) وسيم : من أظهر شعوراً غير شعوره فكأنه ميت حرم الحياة لأن الحياة هى الشعور .
(٣) المجتوى : المكروه . (٤) الماذق : المتلون .
(*) كولمب فى الأوقيانوس : جزء أول .
(٥) خضارة : من أسماء البحر والمحيط الأطلسى كما لا يخفى لم يذلل للركوب قبل سفر كولمب فكأن ظهره ظهر الأوابد أى الوحوش والحيوانات التى يلمسها الركوب .

يعتلى صهوة الخِضَمّ خضمًّا ... لم يوطّأ ، كالآبد المذعور
بين سخطين من صحاب غضاب ... أين يمضى ؟؟ وعيلم تيهور
يذرع الليلَ والفضاء بطرف ... شاخص لحظه ووجه وقور
ويضل الفجاج فى الصبح حتى ... يسبلَ الليلُ خيمةَ الديجور
فإذا النجم كالسفينة ركبٌ ... ليس يدرى هناك عقبى المسير

من لكولب لا السماوات تهد ... يه ولا النور فى دجاهُ بنور
يسأل السحب أين مسراك غرباً ... أين ترمين بالحيا المسجور (١)
أمعادٌ به إلى البحر أم تُحيـ ... ـين منه الثرى بصوب غزير
إنما يزجرُ السحاب وما كا ... ن سحاب بالطائر المزجور (٢)
لو نعيبَ الغراب (٣) يسمع لاعتدّ ... نعيب الغراب صوت بشير
فى سماءٍ ما قط حوّم فيها ... غير غادى سحابها من طير
كلّ يوم يرى بساطاً من المو ... ج شبيهَ المطوى بالمنشور
فيرى الراكبوه أن لن يزالوا ... راسياً فلكهم رسو ثبير (٤)
تظهر الشمس كل يوم ولا يأ ... ذن للأرض حاجب بالظهور
ثم لاحت فظنها القوم راحاً ... مدها اللّه من وراء البحور (٥)

* * *

غرضٌ كان لم يصب منه خيراً ... وتولى وليس بالمشكور
ذلكم آدم الذى أورث النا ... س كميراث آدم المعمور !

* * *

لا تلوموا الكبير يركب هولاً ... إنما الهول من مطايا الكبير
إن قلب العظيم بحر زخور ... فهو ما عاش فوق بحر زخور
كم ضلال فى اليمّ أرهب منه ... صراعاتُ الضلال فى التفكير

(١) الحيا المسجور : أى المطر المخزون .
(٢) زجر الطير : صناعة كانوا يزعمون فى الجاهلية أنها تكشف الغيب .
(٣) الغراب : الناس تتشاءم بنعيب الغراب ولكن كولب لو رآه قبل وصوله إلى أميركا لعلم أنه طار عن البر الذى كان ينشده فكان له بشيراً .
(٤) رسو ثبير : المناظر متشابهة فى عرض البحر الفسيح فإذا أصبح السفر فرأوا السماء فوقهم والماء تحتهم كما كانوا أمس حسبوا أنهم أصبحوا بحيث أمسوا وإن فلكهم كالجبل الراسى الذى لا يتحرك .
(٥) الراح : جمع راحة اليد .

الأثواب الثلاثة (*)

(إن أحقر الصعاليك قد تمر به ساعات يتمنى فيها الملك ، ولكن لا يؤخذ من ذلك أنه يحب أن يخلع نفسه ليلبس نفس الملك بل هو فى الحقيقة لا يتمنى الملك إلا ليتمتع بما يصبو إليه وهو صعلوك حقير . فالإنسان يحب نفسه ولا يبدلها بأى نفس أخرى . فإذا كان يحب حظوظ غيره فلأنه يحب نفسه ولو تساوت النفوس والحظوظ لما كان هناك باب للتمنى والعمل وهذا مثل تقسيم الأثواب فى القصيدة التالية فإنه لما اختلفت ألوان الأثواب أصبحت كل بنت تختار الثوب بعد الآخر ولا ترضى واحدا منها ، ولو تشابهت ألوانها لرضيت كل بنت بثوبها وربما كانت لا تتطلع إلى سواه . فكيف كان الإنسان إذن يرضى عن نصيبه ؟ إنه لن يرضى إلا إذا احتجز لنفسه كل المزايا ولم يبق لأحد مزية قط أو إذا تساوى الناس فى كل شىء فلم يبق لأحدهم مزية على الآخر .

ومن ثم يظهر لنا أنه لا يستطاع إرضاء الناس جميعا إلا بما فيه خراب الكون .)

ليلة العيد أقبلت بالسعود ... فاكتسى بالجديد كل وليد
واكتست بالجديد كل فتاة ... لبست جدةَ الجمال الفريد
وتواصت على الشباب أخيّا ... ت ثلاث فتنّ بالتقليد
يتسترن بالإخاء وتُزهى ... كل أخت بحسن وجه وجيد
لا تجل (العذراء) إن لم تجدها ... فى كساء من الطراز الجديد
قمن يقسمن بينهن شفوفاً ... غالياتٍ من زاهيات البرود
لاحقات الأثمان بعضاً ببعض ... واختلاف الألوان جِدّ شديد
فتنازعنها مليًّا وولت ... كل أخت بريبة المزؤد (١)
تنتقى الثوب ثم تزهد فيه ... ثم تُغرى بثوبها المردود
لم يكن غيره بأخلب وشياً ... لا ولا كان همها فى المزيد

(*) الأثواب الثلاثة : جزء أول .
(١) زأده : أفزعه .

حسداً والفضيل يبدو جليلا إن رآه الفتى بعين حسود

* * *

هكذا الخلق فى الحياة تعادوا فى حظوظ مقدورة وجدود
ظلموا دهرهم ولو بلغوا السؤ ل لما كان عندهم بسديد
لا تظنوا الشريد يرضى بأن يُبْـ ـعد من همه بهم العميد
لو تمنى العروش لم يرض أن يخلـ ـع فوق العروش نفس الشريد
وأحب النفوس نفسك لكـ ـنّ أحب الحظوظ حظ البعيد

* * *

غادة أثينا (*)

حدثنى عن دولة الإسكندر يا عروس الشعر واروى واذكرى (١)

* * *

كاعب كالظبى إلا أنها دون نهديها جنان القسوَر (٢)
علّمتها أمٌّ علمت صِنوها البأس وقور الضَّمّر (٣)
رضعت ثدى أثينا حرةً ونمت فى أمة لم تقهر
أمة حسب بنيها سوداً أنهم رهطٌ عزيز العنصر
وغزاها فاتح الأرض كما تحدق النار بوكر الأنسُر
وابتلته بحنان صابر وابتلاها بالعديد الأكثر
وسطا الجند عليها كالدّبا (٤) بين ألفاف النبات المثمر

* * *

(*) غادة أثينا : جزء أول .
(١) هذه الحكاية مأخوذة من سيرة اسكندر فى تراجم فلو طرحش بتصرف كثير .
(٢) القسور : الأسد .
(٣) الضمر : المعنى أن الأمة التى تعلم بناتها العفة هى الأمة التى تعلم أبناءها الشجاعة وركوب الجياد .
(٤) كالدّبا : الجراد .

To: www.al-mostafa.com

راود الغـــادة منهم قـــائد ... سـيئ الخِـيم غَـرىّ المنْظر (١)
أيهـا الفـاتك بالعـرض الذى ... صـانه الطهـر ترفق واحـذر
أغـمـد السيف فـهـذى وقـعـة ... لم تصب فـيـهـا ، لمّا تظفـر
خـضت حـرباً ليس من آلاتهـا ... منصل العـضب وسَـرْد المغـفـر (٢)
دون ذاك النصل سـيف لهـذَم ... من شبـا اللحظ وقـد سـمـهرى (٣)
دون ذاك السـور سـد مـحكم ... من عـفـاف واضح للمـبـصـر
دون ذاك الحـصن قلب مـضـمـر ... كـيف يُرمى حـسن قلب مـضـمـر ؟
تبَّت الحـرب فـمـا فى غـيـرها ... حل للجـيش حـرام المِنْسَـر (٤)

* * *

أيأسـتـه من رضـاها فـارتضى ... من حلى الغـيـد بخط المشـترى
قـال أين المال ؟؟ قـالت هاكـه ... يمم البـسـتـان وابحث وانظر
دونك البـسـتـان فـانزل بئـره ... والتـمس فـيـهـا نفـيس الجـوهر
إننى أحـرزت فـيـهـا لؤلؤا ... ليس يُلفى مـثله فى الأبحـر
وأتى البـئـر فـزجـتـه يد ... بضـة بيـضـاء مـثل المرمـر
فـتـردّى ، فـارعـوت تقـذفـهُ ... برجـوم كـالغـمـام الممطر
واحـتـوته البـئـر فى أعـمـاقـهـا ... كـاحـتـواء النفس سـر المنكر
إن من كـانت حـضـيـضـاً نفـسـه ... لحـقـيقٌ بالحـضـيض الأكـدر

* * *

ورآها الجند فـاجـتـازوا بهـا ... عند ذى القـرنين هوْلَ المحـشـر
لابس الغـار عليـه أخـضـرا ... وهو مـفنى كل زرع أخـضـر
وقـفت وقـفـة لا مـسـتـعظم ... عـزةَ الملك ولا مـسـتـغـفـر
قـال من أنت ؟ فـقـالت «إننى ... أخت (ثيـجين) الأبىّ الشّـمـرى

---

(١) المنظر : الخيم الطبع وغرى أى يغرى بجماله .
(٢) المغفر : منصل العضب أى حديد السيف وسرد المغفر أى نسج الدرع .
(٣) سمهرى : اللهذم القاطع والشبا الحد .
(٤) المنسر أن ما يحرمه الناس على مناسر اللصوص يحللونه فى الحرب .

أخت (ثيجين) فسل مِن قومكم ... عنه مَن لاقاه تحت العَثْيرَ [1]
مات فى الحرب التى أرّثها [2] ... بغى فيليب أبيكَ الغَمشر
ذاد عن أوطانه ثم افتدى ... دوحة المجد بغصن «مزهر»

* * *

قال ذو القرنين إنى باسط ... لك فيْأ [3] فاسكنى أو فاهجرى
وخذى مما وهبنا أو دعى ... لن تُنالى بالأذى فى عكرى

* * *

أورمزد واهرما (*) (٤)

أورمزد يا مخلفَ آمالى ... آمالى يا مخلقاً جدّة سربالى
إذا تجهمت لأهل الثرى ... مزقت بالأضواء أوصالى [5]
وتمسح الأدمع من عينها ... حتى يبيت الصب كالسالى
الآن فلأحجبك عن أعين ... أحييتَها فى الزمن الخالى

* * *

مقالة فاه بها أهرما ... ثم مشى مشية مختال
لاقى بها الشمس وقد صدها ... بالغيم عن سهل وأجبال
يضحك بالرعد ويبدى لها ... بالبرق عن أنياب أغوال
فالتفتت فى برجها لفتة ... وابتسمت هادئة البال
قالت وهل يحجبنى شانئ ... لولاى لم يلحق بأذيالى ؟

---

(١) العثير : غبار الوقائع .
(٢) أرثها : أوقدها .
(٣) فيأ : ظلا .
(*) أورمزد واهرما : جزء أول .
(٤) هما إلها الخير والشر عند قدماء الفرس وقد مثلت لأولهما بالشمس وللثانى الغمام .
(٥) الأوصال : هى الأعضاء .

تحجبني حيناً ولكنني ... أزجيك للخيرات والنال [1]
لو علم الناس مصير الأذى ... لنافسوا في الشر بالمال

* * *

عند حلاق (*)

ما بالها تطفر كالغزال ... ساحرةً بالتيه والجمال
هيفاء من أوانس الأندلس ... ذات جبين كالنهار المشمس
قد أسفرت حالية بالنّور ... في وجنة ومقلة وثغر
من كلّ زهر ناضر الرواء ... والزهر لا ينضر في الشتاء
ثم استوت في مجلس هناكا ... تمد للخلائق الشباكا
أمامها المرآة فيها يظهر ... ما ليس في غير المرائي تبصرُ [2]
تمثالها في صفحة البلور ... مرتسما بريشة من نور

* * *

وكان يرعاها أريب كيّس ... فقرٌ في موضعه لا ينبس
وصوّب الطرف إلى الرذيلة ... يرمق تلك الصورة الجميلة
كمن يهاب الشمس في السماء ... فيرتضي بقرصها في الماء
وساءها حتى إلى الطيف النظر ! ... أهكذا تبخل ربات الخفر ؟
الحسن إن ضن به المليح ... كالمال إذ يدفنه الشحيح
والزهر إذ يزكو لغير ناشق ... والبدر إذ يبدو لغير رامق
فأقبلت غضبى إلى قرينها ... وأومأت سخراً إلى مجنونها !
قالت ألا تنظر للمغرور ... حدّق في المرآة كالمسحور
مازال يرنو نحوها بالطرف ... حتى لقد أخجل فيها طيفي

---

(١) النال والنوال : بمعنى واحد .

(*) عند حلاق : جزء أول .

(٢) تبصر : المعنى أنها ترى أمامها في المرآة ما لا تبصره هي إلا في المرايا لندرة من يماثلها من الحسان .

فـــأومـــأ القـــرين للحـــلاق ... يبـتـــسم ابتـــسامـة الإشـفـاق
وقـــال : قل للصـاحب الصـديق ... لا يكســـر المرآة بالتـــحـــديق
من يكْثـــر اللمح لهـــا بالليل ... قـــد يعـتـــريه خـبل فى العـقل

* * *

فـأطرق الأديب كـالمـستـعـتب ... وقـال «عـفـوًا» يا قـرين الكوكب
مـــا فى المرايا ثَمّ من شـــيطان ... يُخـــاف منه المسّ للإنســـان
لكنّ فـيـــهـــا ملكاً مكمّـــلا ... يوحى لنا الحـــسن كـــمـــا تنزلا
ملكتَ منه الذات واســـتـــأثرتا ... فـفـز بهـا مـغـتـبطاً ، هنئـتـا
ودع لنا هذا الخـيـــال مـغنمـــا ! ... ليس الخـيـال حـرمـاً أو مـحـرمـا

* * *

أمنـــا الأرض (*)

(مغزى هذه القصيدة أن الخوالج التى تحرك الأطفال هى الخوالج التى تتصرف بالرجال ، وأن الأقدار تخدعنا ونحن جادّون بالحيل التى تخدع بها الأطفال وهم لاعبون ، وأنها تؤدبنا فنسخط ونحن نؤدب الأطفال ثم نعجب لأنهم يسخطون) .

أســـائلُ أمنا الأرضـــا ... ســـــؤال الطـفـل لـلأم
فـتـخـبـرنى بما أفـضى ... إلـى إدراكـــــه عـلـمى

* * *

جـــــزاها الـلّه مـن أمّ ... إذا مـــا أنجـبـت تئـــدُ (١)
تُغـذّى الجـــسم بالجـــسم ... وتأكـل لحـم مـــــا تـلـد

* * *

(*) أمنا الأرض : جزء ثانى .
(١) تئد : تدفن أولادها .

ألا يا أمّ كم طلعـــــا عليك الشمس والقمرُ
وكم أسنى وكم وضعـــا على أرجائك القـــدر

* * *

أقاموا أمسِ وانصرفوا فليس لفَلّهِم [1] شملُ
فأين نفس من سلفوا وأين يكون من يتلو

* * *

فقالت فى ملامحكم يبين الجدّ والخلَف
فجوسوا فى جوانحكم فثمّ يجوس من سلفوا

* * *

وأين عظام من نبها [2] من الماضين فى السِّير
فقالت قد صنعت بها لكم حلوى من الثمر !

* * *

وما المجد الذى أضرى قلوب بنيك فاشتجروا ؟
فقالت حلة كبرى يراها القلب لا البصر

* * *

فقلت لها : فما العمل ؟ فقالت خادم الحُلُم
وما الأحلام والأمل ؟ فقالت حيلة الأم

* * *

وقد يُحتال للطفل على خير له مُجد
ألا ينبو عن الأكل إذا لم يُغرَ بالوعد [3]

* * *

(١) فل الجيش : هو ما تبدد منه . (٢) نبه : اشتهر .
(٣) بالوعد : الأمل كاللعبة التى توضع أمام الصبى ليمشى إليها حتى إذا بلغها أبعدت عنه وهكذا إلى أن يقوى على المشى وكذلك الأمل كلما بلغنا منه منزلة لاحت لنا منزلة أعلى فيبعثنا على العمل الذى يقدمنا ولولاه لما عملنا .

فـقلت لهـا مـا السَّـقمُ ومـــــا الآلام والبـلوى
ومـا الأفـات تخـتـرم شـبـابَ الأحـور الأحـوى ؟

* * *

فـــقـــالت إنما البلوى عـقـاب الطيش والنَّهم
فـإن جـرتم على الحلوى هززت لكم عـصـا الألم

* * *

وقلت لهـا فـمـا الذهبُ وفـيـمَ طويتـه عنا
فـمـاج الناس واضطربوا فـلا عطفـاً ولا أمنا

* * *

فـقـالت لست أحـسـبـه سـوى ضـرب من الحـجـر
وإن الطفل مطلبُـه أشـد لكل مـسـتـتـر

* * *

يجـد الطفل مـفـتـتنًا بما لم يُبـدِه العلَنُ
ويحـسـب جـهـده ثمنًا لشيء مـا لهَ ثمن !

* * *

لَزدت بقـولهـا خُـبْـرًا وزدت بقـولهـا جـهـلا
فـمـا ألفـيـتـه وعـرًا ومـا ألفـتـيـه سـهـلا

* * *

وصـحت بهـا إلى أينا إلي أين المصـيـر بنا ؟؟
فـغـضّت عـينُهـا الجـفنا وصـدت عنّيَ الأذُنا

* * *

بنى الدنيا لعابٍ بها ... ففى الأبواب قصّاد
لكم يوم بملعبها ... وتحت الأرض آباد

لها ملهىً تكرره ... إذا ما انفضّ لم يُعقدْ
نغادية فننظره ... ويوصَدُ بابُه السرمد

سيان (*)

ياشمس ما ضرّك لو لم تشرقى ... يا روض ما ضرك لو لم تعبق
يا قلب ما ضرك لو لم تخفق ... سيان فى هذا الوجود الأحمق

من كان مخلوقًا ومن لم يخلق

المعرى وابنه (*)

قال المعرى :

وإذا أردتم بالبنين كرامة
فالحزم أجمع تركهم فى الأظهر

(فهو والدرؤف صد أبناءه عن الحياة رحمة بهم ! فيالها من رحمة لا يعرفها له أبناؤه ! ومتى كان الأبناء يعرفون البر للآباء؟ والقصيدة الآتية محاورة بين المعرى وابن له فى الغيب يتوسل إليه أن يريه الحياة وهو يذوده عنها وينصح له بالبقاء فى عالم العدم) .

يا أبى ! طال فى الظلام قعودى ... فمنى أنت مخرجى للوجود ؟

طال شوقى إليك فاحلل قيودى

(*) سيان : جزء رابع .
(*) المعرى وابنه : جزء ثانى .

يا أبى عـــالمُ الظلام مـــخـــيف ليس يقوى عليه طفل ضعيف
فاجزنى من ظله المسدود

حَدِّثونا عن الحياة العجاب فلهجنا بحسنها الخلاَّب
وظَمئنا لحوضها المورود

حدثونا عن الدجى كيف بسطو وعن الصبح بعده كيف يعطو
وعن النحس فيهما والسعود

حـــدثونا عن دارها وبنيـــهـــا وجهادٍ يُمنى[1] به القوم فيها
وعن الموت بعدها والخلود

أرنى الجهـــر يا أبى والخفـــاءَ أى شىء ذاك المسمَّى شقـــاءَ ؟
أى سر يُراد بالمولود ؟

ما الوجوه الحسان ؟ وما النُّوار ؟ ما الدرارىّ ؟ ما الفلا ؟ ما البحار ؟
إن دأب الوليد حبُّ الجديد

لى جـــــدود وليس لى أبوان ولئن شـــئت آن فـــيكم أوانى
وتملَّيت قسمتى فى الوجود

* * *

ولدى ! إننى أبوك الرحـــــيم أنا بالعـــــيش يابنى عليم
لا تصدق مقالةً من بعيد

ما حياةٌ تشقى وتسعد فيها تتـــعنَّى لكن بما يعنيـــهـــا
فى عظيم تُبلى به أو زهيد

(١) يمنى : أى يبتلى .

يحسب الحى جهده لهواه جهل الحىُّ جهدهُ لسواه
إنما المرء آلة للجدود[1]
إنّ غُنم الحياة من لم يجده لم يُمتّع به ، ولم يفتقده
فاغتنم ربح شرها المفقود
شرها يا بنىَّ شرٌّ ثقيل خيرها يا بنىَّ خيرٌ قليل
أهلها يا بنىَّ أهل حقود
زعموها إلى الخلود تؤدى ما رأينا سوى فناء ولحد
فيه مُوْد على تجاليد مُودى
قف بباب الحياة لا تدخلنها واعتصم يا بنىَّ ما اسطعتَ منها
سوف ألقاك - فانتظر - بالوصيد

* * *

هكذا أقنع المعرى الوليدا فتنحى عن الحياة بعيدا
والتفى الشيخ وابنه فى اللحود

* * *

بين الشاعر(*)
وعروس شعره

كفى يا عروس الشعر خيبت آمالى وكذّبت أحلامى ، وأشمتّ عذالى
إذا ما وعدت أخلفت فى غد وهيهات لا تبقين يوما على حال
يظل غريرا من أعارك سمعه وإن عاش أجيالا عفتْ بعد أجيال

* * *

كفى يا صديق العهد هيجتَ بلبالى وما أنت بالسالى هواى ولا القالى
ملامك فيه الحق ، أو فيه بعضه وما غاب عن ظنى ولا بان عن بالى
إذا قلتُ زورا فهو من صدق شيمتى ومن يصف الدنيا يصف خيمَ[2] ختّال
إذا هزلت أمى الحياة فهل ترى من الصدق ألا يطرق الهزلَ أقوالى ؟
بحسبك من عذرى إذا ما عذلتنى أمانة تمثيل ، وروعة تمثال !

(١) للجدود : الحظوظ . والمعنى أن الإنسان مسخر فى الحياة وهو يحسب أنه خلق لنفسه وأن الحياة نعمة تعنيه هو وما نصيبه منها إلا أقل من نصيب الأقدار التى تسخره لغاياتها .
(*) بين الشاعر وعروس شعره : وحى الأربعين . (٢) الخيم : الطبع والعادة .

حانوت القيود(*)

(الحياة كالمرأة إذا أحبت امرءاً قيدته بأحابيلها وعلّقته بهواها ، فمن كان حي النفس تحتفظ الحياة بوجوده فهو مقيد بالغرائز والأهواء ، ولا تضعف هذه الغرائز والأهواء في الإنسان حتى يكون منبوذاً من الحياة كأنه عاشق لها مملول لا تبالي هي أن تطلق له القيد وترسله حرا متى شاء ، فكلنا طالب قيد مزاحم على حانوت القيود . ونحن على هدى من سبل الحياة ما دمنا مقيدين بوهم من أوهامها أو عاطفة من عواطفها ، لأن قيودها تلك هي الأزمة التي تقودنا بها إلى حيث تريد) .

جزى اللّه حانوت القيود فإنه ... مناط الأماني من بعيد ومُكثِب(١)
تزوّد منه الناس في كل حقبة ... وحجوا إليه موكبًا بعد موكب
يصيحون فيه بالقيون(٢) كأنهم ... سراحين(٣) في واد من الأرض مجدب
فمن قائل عجل بقيدي فأنني ... طليق ، ومن عان كثير التقلب
إذا أخطأ الأغلالَ قطّب وجهه ... كئيبًا ، وإن أثقلته لم يقطب
يطوفون بالمغلول طوفة عاطل ... فقير بموشيّ الطيالس معجَب
فهذا إلى قيد من العقل ناظر ... وما العقل إلا من عقال مؤرّب(٤)
يخفّض من أهوائه كل ناهض ... ويغلب من آماله كل أغلب
يمشي بأغلال التجارب معجبًا ... على غبطة منه لمن لم يجرب
وهذا إلى قيد من الحب شاخص ... وفي الحب قيد الجامح المتوثب ففي
ينادي : أنلني القيد يا من تصوغه ... القيد من سجن الطلاقة مهربي
أدره على قلبي وعقلي ومهجتي ... وطوّق به كفي وجيدي ومنكبي
ورصّعه بالحسن المسوّم وأجلُه ... بكل سعيد في المناظر طيّب

(*) حانوت القيود : جزء ثالث ٢٠٤ (٥ فقرة ١٤٤) .
(١) المكثب : القريب . (٢) بالقيون : جمع قين وهو الحداد .
(٣) سراحين : ذئاب . (٤) مؤرب معقد .

عـــزيز علينا العيش حـــرا وحـولنا ... أسارى الهوى من فائز ومخيّب
ورب رخىّ البـــــال تمت حظوظه ... يقـيـد دنيـاه بعنقـاء مـغـرب
أمـانىّ يقـفـوها فـتـربط خطوَه ... رباطَ الدياجى خطوة المتـــشكب
وآخـــــر أضنتـــــه الملالة باسط ... يديه إلى الأعـمـال فى غـيـر مأرب
إذا مـا رأى المكدود يمقت عـيـشـه ... تمنى على الأيام شـقـوة مـتـعب
وكم طامع فى الجاه والجاه عصمة ... ولكنه كـــالمعـــقل المتـــأشب
يصـــد العـــدى عن ربه ويصـــده ... عن الناس صـد المحجم المترقّب
ورب عـقـيم حطم العـقم قـيـده ... يحن إلى القـيـد الثقيل على الأب
إذا منّت الدنيـا عليـه أجـابهـا ... بلعنة مـوتور وعـولة مـتـرب[1]
يرى أن حـال المفـتـدى من إسـاره ... لديهـا كـحـال المجتـوَى المتـجنّب
ومن لم تعلّقـه الحـيـاة بقـيـدها ... فيا سوء ما اختارت له من تقرّب

* * *

بنى آدم لا تنكروها فـــإنهـــا ... مـيـاسم من أرواحكم لم تُغيّب
فـمـا تكرهون القـيـد إلا لأنكم ... تتـوءون منه بالثـقـيل المشـعّب
أعـــزكم من لا مـــزيد لوقـــره ... ولا فـضل[2] فى أغـلاله لمعـقّب
وقـد زعـمـوا أن القـيـاد قـيـادة ... لمن كان يمشى فى مجاهل غـيهب

* * *

(١) مترب : فقير .
(٢) فضل : بقية .

أكاروس(*)

(قصة «ديدالوس» و«أكاروس» تروى على روايات كثيرة فى الأساطير اليونانية القديمة . وقد اخترنا هذه الأسطورة لنظمها والتعليق عليها لأنها تجمع العبرة والمتعة الخيالية ، وهذه هى خلاصتها : ديدالوس بطل كانوا يضربون به المثل للقدرة الخارقة فى الصناعة وحسن الحيلة فى تذليل المصاعب والخروج من المأزق ، وزعموا أنه غار من ابنه أخته الذى كان يتعلم على يديه فقتله وأخفى جثته ، ثم خاف العاقبة فهرب من أثينا ومضى يضرب فى البلاد برا وبحرًا حتى نزل «كريت» على صاحبها «مينو» فلقى عنده كرامة وحسن وفادة . وأمل «مينو» أن يستفيد من علمه وقدرته فى تحصين بلاده وتعليم رعيته فأبقاه وتكفل له بالحماية وطيب المقام .

وكان لمينو زوجة جامحة الهوى تحب ثورا مشهورًا فى الأساطير «منوطور» . فولدت منه طفلا لا إلى الثور ولا إلى الإنسان ، وغلب عليها حب الأم فأرادت أن تستحييه وتحفظه فى غفلة من زوجها الخدوع ، فلجأت إلى ديدالوس تطلب إليه أن يبنى لذلك الطفل سردابا مجهول المنافذ تضعه فيه وتتعهده بالتربية والحراسة . فتردد الصانع أولا وحسب حساب الرفض والقبول ثم قبل أن يصنع السرداب مخافة من دسيسة الزوجة واطمئنانًا إلى خفاء الأمر بعد بناء السرداب ، ولكن الملك علم به فصارت ثورته وأغلق مسالك الجزيرة ومنع أن يفلت ديدالوس منها هاربا من عقابه ، فلما اشتد الحجر على ديدالوس هدته الحيلة إلى صنع أجنحة له ولولده «أكاروس» يطيران بها عن الجزيرة ، ونصح الحكيم الصناع ولده ألا يعلو فى السماء فتذيب الشمس لحام جناحه ولا يهبط على الماء فيبللهما الرشاش الكثير . ولكن الولد نسى النصيحة وهو فى نشوة الطيران والوثوب ، فعلا مصعدًا إلى الشمس وكان ما خافه أبوه ، إذ سقط هالكا على صخرة فى البحر يبكيه من حولها بنات الماء ، فالأسطورة مجال لاستعراض عبر الشهرة والغيرة والشهوة والطماح) .

(*) أكاروس : وحى الأربعين .

«أكاروس هذا مسبح الطير فاركب ... وتلك المهاوى من خُضارةَ[1] فاجتنب
زوى الغاشم المخدوع عنا سفينه ... ونادى ، فنحّى جنده كلّ مركب ؟
بنا عجزًا ، فيا سوءَ رأيه ! ... متى حيل ما بين السماء وكوكب
أدر مركب الريش الذى ما استقله ... أنيسٌ ولا جنٌ ولا ذات مخلب
وطر نلتمس عِبْرَ[2] الشمال ونرتحل ... على سنة الطير التى لم تُهذَّب
تراها إذا ضاقت بلاد بسربها ... على أهبةٍ فى جوها المتقلب»

«ألا وادّخر عزمًا يقودك شرخه ... إلى الأوج ، فاحفظه لشوط مغيّب
وسر قدُمًا . إن المطار لواحدٌ ... ولكنْ سبيل الأوج ليس بمقرب[3]
أكاروس ! إنا هاربان من الردى ... فلا تجعل العقبى إلى شر مهرب
توسّط فلا تهبط ولا تعلُ مصعدا ... ولا تكُ من يعلو إلى غير مطلب
فإنك أن تغترّ بالشمس ينخذلْ ... جناحاك ، أو تبتلّ بالماء ترسب
هنا لافح يوْهى اللحام ، وها هنا ... لريشك وهىٌ من رشاش مرطّب
أكاروس ، إنى باذل لك من يدى ... ومن خبرتى ذخرَ الصّنّاع المجرب
تذكر عظاتى واعلم اليوم أنه ... صنيع الحجى لا الكف أنفس مكسبى
ولا تتخذ ريشى وتنس نصيحتى ... يخنْك جناحُ الرأى يوما فتعطب
جناحك من ريش إذا لم يُعنهما ... عديلان من رأى ، كأغلال مُتعَب
أقلُّ من الصخر امرؤٌ ضم جسمهُ ... أمانة روح لم يصنهما لمأرب
ولى فيك أعمارٌ طوال واللدُنى ... فأسند إلى عزّم الصبا حزم أشيب
حياتك من بعدى معادى ، ولن ترى ... فتى صالحا يجنى الفناء على أب
وللأمس شوقٌ أنْ يرى الغد طالعا ... فإن مات يومٌ قبل ماضيه فاعجب[4]
بُنَىّ استمع قولى فما بعد نَسْيه ... سبيلٌ إلى تكراره لمعقب
إلى الجو ! هذا يا بنى وداعنا ... وللأرض منا لهفة المتغرّب
فإما لقاءٌ بعد فوق صعيدها ... وإما فراقٌ شاعبٌ كل مشعب

(١) خضارة : اسم معرفة للبحر . (٢) العبر : الشاطئ .
(٣) بمقرب : أى إنك إذا طرت إلى الأمام أو إلى فوق فالمطار واحد ولكن المطار إلى فوق لا يقربك إلى قصدك وإنما يقربك إليه أن تطير إلى الأمام .
(٤) لا يحب الأب أن يموت ابنه قبله فيكون كالغد الذى غرب قبل أمسه .

وصـــاةً لديدالوس وصّى بهـــا ابنه ... ونعم الموصّى من حكيم مـــدرّبُ
صناعٌ له كف كـــــأنّ أكـــفّنا ... من العجز - إن قيست بها - لم تُركّب
عليمٌ بأســـرار الفنون ، وإنهـــا ... لتقبس من سر الحياة المحجّب
ومن يُؤتَ تصريف الجماد يُضب به ... أكفًّا وأعضادًا إلى كلّ منكب
وناهيك ديدالوس من ذى حصافة ... قدير على فعل الأعاجيب معجب
يعيرك من يمناه صولة قشعم[1] ... وخلسة ثعبان وحيلة ثعلب
ويبنى فمبناه عمادٌ لأمة ... وبيتٌ لأجيال وزينٌ لمنصب
ولكنه بئس الغيور على اسمه ... وقد يحمل الغيرانُ أوزار مذنب
تغيّظ لما بزه فرع صنوه ... ولم يرع حق الأخت فى ابن محبّب
فأصماه ، لم يشفق عليه من الردى ... وواراه ، لم يندم ولم يتحوّب[2]
وما كان إلا أن نبا بكليهما ... فضاء أثينا من مقيم ومُعزب
فهذا مسجّى فى ثراها مترّبٌ ... وهذا مُزجى دونها كالمترب
تشرّد واستعدى لإخفاء أمره ... ذكاءً يريك النجم فى جنح غيهب
ووارته من عين الغريم فنونهُ ... وكانت منارًا بين شرق ومغرب
وما زال يَعْرَورى البلاد ويتقى ... تصعدَ أثناء الذرى بالتصوّب
إلى أن تلقّته «كريت» وربها ... على خير أهل فى حماها ومرحب
وأمّل «مينو» منه حصنًا لملكه ... فحصنه «مينو» بملك مؤشّب[3]
وما مَلِكٌ إلا له من صناعة ... معاقلُ يبنيها ليوم عَصَبْصَبِ

* * *

هنالك كان الأمن لو يأمن امرؤٌ ... يُخاف ويرجى للمخوف المؤرّب
تحيّر ديدالوس ما بين مُنكر ... وشكر ، وغبٌّ اثنيهما غير طيّب
أيحمل شكر الملك أم كيد عرسه ... وأنجاهما فى طيّه سمٌّ عقرب
غوتْ عرس مينو واشتهت ، ساء ما اشتهت ... من الناس ، لا بل من بهيم مذنّب
تحنّ إلى ثور وتهوى اقترابه ... وليس ولىّ العهد منه بمعجب !
فأولدها طفلا له مثل ظلفه ... إلى شر وجه آدمىّ ومنكب
ويا رُبّ أنثى تعشق الثور كلما ... سباها فتى بالجسم لا الروح يستبى

---

(١) القشعم : المسن من النسور ومن كل شىء . (٢) تحوب : أى تجنب الحوب وهو الذنب .
(١) مؤشب : متشابك ملتف .

فَمَنْ غير ديدالوس يخفى شنارها ... ويرعى مهاد الطفل رعىَ المؤدَّب ؟!
أهابت به أمـا وأنثى حريصةً ... ومالكة حيرى ، فلم يتهيب
بنى لسليل الثور حرزا ، وليته ... تلمّس حرزًا من غوائل مُغضَب
غوائل «مينو» حين ثارت ظنونه ... وضاجع أشجانَ المعنَّى المعذَّب
وأقسم لا واق من الموت عنده ... ولا وائلٌ من سخطه المتلهِّب
وأهولُ من هول الخضارم فى الدُّجى ... ضراوة مهتوك وغيظ مخيَّب

* * *

فلمَّا تنادى الجند وارتجّت القرى ... وخيف الأذى من حاضرين وغُيَّب
وقالوا : أمَنْ ربُّ الجزيرة حربه ... يوقيه عرض البحر أو طول سبسب
أهاب الصَّناع العبقرى بفنه ... فلباه ، فاستعلى به متن أشهب[1]
تسربل من ريش وسربل نحله ... خوافق لوّى بينها ألف لولب
فحلّق مزهوا وفرّ مظفّرا ... وأغرى لسان السخر بالمتعقِّب

* * *

مضى ناجيًا من بأس «مينو» فهل نجا ... فتاه من البأس الذى فيه يختبئ ؟
بلى ! قد نجا لولا طماحٌ سما به ... إلى الشمس فى ثوب من النار مُذهَب
تعشَّقها مفتونةً فتقلبتْ ... هواه بوجه صادق النور خلَّب
وأسكره الشوق الجديد فما ارعوى ... لنصح نصيح أو لزجر مؤنِّب
وما هى إلا وثبة بعد وثبة ... إلى الشمس حتى عزّه كل موثب
تعشَّقها نارًا ، فإن جاءه الأذى ... من النار ، فليعتب . فلا حين معتب

* * *

علا بدم حىّ وخرّ مضمخًّا ... به فى جناحى أرجوان مخضَّب
طريحًا على صخر تُغشّيه رغوةٌ ... من العيلم[2] الغضبان فىّ غير مَغْضب
وراحت بنات الماء يندبن حوله ، ... ومن يرَ أنقاض الصبا الغض يندب
وما من عزاء للشباب علمتُه ... سوى مدمع من أعين الحسن صيِّب
إذا جال فى حسبانه هان عنده ... دموع ذراها[3] الحزن من طرف أشيب

* * *

(١) الأشهب : الأمر الصعب وقد يطلق على الطير الجارح الأشهب .
(٢) العليم : البحر . (٣) ذرا : الشيء فرقه وبعثره .

كعبة الأصنام(*)

بعد الزلزال

كانت الكعبة والأصنام فيها ... زينةً تأخذ قلب الصبِّ تيها
حلفتْ في كل ركن بالدُّمى ... والدمى مستعبداتٌ صائغيها
هي أصنامٌ لمن يعبدها ... أو تماثيلُ تناجي عاشقيها
عظمتْ حينا فلما زُلزلت ... كاد من صلى إليها يزدريها
كان فيها صنم الحق نبيـ ... ـها[1] تداعى ، فبدا مسْخا كريها
نزع الزلزال عيني رأسه ... فاحتوته ظلماتٌ غَاب فيها
وارتمت ساقاه في جانبه ... هل ترى داعيَه إلا سفيهًا ؟!

* * *

كانت النخوة فيها صنما ... صاغيَ السمع ، كما شئت نزيها
يخلب الطَّرف بحسن واضح ... وسمات تزدهي من يجتليها
فارتمت أذناه في الأرض لَقىً ... ومضت كُفٌّ بال كف تليها
يطلب الغوث ولا غوث له ... هل ترى داعيَه إلا سفيها ؟!

* * *

والإخاء المحض كم أبصرته ... حيث لم أبصر له قط شبيها
قائمًا يفترُّ عن مبسمه ... واسع الصدر ، يحييك وجيها
شقه الزلزال فانجاب لنا ... عن حنايا صدره لا قلب فيها
خير ما في وجهه ظاهرُه ... هل ترى داعيَه إلا سفيها ؟
وتراءى الحب فيها فتنةً ... ما اجتواها زائرٌ من زائريها
ضرب الزلزال في أصنامه ... فهوت أشلاؤها تنعى زويها
ما الذي أبقاه من أشلائها ؟ ... سوأة يعرض عنها مشتهيها

* * *

(*) كعبة الأصنام بعد الزلزال : وحي الأربعين .
(١) النبيه من النباهة وهي الظهور والشهرة .

وهوى تمثـــال مـــجـــد لامع ... يخطف العين بنور يعـتليـهـا
مـــلأ الدار علينا جـــوهرًا ... زائفًـــا ينطق بالزيف بديهـــا
وقـــشـــورًا لا تســـاوى وزنهـــا ... من تراب ، لن ترى من يشـتـريهـا
هى إن قـــامت جـــمـــالٌ فـــإذا ... ســقطتْ ، لم تكد العين تعـيـهـا

* * *

هكذا أقـــوت زوايا كـــعـــبـــتى ... وثوت خـــاويةً من ســـاكنيـــهـــا
غـــيـــر أنى طائفٌ من حـــولهـــا ... لم أشـــأ أهجـــرها أو أبتنيـــهـــا
لا طوف المتـــمـلِّى[1] حـــسـنهـــا ... أو طواف المهـتـدى من عـــابديهـــا
بل كـــمن نقب فى جـوف الثـرى ... يجـمع الآثار فى شـتّى سنيـــهـــا
من فـــراغ لا من الرغـــبـــة فى ... تلكم الآثار ، أمـــسى يقـتنيـــهـــا
أو هى العـــادة كـــالطيف إذا ... هام بالأجـــداث يبكى نازليـــهـــا

* * *

(١) تملى الحسن : نظر فيه واستمتع برؤيته .

إبليس ينتحر (*)

(الاستعباد هو الجو الذى تعيش فيه الشياطين لأنه و الخوف والإغراء ، وإبليس يخاف أن يخرج منه إلى جو الحرية كما تخاف السمكة أن تخرج من الماء) .

هاتو لى الخير والهدى جُرَعا ... أبخع نفسى حزنا كمن بخعا
حريةُ القوم أفسدت خُدَعى ! ... لم تبقِ لى فى الأنيس منخدعا
إن مُنعتْ لذةٌ حفزتُ لها ... فكيف حفزى من لم يكن مُنِعا ؟
لو حُجبتْ شهوة أُزيّنُها ... فكيف تزيين ظاهرٍ سطعُا ؟
وإن طغى ظالم له خنعوا ... فكيف يطغى إن عَزّ من خنعا
لو دام هذا البلاءُ واتسعتْ ... حريةُ القوم ضاق ما اتسعا
واستغنتْ الأرض والسماء معًا ... عن الشياطين فانطووا جزعا
ما حاجة الأرض للأبالس فى ... عهد نضا الخوف عنه والجشعا ؟
وكيف تغذوهُم بلا عمل ... وهى على السعى شأنها اجتمعا ؟
وأين يأوونها إذا قشعتْ ... عنها ظلام الدهور فانقشعا
أتى زمانٌ أموت فيه أنا ... إبليس يأسًا ، وفى يدى صُنعا
ودعتُ ملكَ الدنيا وودعنى ... ملكٌ إذا همّ قلما رجعا
هاتوا لى الخير جرعة فإذا ... ضعفتُ عنه شربته جُرَعا
سأسبق الموت حين يتبعنى ... فإنه لاحقٌ إذا تبعا

* * *

(*) إبليس ينتحر : وحى الأربعين .

بيت يتكلم(*)

(كل بيت من البيوت التى تعاقب عليها السكان لو ألقيت عليه طلسم الخيال وأمرته بالكلام فتكلم لانطلقت منه أسرار وأشباح يزدحم بها فضاء المكان ، ولسمعت عجبا لا تسمع الآذان أعجب منه ، وليس الذى يتحدث به «البيت» فى القصيدة التالية إلا قليلا من كثيره) .

جميع الناس سكانى ... فهل تدرون عنوانى ؟
وما للناس من سر ... عدا آذان حيطانى
حديثى عجب فيه ... خفايا الإنس والجان
فكم قضيت أيامى ... بأفراح وأحزان !
وكم آويت من بر ... وكم آويت من جان !
فإن أرضاكم سرى ... فهاكم بعض إعلانى

* * *

بنى الإنسان لن أحفـ ... ـل فى دهرى بإنسان
ألم أعرفكم طرا ... فلم أسعد بعرفانى
أتانى أول السكْن[1] ... وما استوفيت بنيانى
وما أرهفت آذانا ... ولم آنس بقطان
وأصغيت على مهل ... فطاشت كل آذانى
هما زوجان ، أو شيطا ... نة لاذت بشيطان
وقد عاشا وفيين ... بتقدير وحسبان
وراحا - هكذا يحكو ... ن - فى روح وريحان
وما أبصرت من هذا ... ولا من تلك فى آن

(*) بيت يتكلم : عابر سبيل .
(١) السكان .

سـوى خـوانة خـر قـاء تفـرى عـرض خـوان
إذا مـا ضـحكا يومـا على غش وبهـتـان
حـسـدت البـيـد والأطلا ل فى غـيظى وكـتـمـانى
وأشـفـقـت من النقـ ـمـة أن تهـتـز أركـانى

* * *

وجـاء السـاكن الثـانى وبئس السـاكن الثـانى
يـراه النـاس ذا مـال وأفـراس وغـيطان
وقـد شـوهنى بخـلا وأعـرانى وأعـيـانى
وقـد صـيـرنى سـجنا ومنه كـان سـجـانى
فلمـا طال بى عـهـدا ولم أسـعـد بهـجـران
وددت لـو أن لـى فـى كل جـحـر ألف ثعـبـان
بـديلا منـه أرضـاه وأحـبـوه بغـفـرانى
وأنفث سـمـهـا أو يتـ ـقى شـرى ويخـشـانى
إلـى أن آده[1] أجـرى ولم يظفـر بنقـصـان
فـأخـلانى ولن أنسـ ـى سـرورى يوم أخـلانى

* * *

وكـان السـاكن الثـا لـث ذا عـز وسلطان
فـمـا ارتبت بأن العـ ـز والذلة سـيـان
ومـا ألفـيـتـه إلا لئـيـمـا جـد غـفـلان
ضـعـيـفًـا يستـر الضعـ ـف بطغـيـان وعـدوان
وكـم أذعـن لـلـطـاغـى عليـه شـر إذعـان
إذا مـا لـقـى النـا س بكـبـر منه طنان
فـمـا أصـغـر مـا ألقـ ـاه منه بين جـدرانى

* * *

وأمـا رابع القـوم فـذو علم وتبـيـان
حـشـا بالورق اليـا بس والأخـضـر حـيـشـانى

---

(١) آده : أثقله .

فما لى موضع فى الأرض ... رض أو من فوق عمدان
ومالى مطبخ أو مخد ... ع أو بهو ضيفان
ولا زاوية إلا ... وفيها الكتب تلقانى
أبى للنفس دعواها ... لم يسمع لجثمان
فلا سهرة أحباب ... ولا جلسة ندمان
فما أجهله بالحق ... ذاك العالم العانى !
أبين الناس يحتا ... ج إلى علم وبرهان ؟
وهم عميان ظلماء ... سروا فى أثر عميان ؟
كشيرٌ لك يا إنسا ... ن فى دنياك عينان !!

* * *

وأما الخامس الجانى ... فناهيك بشهوان
فما زودنى إلا ... بإثداء وأعكان
وهُتّاف بألحان ... وسُمار على ألحان
إذا أمسيت مسانى ... بأشكال وألوان
على الأبواب ما يرضـ ... ـيك من حسن وإحسان
ومن صون لأسماع ... ومن غض لأجفان
فلا تنظرهم ثمة ... وانظر بين أحضانى
فيا لله كم فى الأ ... رض من غى وغيان
وكم فى القوم من مخد ... وع آباء وإخوان
وأزواج وأصهار ... وخلان وأخدان
لو أنى قلت ما أدرى ... لهدوا كل أركانى
فنعم الصمت والحكمـ ... ـة يا صخرى وصوانى !

* * *

وكم صاحبت من أصـ ... ـحاب آداب وأديان
تجافوا وصمة العاصى ... وعافوا شهوة الزانى
وباتو بين قربان ... وترتيل لقرآن
ولم يأسوا من الد ... نيا على غبن وحرمان
إذا ما شرفتنى زمـ ... ـة منهم بصحبان

حسبت الأرض تجفونى ... فأنساها وتنسانى
وقالوا الجان لا تقر ... ب من مجلس فرقان
فقد ألفيت بعض الأنـ ... ـس فى العنصر كالجان

* * *

ولكن شر ما آو ... يت فى لؤم وعصيان
رياء الخائن العادى ... على أهل وأوطان
تلقّاهم بتمويه ... ولا قوه بإيمان
وفى حجرة أسرارى ... وفى ظلمة أوكانى
يبيع الحوزة الكبرى ... بربع أو ببستان
ويعطى الحق والذمـ ... ـة والفتيا بأثمان
ويُفنى أمة تحيـ ... ـيه وهو الزائل الفانى
ويمشى بين قتلاه ... رفيع الذكر والشأن

* * *

ولم أحمد من الضيـ ... ـفان ضيفا مثل فنان
تولانى بإبداع ... من الفن وإتقان
وغطى كل جدرانى ... بمنصور ومزدان
وأوحى الحسن واستو ... حاه من جنات رضوان
فحينا حسن مكسوٌّ ... وحينا حسن عريان
بريئا فى سماء الفـ ... ـن من عبث وأدران
وفتانا على الحا ... لين لكن أى فتان
كما تفتنك الزهـ ... ـرة فى أعطاف أغصان

* * *

جموع لست أحصيها ... لو دونت ديوانى
ومثل كل جاراتى ... ومثلى كل جيرانى
عرفت الناس أشتاتا ... بلا عد وحسبان
فلم أعرف أأعداء ... هم أم جمع أقران ؟
إذا ما اختلفوا فى ... سيمة تبدو وشغلان
فهم فى الموت أشباه ... وفى سقم وأشجان
وما منهم فتى إلا ... بكى حينا وأبكانى

مساكين فلا تحفل ... من الناس بإنسان
ولا تحسد فتى منهم ... على بأس وإمكان
فأعلاهم وأدناهم ... أمام الغيب صنوان

* * *

نزيل المنزل الخالى ... ألا تعرف عنوانى ؟
إذا ما طفت حوليه ... فشق أنك تلقانى
فما من منزل إلا ... وفيه بعض ألوانى
تأمل فى نواحيه ... وراقبه بإمعان
ولا يخدعك صمت فيـ ... ـه أو تفتيح بيبان
ولا تحسبه خلوا من ... مغاليق وأكنان
إذا ما كنت مستحضر ... أرواح وحدثان
فقف فى المنزل الخالى ... وأرهف سمع يقظان
وأغمض فيه أجفانا ... نك وانظر غير وسنان
تر الأطياف أفواجا ... وتسمع موج طوفان
وتجمع كل ما يُجمع ... من ربح وخسران
ولا يخطئك تاريخ ... ولا دارس أزمان

* * *

بعد صلاة الجمعة(*)

على الوجوه سيمة القلوب ... فانظر إلى المسجد من قرب
وقف لديه وقفة اللبيب ... فى ظهر يوم الجمعة المحبوب
إنك فى حشد هنا عجيب

* * *

(*) بعد صلاة الجمعة : عابر سبيل .

هـذا الـذى يمـشـى ألا تـراه كـأنما قـد حـملت يداه
سـفـتـجـةً[1] صـاحـبـهـا الإله ذاك هو الدّين ، وقـد وفـاه

فـلـيـس لـلـدائـن بـالـمـطـلـوب

* * *

وذلك المبـتـسـم الرصين كـأنه بسـره صنين
أصـغى إلـيـه سـامع أمين فـهـو إذا صلى كـمن يكون

فى خلوة النجـوى مع الحـبـيب

* * *

وانظر إلى صـاحـبنا المختـال فى حلة ضـافـيـة الأذيال
أكـان فى حـضـرة ذى الجـلال أم كـان فى عـرض أو احـتـفـال

يُزهى على المحـروم والمسلوب

* * *

وكم مـصلٍّ خـافت الدعـاء كـأنما نصٌّ إلى السـمـاء
رسـالة فى عـالم الخـفـاء فـلا ينى يبـدو لعين الرائى

كـالمتـرجّى أوبة المكتـوب

* * *

ورب شـيخ من ذوى الخـلاَق[2] فـرحـان بالجـمع وبالتـلاقى
كـأنه التلمـيـذ فى انطلاق بين تلامـيـذ له رفـاق

عـادوا إلـيـه عـودة الغـريب

* * *

تجـمـعـوا فى بيـتـه تعـالى وافـتـرقـوا فى جـمـعـهم أحـوالا
وهل نسـوا فى أرضـه النضـالا فـيـحـتـويهم بيـتـه أمـثـالا

على اخـتـلاف السَّمت والنصيب ؟

* * *

(١) السفتجة : هى ورقة التحويل المالى . (٢) الخلاق : الخير الوافر .

لعلهم صلوا له ارتجـــــالا فـاختلفـوا مـا بينهم سـؤالا
فلو أجـاب السـائلين حـالا صب على رءوســـهم وبالا

وألحق الخطئ بالمصـــــيب

* * *

الدينار(*)
فى طريقه المرسوم

لمـا بـدا الـديـنـار مـن باب الخـزانة فى السـمـاء
نـادى المـوكّـل ثـم بـالأ رزاق : أيـن تـرى الثـواء ؟
قـال انطلق فى الخـافـقـ ـين إلى فـتى جم الشـقـاء
قـد بات ممنوع الغـذا ء وراح مـقطوع الكسـاء
فـاذهب إليـه ومنّه بعض السـعـادة والرجـاء

* * *

فـأجـابه الدينار وهـ ـو يكاد يجـهش بالبكاء
أنا لست أعـرفـه فـدعـ ـنى استطيب هنا البـقـاء
سـيطول بحـثى عنه فى وادى الخـمـول ، ولا لقـاء

* * *

قـال الموكّل ثـم بالأر زاق حـسـبك من رياء
لـن يألف المال الفـقـ ـيرَ ولن يحـيـد عن الثـراء
مـا شـئت يا دينار فـامـ ـض كـمـا تشـاء لمن تشـاء

* * *

فـاستـقـبل الدينارُ وجـهـ ـتـه وهـمّ بـلا وناء
ومـضى إلى حـيث المعـا لم واضـحـات والضـيـاء
حـيث الدنانيـر السـوا بق قـد رسـمن له الفـضـاء
ليس الطريق على اقـتـحـا م كـالطريق على اهتـداء

(*) الدينار فى طريقه المرسوم : عابر سبيل .

نداء طفل(*)

أرسلت إلى عروسين :

سـرى إلـى الآذان ... فى غـفـوة الوسنان
نـداء طـفـل جـرىء ... مـسـتـعـجل لهـفـان
عـجـبت منه صـغـيـرا ... يـقـول طلق اللسـان :
«أبـى كـريم وأمـى ... كـريمة فى الحسـان
كـلاهمـا فى رواء ... من الصـبـا وازديان
كـلاهمـا ذو فـؤاد ... مـجـمّـل بالحنان
كـلاهمـا يتـمنى ... بين الصـغـار مكانى
فـلـى أحـق رجـاء ... فى عـالم الإنسـان
وفـى ولادة يمـن ... تـزف بالمهـرجـان
وفى احـتـفـال خـتـان ... وفى احـتـفـال قـران
وفى احـتـفـال نجـاح ... ويجـوز كل امـتـحـان
هيـا ادعـوانى سـريعـا ... إليـكـمـا واهـديانى
وقـربا لى ضـيـاء الشـمـو ... س والأكـوان

* * *

قـالوا : انتظر ! قـال لا لا ... هيـهـات لست بوان
قـالوا تعـقـل قليـلا ... يا أعـقـل الفـتـيـان
فـكـل شـىء لـديـنـا ... مـوكـلٌ بـأوان
أتحـسـب العـيـش رهنا ... بما قـضـى الأبوان
فـصـاح صـيـحـة سـخط ... وقـال فى عـنـفـوان
مـالى أنا ؟ أنا مـالى ؟ ... هيـا ادعـوانى ادعـوانى
أتـأبيـان لقـائى ... مـا أنتـمـا منصـفـان

* * *

(*) نداء طفل : عابر سبيل .

لا تعـــــذلوه إذا مـــــا ... أطـال فـى الـهـــــــذيـان
فـالطفل غـيـــر صـبـــور ... على الحـــجى والبـيـــان
والطفل هيـــهـــات يدرى ... يومـــــا بحكم الزمـــان
فـاســتـمـــهـــلاه برفق ... وحـــــيـلة وافـــــتنـان
ولا تطيـــــلا عليـــــه ... فى الغـيـب عـد الثـوانى
فكـلـنـا نـتـــــــرجى ... قـــدومـــه فى أمـــان

* * *

جواب جميل(*)

قال جميل بن معمر صاحب بثينة :

ألا أيهـــا النـوام ويحكم هبـــو ... أسـائلكم هل يقـتل الرجل الحب

وأجيبَ بلسان أحد النوام :

بـربك دعـنـا راقـــــدين فلو درى ... بنا الحب لم يرقـد لـنا أبدًا جنب
وسل راقـدى الأجـداث عنهم فـإنهم ... مجـيـبـوك عن علم بمن قـتل الحب !

وقد سأل جميل بلسان الحال :

ألا أيهـا الأمـوات ويحكم هبـوا ... أسـائلكم هل يقـتل الرجل الحب ؟

وقد أجيب بذلك اللسان :

أفق مـزعجَ الموتى فلو كنت قـادرًا ... على أن تهب اليوم من صرعة هبوا
ولستَ إلى أن يُسمع الصور سامعًا ... هنا سـر مـقـتـول يبوح به صب !

(*) جواب جميل : أعاصير مغرب .

جنة الخيام(*)

رغـــيف خـــبـــز ووجـــهٌ حلو ، وكـــأس مـــدام
وتـلـك جنـة عـــــدن فى مـــذاهب الخـيّـــام[1]

* * *

قـــالوا : ونُودىَ يومـــا : مـــا تشـتـــهى فى يديكا
دع مطلبًـــا منه فـــردا والبـــاقـــيـــان لديكا

* * *

فـــحـــار بين رغـــيفٍ إنْ فـــاته مـــات جـوعـا
وبـين وجـــهٍ منيـــرٍ إن غـاب غـابت جـمـيـعًـا

* * *

وبـين كـــأس مـــدام على الشـــقـــاء تعين
لـولا خـــــداعُ منـاهـاً أفـــاق وهو غـــبين

* * *

طال التـــردّد فـيـــهـا فـمـال عنهـا كظيـمـا :
ســـألت جنـةَ خـلـد ومـا سـألت جـحـيـمـا

* * *

قـــالوا : فناداه صـــوتٌ يقـــول فى غـــير رفق
كـــصـــوت إبليس لولا مـا فـيـه من فَـرط صـدق

* * *

«أتـلـك جـنـة خـلـد تهـــذى بهـــا يا حكيم
يـطـلـب إن عـــــداهاً ترتدّ وهى جـــحـــيم ؟»

* * *

(*) جنة الخيام : أعاصير مغرب .

(١) عمر الخيام الشاعر الفيلسوف الفارسى وله رباعية بهذا المعنى .

مادى يعلل الربيع (*)

رفيق أول : إن الربيـــع جـــميل
رفيق ثان : صـــه ! ذاك قولٌ دخـــيلُ

ألـــست تـعـلـم أن الـر بيع شـــيىء ثقـــيل
وأنـــه مـــن صـــنـيـــعٍ للغش فـــيـــه أصـــولُ

رفيق أول : مـــن غـــشه يا صـــديقى ؟
رفيق ثان : حـــقا لأنـــت جـــهـول

قـــد غـــشـــه الأغنيـــاء المـ ـــســـتـــأثرون القليل
أليس فـــيـــه مـــتـــاع لـــهـــم وظـــل ظـــلـــيـــل ؟

رفيق أول : لكنْ بعـــيـــشك قل لى وذاك منى فـــضـــول
بـأى بـرهـانِ صـــــدقٍ وأى شـــــرح يـطـول
قـــد أقنعـــوا الأرض حـــتىً بـاتـت إلـيـــهـم تميل ؟

رفيق ثان : حـــقـــا لأنت عـــجـــيبٌ فـــيـــمـــا أراك تقـــول !
بـرشـــوة دفنتـــهـــا فى جـــوفـــهـــا يا زمـــيل
ألا ترى التـــبـــر فـــيـــهـــا منهـــا إلـيـــهـــا يؤول ؟
فـــافـــهـــم إذن يا صـــديقى فـــقـــد أتاك الـدليل
وأيدتـه شـــهـــود وأكـــدتـه عـــقـــول
الأرض والشـــمـــس والنا س والدعـــاة العـــدول
لـهـم ضـــمـــائر ســـوء مـــرضـى ، وطبع وبيل
بذاك «مـــاركس» أفـــتى ونقـــضـــه مـــســـتـــحـــيل !

(*) مادى يعلل الربيع : عابر سبيل .

عيد ميلاد فى الجحيم(*)

(دخل شقى الجحيم فحسبوه مولوداً جديداً فى ذلك العالم القديم . ومضى عليه العام فاحتفل بعيد ميلاده وقال لأترابه وأنداده :)

صُـفّـوا الموائد واملأوا الأكـوابا ... وادعوا الصحاب ، وبشروا الأحبابا
قـولوا مـضى عـامٌ ليـوم هبـوطه ... هذا الجحيم ، فقرّ فيه وطابا
وبلا المقامَ فراح يحمد شرّ ما ... فيه ، وآدب باسمه إيدابا
هذا الجحيم أحبُّ لى من عالم ... ما كان لى إلا رجاءاً خابا
الشر ثمة كان شرا كاسمه ... والخير كان كما علمت سرابا
يشقى بنوه ليعمروه ويجشموا ... فيه الشقاء ليرجعوه خرابا
لا يعرفون الحق إن سمعوا به ... إلا ليلقوا فى الحقوق عذابا
أهونْ بصاب فى الجحيم أذوقه ... قد كان ثمة كلُّ شىء صابا
صابًا إذا ارتوت الشفاه شربته ... بالناظرين ، وساء ذاك شرابا
ولربَّ وجه يومذاك شهدته ... فكأن سمّا فى العيون انسابا
وجه اللئيم إذا استهلّ ومثله ... وجه الكريم إذا اضمحل وذابا
ورضى الظلوم وحيرة المظلوم فى ... بلواه يطرق كل يوم بابا

* * *

يا صحب حيوا النار فى ويلاتها ... واحثوا على ذاك التراب ترابا
ما كان فى حُسنٍ هناك فجهده ... أن يخدع الأبصار والألبابا
أو كان من فضل هناك فحسبه ... أن يملأ الدنيا عليك صعابا
ياصحب هاتوا من علاقمها لنا ... وادعوا الأحبة واشربوا الأنخابا
من عاش عاما فى الجحيم فلا اشتهى ... أبدًا إلى ذاك الجوار مآبا

(*) عيد ميلاد فى الجحيم : وحى الأربعين .

ترجمه شده

ترجمة شيطان(*)

(نظمت هذه القصيدة فى أعقاب الحرب العالمية الأولى وهى تدور على سيرة شيطان كفر بالشر بعد أن فتن الخلق بصورة الحق . وإن شيطانا يكفر بالشر لأشقى من ملك يكفر بالخير . لأن الملك بعد الكفران بالخير قد يجرب الشر فيرى للحياة معنى فى هذه التجربة ، ولكن الشيطان الذى يزيف الحق بيديه ، ثم يكفر بالشر يخبط فى حياة ليس لها معنى على الحالين ، ويمضى غير حافل بالخلق محقين أو مبطلين ، وغير مكترث لهم ولا لنفسه فى هداية ولا ضلالة) .

صاغه الرحمن ذو الفضل العميم ... غسقَ الظلماء فى قاع سقر
ورمى الأرض به رمْىَ الرجيم ... عبرة . فاسمع أعاجيب العبر

* * *

خلقة شاء لها اللّه الكنود ... وأبى منها وفاءَ الشاكر
قدرَ السوء لها قبل الوجود ... وتعالى من عليم قادر

* * *

قال كونى محنة للأبرياء ... فأطاعت ، يا لها من فاجرة !
ولو استطاعت خلافا للقضاء ... لاستحقت منه لعن الآخرة

* * *

سُنةُ للّه فاقفوا إثرها ... عصبة السواس وامضوا راشدين
علّم الأقيالَ قدمًا سرها ... فأقاموا دينه فى العالمين(1)

* * *

(*) ترجمة شيطان : الجزء الثالث .
(1) إشارة إلى كلف أكثر الملوك ببناء المعابد تعزيزا لقوتهم بقوة العقائد .

سنة اللّه ومـــا أوســـعـــهـــا رحـــمـــة منه بجـــبـــارى الأمم
ويحـــهم ! لو لـم يكن أبدعـــهـــا كـــيف يدرون بأســـرار النقم ؟؟[1]

* * *

فله الحـــمـــد على مـــا فـــقـــهـــوا من دهاء الملك والكيـــد الحـــذر
فـــإذا رامـــوا نكالا شـــبـــهـــوا من أرادوه بشـــيطان قـــذر

* * *

قـــال : كـــونى مـــحنة للأبرياء واخـــسأى أيتـهـا النفس العـقـيم
أيهـــا الشـــيطان اضلل من تشـــاء ســـوف تأويك وتأويه الجـــحـــيم

* * *

فـهـوى الشـيطان صـفـر الراحـتين خـــاوىَ الزاد ويا بئس الســـفـــر
أين يمضى ؟ أين أفق الأرض أين ؟ فـــرحـــاب الكون مـــلأى بالأكـــر

* * *

بيـــد أن الشـــر مـــا زال أريبـــا وســـبـــيل الغى ممهـــود الجناب
لن تراه حـــيث تلقـــاه غـــريبـــا أبد الدهر ولا تزر الصـــحـــاب

* * *

هبط الشـــيطان فى وادى القـــرود أوْهمُ الزنج كـــمـــا قـــد خُلقـــوا
أمـــة من صنعـــة الخـــلائق ســـود أخطأوا الصـــبـــغـــة أو قـــد حـــرقـــوا

* * *

أرضـــهـــم أنجب من أبنائهـــا وحـــصـــاد الزرع فـــيـــهـــا دائم
لا ينـام الظل فى أرجـــائهـــا وهُم ظلٌّ علـيـــهـــا قـــائم

* * *

واســـتـــوى بين رباها والخـــوافى فـإذا الســمت بهـا ســمت السـباع
سـيـد القـوم كسِيد[2] القـفـر حـاف وهمـــا بعـــد ســـواء فى المتـــاع

* * *

(١) أى أن الأقيال إذا أرادوا أحد أتباعهم بنقمة أخرجوه حتى يزل أو تحملوا له العلة ليأخذوه بها .
(٢) السيد بكسر السين هو الذئب .

وإذا الكعبة فى الأرض الشّرى ورسول العلم ضاريها الشروط
بين قنص أو هراش أو كرى يذهب التاريخ فيها ويعود[1]

* * *

ولقد همّ وما أعجله يسأل الإنس بها لو يفقهون
أو ينادى الوحش لو أصغى له ألكم فى القوم صهر وبنون ؟؟[2]

* * *

سخر الشيطان من قسمته ومن الأرض وما فوق السماء
ومضى يهجس فى محنته : «ألهذا تُستذَل الكبرياء ؟»

* * *

أن يكن أغوائىَ الزنج لزاما فمن العُجم الضوارى عجبى
ماله يأنف إن يغْوىَ حامًا ذلك الغوى ذوات الذنب[3]

* * *

ومشى ينغم فى غير طربْ نغم الغبطة باليوم العبوس
نغما يوصد من خلف الحقب يومَ تندك على الأرض الشموس

* * *

لا نطيل القول فالخطب يسير وحياة الإنس والجن هدرْ
خرج الشيطان فى الأرض يسير ومن اللّه إلى اللّه الصدرْ

* * *

لمحة جازت به مشرقها ثم ردته حيال المغرب
ويشاء الله أن يوبقها فاشتهاها شهوة المغتصب

* * *

وارتضى منها مقامًا رغَدا حول بحر الروم أو بحر العجمْ
يتلهّى فى مغانيها سدى أو لأمر خفيت فيه الحكمْ

---

(١) الشرى مأسدة أو مسبعة المعنى أن آداب المعيشة والأزياء فى ذلك الوادى الذى نزل به الشيطان من مجاهل إفريقية هى آداب السباع وأزياؤها فأقدس مكان هناك هو أوجرة الوحش ومكامنها وكل ما يعرفه أهلها من العلم هو ما يصدر من شهوات الحيوانات وحركاتها من عفو الطبيعة فكأنما هى القائمة هنالك برسالة العلم وفريضة المعرفة .

(٢) هم الشيطان المتهم أن يسأل الوحش أى قرابة لكم بأهل ذلك الوادى لأنه رآهم جميعا متشابهين .

(٣) يقول الشيطان : إذا كانت الضوارى لا تحتاج إلى من يغويها فما حاجة أبناء حام إلى شيطان لإغوائهم .

ورمى أول فخ فـــأصـــابا ودعـــاه الحق واســـتلقى فنام
وأناب الحق عنه فـاســتـجـابا فـإذا الحق لجـاج واخـتـصـام[1]

* * *

وإذا الحق طلاء الخـبـشـاء ، رسن الواهن ، سـيف المعـتـدى ،
ضلة الجـهـال ، لغـز الحكمـاء ، ذلة العـبـد ، غُـرام السـيـد

* * *

وإذا الحق طعـــام ووكـــون وإذا الحـق بـريـق الـذهـبِ
لو يموت الناس أو لو يشـبـعـون ذهب الحق ذهاب الـسـغـبِ

* * *

يا لـهـا من لفظة زوّقـهـا آض فـرضًـا بعـدها الفـعل الذمـيم
ويحـه ! فى نأمـة أطلقـهـا غلب النحسُ ولم يُغن النعـيم

* * *

نام لما صنع الحق وأغـضـى ولو اخـتـار لأغـضـى أبدا
غـيـر أن الشـر لا يألف غـمـضـا ربحت صـفـقـتـه أو قـد فـقـدا

* * *

فـأطـارت سـنـةٌ فـى هـدبـه بهـجـة الزرع الذى كـا بذر[2]
كـان أن يشكر نـعـمى ربه لو يسـيغ الشكر شـيطان كـفـر !

* * *

وتمادى بـعـدُ فى شـرّته كلمـا أنبت زرعـا ينعـا
فـرأى الشـوكـة فى دولتـه وجـنـى الـوفـرة مما زرعـا

* * *

ألفُ جـيل بعـد ألف غـيـرت صـاحبَ الأباءَ فـيـهـا والبنين
ورأى مـنـهـا فـنـونًـا ورأت منه فى صـحـبـتـه أى فنون

* * *

---

(١) معنى هذا أن الشيطان صنع للناس شيئا دعاه الحق فكان علة خصامهم وإنقسامهم فأغناه عن السعاية بينهم وأغواثهم بالمنكرات وفى الأبيات التالية وصف ذلك الحق الذى صنعه الشيطان .
(٢) المقصود بالزرع هو ذلك الحق المصنوع .

أتلفته مثلما أتلفها ... عجبًا ! لا بل علام العجب ؟
أترى الشيطان يدرى ضعفها ... وهو من ذاك برىء أجنب ؟[1]

* * *

فاشتى الخمر ورنات المثانى ... وأحب الغيد عذرىّ الهوى !
لعبًا ينهل آنًا بعد آن ... نُهَلا منهن ينعشن القوى

* * *

لا نطيل القول فالقول هذرْ ... وحياة الإنس والجن هباءْ
إن يدمْ للناس سلطان القدرْ ... فعليهم بل على الكون العفاءْ !

* * *

أنف الشيْطان من فتنته ... أما يأنف من إهلاكها
ورأى الفاجر من زمرته ... كعفيف الذيل من نُساكها

* * *

ما له يفسد خلقًا عدموا ... آية الرشد ، وهبهم رشدوا
وعلام السلب مما غنموا ... وهُمُ لو غنموا لم يُحسدوا

* * *

كلهم طالبُ قوت ، والثرى ... ذل قوم أو تعالوا ، مخصب
وقصارى الأمر فى هذا الورى ... راسبٌ يطفو وطافٍ يرسب

* * *

مذ رأى الشيطان عقبى شره ... كفر المسكين بالشر العقيم
وأراها بدعة من كفره ... دونها الكفران بالخير العميم[2]

* * *

يا إله الكون يا خير إله ... أين من قدرك أصنام القدم
من كربّ الكون لا بل من سواه ... عادلٌ فى الخلق بر بالأمم

* * *

أنتَ يا رب لطيف فى القضاء ... فاصعق اللهم من يجحد لطفك
قسمًا باسمك يا رب السماء ... ما رأى فى الناس من يدرك وصفك

---

(١) لا عجب فى أن يكون الشيطان عرضة للتلف فإنه لما كان يداخل الناس من جهات الضعف فى نفوسهم فلابد أن يكون فى نفسه شبيه تلك المواطن الضعيفة وإلا لما عرفها .

(٢) أى أن كفر الشيطان بالشر إنما هو ضرب من الكفر أسوأ من الكفر بالخير لأنه يرى الخير أهون من أن يستحق العناية بإزالته ورصد المكائد له ، فالراشد والغاوى عنده سيان .

يكفر الشيطان بالشر العقام ... فتعد الكفر منه ندمًا
وتنجّيه إلى دار السلام ... وقديمًا قلت لا يغشى الحمى[1]

* * *

فضلك اللهم من غير حساب ... وكذا اللهم آلاء[2] العليم
فاعجبوا من نعمة الله العجاب ... وانظروا كيف تلقاها الرجيم

* * *

نزل الشيطان من جنته ... منزلا يرضى به الفن الجميل
ومشى فاختار فى مشيته ... هضبةً عند مصب السلسبيل

* * *

هضبة فيها نخيلٌ وثمر ... وبراكين خبا منها الضرام !
وحلاها دون أنماط الصوَر ... قالب الحسن كما شاء التمام[3]

* * *

قالب الصنع الذى ينقل عنه ... كلُّ ذى فن أعاجيبَ الفنون
شركٌ لا تفلت الألباب منه ... حفظته روضةٌ تسبى العيون

* * *

كملت زينتها من كل فن ... وكساها الزهو ولدان وحور
وعلى أحواضها الطير تغنى ... يا كريمٌ ، ياحليمٌ ، يا غفور

* * *

وحواليها على رحب المدى ... زُمَر الأملاك من خلف زمر
كلما راح عليها أو غدا ... شيّعته بنشيد مبتكر

* * *

ونُفيض الوصف لولا أننا ... نصف الدار لكم يا داخليها[4]
فاصبروا فالصبر مفتاح المنى ... واسمعوا كيف غوى الشيطان فيها

---

(١) يؤخذ من هذا البيت إن هذا الشيطان لما كفر بالشر نقله الله إلى دار السلام أى النعيم وعد ذلك الكفر منه ندما لعله يكون سبيل الهداية والإيمان من جهة أخرى .

(٢) الأفضال .

(٣) للجمال مثل أعلى ينقل الشعراء أخيلتهم والمصورون صورهم فتلك البقعة التى اختارها الشيطان من دار النعيم كانت مزدانة بقالب المثل الأعلى نفسه لا بالصور والأخيلة المنقولة عنه كما هو الشأن فى قصور الدنيا وبقاعها .

(٤) لا حاجة إلى الإطالة فى الوصف فإننا نرجو أن يكون القارئ من أهل الجنة فيراها بعينه .

أزفت ساعته ذات شتاء ... أو على قول مضت حين مضى
وإذا حدثتْ فى أمر السماء ... فاترك التاريخ سطرًا أبيضا

* * *

وقُبيل الصبح أو نحو الأصيل ... عند باب القدس أو باب الحرم !
ركب الشيطان فوق السلسبيل ... مركبًا يزجيه سلسال النغم

* * *

وفشت حوليه أرواح السلام ... كلُّ زهر باعثٌ منه شذاه
ساريات مثلما تسرى المدام ... أو كما رقّت على الخد الشفاه

* * *

وهو ما بين وصيف وملكْ ... فى رواق من رضى لو كان يرضى
سبّحوا اللّه وقالوا الملك لكْ ... وهو يزداد على التسبيح قبضا

* * *

نظرت صحبتُه الوجهَ العبوس ... فرأوا فى الخلد شيئًا عجبا
ما رأوا من قبل ما لون النحوس ... لا ولا يدرون إلا الطربا

* * *

والتقت أعينهم فابتسموا ... كابتسام الطفل فى مهد الرخاء
وتمادى الأمر حتى سئموا ... فتمشت فى الخليط الشؤباء

* * *

قال أدناهم إلى مجلسه ... وهو لا يعلم أنْ قد أغلظا
ما لمولاى أرى فى نفسه ... بعضَ ما خُبِّرت عن وادى اللظى

* * *

أترى الويل إذن والشجنا ... فترةً تُطبقُ أهدابَ الرقود[1]
أكذا الوادى الذى قيل لنا ... فى صبانا أنه مرعى الجحود ؟

* * *

فانثنى العابس وقّادَ الجبين ... صارخًا صرخة مقضىّ الهلاك :
أى واد ؟؟ قال وادى الكافرين ، ... قال دع هذا فما أنت وذاك

---

(١) سئم الملائكة منظر انقباض الشيطان فناموا كما ينام الأطفال إذا غلبت عليهم السآمة ولهذا يتساءل الملائكة لطهارة قلوبهم : هل الويل والشجن الذى يصيب أهل جهنم هو هذه الفترة التى تجلب النعاس للعيون .

قل لنا كيف ترانا ها هنا ؟ ... قال : ماذا ؟؟ إننا للفَائزون
قال لكنى أرانا كلنا ... وأراكم قبلُ أشقى ما يكون

أيها القارئ وُقّيتَ العثار ... وبلغت الخلد موفور القدم
هل شهدت الجيش فى هول الفرار ... أو رأيت الطير راعتها الدِيَم[1]

إن تكن لم ترها فارصد لها ... تدر ما فزعة أملاك السماء
فزعةٌ لله ما أجملها ... صانها الرحمن عن سفك الدماء

ساءهم فى الخلد ألاّ يُحسدوا ... وم الحسّاد من تطلبه
راعهم فى الخلد أن لا يسعدوا ... منكر السعد كمن يسلبه[2]

ولقد علّمهم شيطانه ... علم ما لم يعلموا من غضب
ما لهم قد فاتهم شكرانه ... أو ليس الغيظ بالمكتسب ؟؟

لو تراخي خطبهم لاحتملوا ... عُدد الرجم لذاك المعترك
لطف الله فلو قد عجلوا ... خلا من نجمه هذا الفلك[3]

منّ لله لا يحصرها ... صيرفىّ رُوّضت أعداده
خفراتٌ لم يزل يظهرها ... كلما هام بها عباده

هو أوحى الوحى فى جنته ... فسرى فى الملأ الأعلى الصدى
حين نادى قرّ فى وقفته ... كلُّ غضبان ولبى واهتدى

---

(١) الأمطار .

(٢) إذا أريت سعيدا من الناس أنه لا يستحق أن يحسد فكأنما جعلته كمن لا يتمتع بنعمة من النعم المرموقة فسلبته تلك السعادة التى أنكرتها ، وكذلك الملائكة فى النعيم ساءهم من الشيطان أن ينكر عليهم ما يعرفونه لأنفسهم من النعمة ورأوا أن إنكار السعادة وسلبها على حد سواء .

(٣) المعروف أن النجوم هى رجوم الشياطين يرجمهم بها الملائكة فلو أن أملاك النعيم اقتصوا من ذلك الشيطان برجمه لخلت الأفلاك من كواكبها لعظم جريرته عندهم .

فـــــــإذا الجنـة أمنٌ وسكـون كـسكون الليل فى ضـوء القـمـر
خشعت حتى الشوادى فى الغضون وصـفت حـتى وريقـات الشـجـر

* * *

سـاعـةٌ ثم انجلى مـوقـفـهـا عن جـلال اللّه فـردًا فى عـلاه
غـابت الأمـلاك لا تعـرفـهـا وبدا الشـيطان مـعـروفـا تراه

* * *

وبدا الشـيطان مـعـروفـا ترى كـبـرياء الكفـر فى وقـفـتـه
عـاليَ الجـبـهـة يأبى القـهـقـرى وتـوّج الـنـار مـن نـظـرتـه

* * *

وتَنحّى كلُّ مـشـهـود فـمـا ثَـم إلا الـلّـه والـطـاغـى المـريـد
ويكاد الكون مـا بينهـمـا يغلب الشك عليـه فـيـبـيـد

* * *

ساعـةٌ أخرى وقـد حُم القـضـاء وانقـضى العـفـو وحق الغـضبُ
سـاعـة للنحس حلت والبـلاء ومـتى حلت فـأين المهـربُ ؟؟

* * *

حـاقت اللعنة . حـاقت كلهـا وقـضـاها المنعم المنتـقم
وجناها وهو لا يجـهلهـا ذلك الجـانى الذى لا يندم

* * *

هاتفٌ فى الخلد لما هتـفـا نفـذ السـهم فـمن ذا الهـاتف ؟
إهو الرحـمن ؟؟ لا وا أسـفـا بل هو الروح العـصىّ العـاصف

* * *

هو روح يحـسـد اللّه ومـا أعـجب الحـاسـد للّه الصـمـد
كلمـا أبصـره مـحـتكمًـا أصـغـر الكون وأزرى بالأبد

* * *

هو ناع سـمـجت فى عـينه نعمٌ اللّه فـأمـسى يجـتـويهـا
حـبـة يزرعـهـا فى كـونه تلكم النعمى ، فأين الجود فيها ؟؟[1]

(١) يجحد الشيطان جود اللّه وكرمه ويقول : إذا كان تنعم اللّه إنما هى كالحبة التى يزرعها الزارع فى أرضه فأين الجود فيها ؟؟

هو طاغ يأنف الصغو إلى ... سائل يسأله عما جنى
يحسب الصغو عقابا قد غلا ... كيف لو أعذر أولو أذعنا ؟؟[1]

* * *

فرمى بالهُجر لا يحفله ... حيث لا يبدأ خلق بالكلام
ويجدّ القولَ أو يهزله ... ولعينيه وميضٌ وابتسام

* * *

قال : سبحانك يا مولى الموالى ... وتعاليت ولسنا نعتلى !!
لا سلامَ اليوم يقريه مقالى ... أيها المولى فهل تغفر لى ؟؟

* * *

أيها المولى ونوليك العزاءْ ... ويُعزَّى سيدٌ يفقد عبدا
فاقد العبدان أولى بالرثاء ... مِن فتى يألم للأرباب فقدا

* * *

أيها المولى ولا تغضب على ... عبدك العاصى إذا لم تُرضه
عبد سوء رفض الخلد فلا ... تَبلُ بالجود قصارى رفضه !!

* * *

لا تعالجنى بلوم إننى ... قائم عنك بلومى وانتقادى
أنا من ينصف من يقرفنى ... ونَجيٌّ بالذم منى لا يُصادى[2]

* * *

لاثمى أنت على كفر النعم ... وكذا يبدأ باللوم الكريم
ليتنى ذاك الكفور المتهم ... إنما الكفر أخو الخير القديم[3]

* * *

آخذى أنت بقوم شكروا ... بعضَ ما قيضتَ لى من نعم
كذف لا يشكر قوم ذكروا ... لك بالحمد حلول النقم

* * *

---

(١) إن الشيطان لتجبره يرى أن إصغاءه إلى من يلومه هو العقاب أشد العقاب فكيف به لو قبل ذلك اللوم أو أذعن له ؟؟

(٢) يصف الشيطان نفسه بأنه لا يصادى أى لا يجامل فى ذم نفسه لأنه يرى أقصى الذم كالثناء .

(٣) ينكر الشيطان إنه أصاب أى خير فهو لذلك ينكر أنه كفر لأن الكفر لا يكون إلا مع الخير .

تهب العشب لآساد الشرى ... وتعد الجوع منهن كنودا
فازت الشاء فلا غرو تَرى ... أنها تبلغ بالأكل الخلودا

* * *

كم عهدنا عاهلاً فى ملكه ... يحكم الناس بما لا يفقهون
يوبق السائلَ عن مسلكه ... ويبيح الأمن من لا يسألون

* * *

هكذا ملكك يا رب القضاء ... دولةٌ تحمى على الطرف النظر
حظ من يدنو من الستر الشقاء ... وسعيدٌ من لها عما استتر[1]

* * *

فاغن بالراضينَ عن أقدارها ... أنهم نعم عتاد المالكين
واجعل الفردوس من أقطارها ... حيث يرضون ، وما هم ساخطين

* * *

وإذا مارئم[2] الضب الكدى ... فقل الكدية فردوس السماء
أو ليس الخلد يا رب الهدى ... منزلا لا يتخطاه الرجاء ؟؟[3]

* * *

لا تعاجلنى فقد لا يتقى ... سيد الكون لسنا يكذب
أن يكن وزر ضلالى مزهقى ... آخر الأمر ، فحتفى مكشب

* * *

لا لعمرى بل هو الصدق وما ... أجمل الصدق بشيطان غوى
إنما الصدق نبات ما نما ... قط بالخير ، وقد ينمو الهوى

* * *

---

(١) يقول الشيطان أن الشقاء نصيب كل من يحاول الكشف عن حكمة الإقدار كما أن التنكيل نصيب من يحاول إزاحة الستر عن سياسة الدول الخفية .

(٢) ألِفَ .

(٣) يستصغر الشيطان الفردوس التى وهبها لأنه له رجاء فوقها ولذلك لا يسميه فردوسا ولا يعد الرضى به نهاية السعادة كما أن الضب يرضى بكديته أو جحره وليس جحره بأقصى ما ترتقى إليه الآمال .

إنما الصـــدق وبال يُفـــتـــرى ... وأحق الحق مـــا يوحى الرجـــيم
أبطل البـــاطل لا يؤذى الورى ... وأحق الحق يودى بالصـــمـــيم[1]

أمـــجـــيـــبى أنت أم عند الصـــدى ... أبدا الدهر ســـؤالى والجـــواب
أهى الراحـــة فى الخلد ســـدى ... ثمر الكون جـمـيـعًـا واللباب ؟؟

كـــيف يرضى خـــالدٌ يفـــصله ... أمـــدٌ بينكمـــا لا يُعـــبـــر
ايعـــاف الشـــأوَ أم يجـــهله ... أم يرجـــيـــه فـــلا يقـــتـــدر

عـــفـــوك اللهم لا خلد هنا ... ومـــتى كـــان خلود فى قـــيـــود ؟؟
ســـيظل الخلد وســـواس المنى ... وصـــدى الليل وأحـــلام الرقـــود

وســـيـــبـــقى الكون فى جـــوهره ... أبدًا شـــيـــئين مـــهـــمـــا اقـــتـــربا
خـــالقٌ قـــام على عنصـــره ... ومـــخـــاليق رأوه احـــتـــجـــبـــا

صـــانع يحـــيى البـــرايا منعـــمـــا ... وبـرايا صـنـعـــــا منٌ وجـــــود
وكـــلا هذين مـــوجـــود فـــمـــا ... أبعـد البون لعـمـرى فى الوجـود !![2]

أيهـــا الفـــانون فى هذى الدنى ... خلدكم يا قـــوم آجـــال تَوالى[3]
تحـــســـبـــون الخلد فى نيل المنى ... قـد خُـدعـتـم ! فـاشكروا اللّه تعـالى

---

(١) من رأى هذا الشيطان أن الناس إذا وصلوا إلى الصدق قد تجردوا عن الأهواء ونزعات الطبائع ومطالب اللحم والدم وهذا نذير الهلاك فى عزمه .

(٢) تطمح كبرياء الشيطان إلى أعلى منزلة فيرى وراءها منزلة أعلى منها وهى منزلة الإلهية فيسخط على قسمته ويقول كيف يرضى بهذه القسمة الخالدون ؟؟ أيعافون ذلك الشأو الذى فوقهم وهو لا يعاف أو يجهلونه والجهل نقص فى مرتبة الخلود أو يطلبونه فلا ينالونه فيكونون من المحرومين ؟؟ – وفى هذه الحجة موضع ضعف لأنها تفترض التماثل التام بين حالة الخلود وحالة الفناء فى هذه الدنيا المحدودة .

(٣) المعنى أن خلود الفانين فى رأى الشيطان إنما هو آجال محدودة متعاقبة ليس إلا فكأنهم لا يزالون فانين مع خلودهم وهو إنما يريد الخلود المطلق الذى لا تحده الآجال .

قد خُدعتم فاسألوا الدود أما ... يبلغ المأمول من شهوته
واغبطوه فهو أرقى سلما ، ... أو ما يوغل فى حمأته ؟؟

* * *

اسألوا يا قوم أن لا تسألوا ... وتمنوا للأمانى الكمالا
وإذا أعجزكم أن تفعلوا ... فاشكروا من يحرم الخلق السؤالا[1]

* * *

عفوك اللهم أو لا عفو لى ... طال بى حلمك فابعث وجلك
أنت لا تخطر لى فى أملى ... لا تكن توبة نفسى أملك

* * *

وادع فى خلقك يسجد من رجا ... خلدَك الأعلى فما نحن سجود
لنكونَنَّ إذا صح الحجى ، ... حجرًا صلدًا ولا هذا الوجود

* * *

لا نطيل القول . أما المنتهى ... فقريب ، وجرى ما قد جرى
السنى أظلم والنجم سها ... ولهيب النار أمسى حجرا

* * *

لا انتقامًا حبطت فتنته ... حاشَ للّه ولا الحلم نفد
إن تكن قد خمدت جذوته ... فمن الرحمة بالخلق خمد

* * *

حين جارت فتنة الغاوى على ... عصمة الأملاك فى غرتها
عجّل اللّه به ما أجّلا ... وحمى الدولة فى بيضتها

* * *

قال كن عبدى فلما أن أبى ... قال كن صخرًا كما شئتَ فكان
لهبٌ طار فلولا أن خبا ... لتغشّى الكونَ نار ودخان

* * *

ولقد قال أناس شهدوا ... مصرع الشيطان هل طبع يزول ؟؟
ناره تخبو فلا تتقد ... وهو فى الصخرة يستهوى العقول

(١) يقول الشيطان إذا طلبتم أمنية تستحق الطلب فلتكن أمنيتكم أن تصبحوا من الكمال بحيث لا تطلبون شيئًا ، وهذه أمنية لا يقل اللّه منكم أن تطلبوها فاشكروه لأنه يحرمكم السؤال .

فـــإذا أبصـــرت من صـــخـــرته ... دُمـــيـــةً ســـاحـــرة أو صنمـــا
فـــابتـــعـــد منه ومن رقـــيـــتـــه ... واتق اللّه وحـــــوقل نـدمـــــا

وتعـــــجّبْ من شـــــواظ[1] رده ... طارقُ اليـــأس صـــفـــاة جلمـــدا
وتدبّر كـــيف أبقى كـــيـــده ... ومـــحى روحًـــا وأفنى جـــســـدا

ولقـــد أسـمع فـــيـــمـــا زعـــمـــوا ... نبـــــأً من نحـــــو إبليس أتى
قـــال لا تأســـوا ولا تنتـــقـــمـــوا ... مـــعـــشـــر الجن فـــمـــا برّ الفـــتى

مـــــا أرى هذا الفـــــتى من دمنا ... ومتى استغوى الشياطين الشرك ؟
أترى شـــــيطانه من قـــــومنا ... أغـوت الأمـلاك فـهـو ابن ملك !

ذاك أو كـــيف أطاشت فـــمـــه ... غـيـرةٌ منه على القـول الصـراح
أكـــبـــا الشـرثار أم أسـقـــمـــه ... أرجُ الجنة أم مـل الكـفـــــاح ؟؟)

فتلاحَى القوم[2] ثم استضحكوا ... ودعـــا مـــازحـــهم شـــر دعـــاء
قـــال فلتـــسلكه فـــيـــمن سلكوا ... أيهـا المولى سـبـيـل الشـهـداء !

وتقـــضتْ بينهم ســـيـــرته ... ومـضى كـالطيف أو رجع الصـدى
باءَ بالسـخط فـلا شـيـعـتـه ... رضـــيـت عنه ولا أرضى العـــدى

وكـذا العـهـد بمشـبـوب[3] القلى[4] ... عـــارم[5] الفطنة جـيـاش الفـؤاد
أبدًا يهـــتف بالقـــول فـــلا ... يعـــجب الغىّ ولا يرضى الرشـــاد

---

(١) شواظ النار اللهيب . (٢) تلاحى القوم : أى تنازعوا .
(٣) المشبوب المتقد .
(٤) القلى : الكراهية .
(٥) العارم الذى اشتد وجاوز حده .

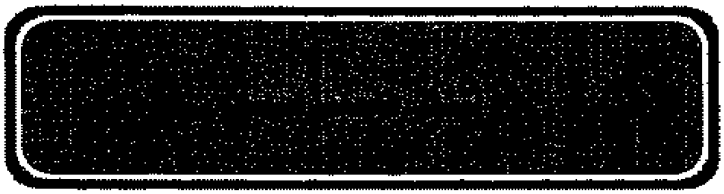

هيكل إدفو(*)

. . . . . .

يا دار بطليموس حسبك رفعةً ... وصيانة بين البِنَى وجمالا بالشامخات

حرصُ الزمان عليك وهو موكّلٌ ... يحميلها أطلالا

أبقاك في فك الزمان مصونةً ... جيلان يبنيك الملوك وصالا(١)

لم يبصروا بك موضعًا لزيادة ... إلا استزادوه علاً وكمالا

غدروا ذوى القربى ودكوا دورهم ... وتلاحقوا عمًّا إليك وخالا

واستنزلوا الأرباب فيك ليشهدوا ... بين العباد ثوابًا ونزالا !

وضعوك أم رفعوك لما صوروا ... فيك السلاح أسنة ونبالا !

وتقحّموا الحرم الجليل أم ابتغوا ... زلفى لديه وقوة ونوالا ؟

ضلّ الذين تطاولوا فتوهموا ... أن الأوائل دونهم أفعالا

حسبوا المعابد أرضَها وسماءها ... كونين من حكم الطبيعة حالا(٢)

هبطتْ من الملأ العلىّ فأصبحت ... فيها الذئاب الضاريات سخالا

ننسى العداوة والصداقة والهوى ... فيها وننسى الخوف والآمالا

كذبوا فما تغنى الأنام عبادةً ... تذر القلوب فوارغا أغفالا

لا ربَّ إلا من يمالئ شعبه ... عند الكريهة إن جفا أو مالا

لا تعبدنَّ إذا أردت سيادةً ... ربًا يُعين الصيد والأنذالا

واعبد إلهًا يصطفيك بعونه ... ويذيق خصمك ذلةً ونكالا(٣)

من ظنّ أن ولاته كعداته ... عند الإله . فكيف يسعد حالا ؟؟

* * *

الناس يغتال القوىّ ضعيفهم ... والدهر يغتال الفتى المغتالا

قهار كل القاهرين تقاصرت ... عند مكائد من طغى واحتالا

(*) هيكل إدفوا : جزء ثانى .

(١) وصالا : أى متواصلين .

(٢) حال : أى اختلفت .

(٣) هو الإله العادل الذى يعين الأخيار ولا يسوى بينهم وبين الأشرار .

ذهبوا فما هوت الكواكب بعدهم ... أسفًا وما نقص الثرى مثقالا
مَلكَ الفراعنة الحماة وخلّفوا ... للملك أعلامًا بمصر طوالا
وخلا الأكاسرة البغاة كأنهم ... عبروا بمدرجة الزمان رمالا
ومضى البطالسة الكماة وهذه ... مصر يزيد شبابها إقبالا
تتقوض الأوطان وهى كدأبها ... من عهد نوح تربة ورجالا
عهدٌ على اللّه القدير وذمة ... ألا تضيم لها الكوارث آلا
فتجنبوا فيها القنوط وأجزلوا ... قسط البنين معارفًا وخصالا
إنا لنرجوها ونوقن أنه ... ما كان يومًا لا يكون محالا
وستستقل فلا تقولوا إنها ... صمد الهوان بها فلا استقلالا

* * *

تمثال رمسيس(*)(١)

رمسيسُ أين جنودك البُسَلاء ... ومواكبٌ لك فى البلاد وُضاء
وبشائر بك كلما طال المدى ... وتقدمتْ بإيابك الأنباء
والجيش حولك كالغمائم فوقهم ... للمُلْك والفتح المبين لواء
متهللين غداةَ أطفأ شوقهم ... نيلٌ أتوه وهم إليك ظماء
فنىَ الجنود فهمْ عِشيرٌ(٢) ... ساف وأنت جلامدٌ صماء
مُتخيّرَ الصحراء دار إقامة ... إن الليوث ديارُها الصحراء
وتكنّفتك(٣) من الخلود مسافةٌ ... لا يستبيح ذمارها الأحياء
. . . . . .
رمسيس أيةُ صخرةٍ بين الصفا(٤) ... قد شرّفتها هذه السيماء
رحجتْ بها التبر السبيك نفاسة ... ما التبر والذكر المقيم سواء
حفظت سماتك بيننا وتطلعت ... تبغى علاك فعازها الأجواء
وشكت مواقفة الزمان ولم يكن ... يعروك أنت بموقفٍ إعياء

(*) تمثال رمسيس : جزء ثانى .
(١) لرمسيس الثانى : أكبر فراعنة مصر تمثال ضخم على مقربة من البدرشين وهو التمثال الذى كانت الحكومة قد عزمت على نقله إلى القاهرة ونصبه فى ميدان باب الحديد .
(٢) العشير : التراب الثائر . (٣) وتكنفتك : أحاطت بك . (٤) الصفا : الحجارة .

إلى متطوعي مشروع القرش(*)

. . . . . .

يا فتية القرش وروّاده ... على سواء المنهج الواضح
خذوا هبات الجود حتى إذا ... فرغتم من فيضها النافح
طوفوا على الدور ولا تتركوا ... بابا قد استعصى على فاتح
وحاصروا الراكب في ركبه ... واسطوا على السانح والبارح
وراقبوا الجو ولا تتقوا ... غوصًا وراء الغائص السابح
وعلّموا من ضن بالقرش أن ... يخجل من عدوانه الفاضح
فمن أبى قرشًا على أمة ... فذاك كالجاني وكالجارح

* * *

عيد الاستقلال السوري(*)

(ألقيت هذه القصيدة في احتفال أقامه إخواننا السوريون لذكرى عيد الاستقلال في سنة ١٩٣٠) .

ربعَ الشآم أعامرٌ أم خال ... اليوم عيدك عيد الاستقلال
إني لأرجع بالسؤال أطيله ... لو يملك الشهداءُ رجع سؤالي
سكتوا وأقفرت المنازل منهمُ ... إلا منازل من صُوى[1] ورمال
بوركت من وطنٍ يُجلُّ شهيده ... في حيثما ألقى عصا الترحالِ
وطنٍ تضيقُ الأرض عن أبنائه ... وإليه مَوْئلهم مع الآمال
يستبدلون الخافقين ببضعة ... منه ، وما قنعوا بالاستبدال
ذهبوا بأفئدة تفرّق شملُها ... شيعًا ، وما فيهم فؤادٌ سال

* * *

(*) إلى متطوعي مشروع القرش : عابر سبيل .
(*) عيد الاستقلال السوري : وحي الأربعين .
(١) الصوى : القبور والحجارة التي تتخذ دليلا على الطريق .

يرتاد راحلُهم وخلف ركـــابه ... حُلُمٌ يبت به مع الحُـــلاّل
يصحوا على «الشاغور» من لبنانه ... وينام من «بَرَدَى» على السلسال
وتهزه من «عشتروت»[1] خميلةٌ ... تلتفُّ بين جداول ودوال
وتليه من وادى العرائش نسمةٌ ... سكرى الضُّحى رفّافة الأصال
أنّى استقرّ وحيث سار هفا به ... همسٌ من الجبل الأشمّ العالى
أين السلوّ؟ ولا سلو لعابرٍ ... فيه ، فكيف بمولد وفصال
هذى مواطنكم وتلك قلوبكم ... وشُجتْ[2] على الأهواء والأهوال
ما فى المدامع من شعار كنيسةٍ ... يوم الحنين ، ولا شعار هلال
فيمَ اختلافُ مصفّدين تضمهم ... - قبل الوفاء - سلاسلُ الأغلال
أمنازعون على السماء وأرضكم ... نهبٌ لكل منازع ومُوال ؟
كونوا - ولا نصحٌ لجيل نبوة - ... فى العالمين هداية الأجيال
من بعلبكّ خذوا المثال لرأيكم ... يوم الخلاف ، وتلك خير مثال
فيها لموسى والمسيح وأحمدٍ ... أثرٌ وللوثن القديم البالى

* * *

أنتم بنو ماض على أحزانه ... نعْمَ البشير لكم بالاستقبال
ماضٍ بأمثال التجارب حافل ... ومن التجارب حكمة الأمثال

* * *

النشيد القومى(*)

قد رفعنا العلمْ ... للعلا والفدى
فى ضمان السماء

* * *

حىّ أرض الهرم ... حىّ مهد الهدى
حىّ أم البقاء

* * *

(١) عشتروت : هى قرية شتورة الحديثة فما يقال .
(٢) وشجت : اشتبكت . (*) النشيد القومى : عابر سبيل .

كم بنت للبنين مصر أم البناة
من عريق الجدود

* * *

أمة الخالدين من يهبها الحياة
وهبته الخلود

* * *

تحت أصفى سماء فوق أغنى صعيد
شعب مصر مقيم

* * *

قد حوى ما يشاء من زمان مجيد
ومكان كريم

* * *

نيلنا خير ماء كوثرٌ من نعيم
فاض بالسلسبيل

* * *

فى العروق الدماء شعلة من حميم
للعدو الدخيل

* * *

إن يكن أمسنا فى حمى الأولين
فلنعش للغد

* * *

لا ترى شمسنا غير فتح مبين
ما يدمْ يزدد

* * *

فارخصى يا نفوس كل غال يهون
كل شىء حسن

* * *

إن رفعنا الرؤس فليكن ما يكون
ولتعش يا وطن

* * *

يوم الجهاد(*)

أجل هو يوم الفـــــدى والذمْ ... ويوم الجـــهـــاد ، ويوم القـــسَمْ
ويوم الذين دعَـــــوا أمـــــةً ... ونادوا بدعـــــوتهـــــا فى الأمم
ويومٌ لـه غـــــــده المرتجى ... ويومٌ له ســـــرّه فى القـــــدم
هنا حـــرمٌ فى جـــوار الزمـــا ... ن فحيوا الزمـان وحيوا الحرم
هنا فليـقم عـهـده من أقـا ... م ، ويعـــزمْ على أمـره من عـزم
ويســتـقـبل الهـول من راضـه ... ويرتد من خـافـه فـانهـزم
تعـز الصـفـوف بنبـذ الجبـا ... ن كـعـزتهـا بشـجـاع هجم
وتُحمى الحـقـوق بدفع الضعيـ ... ـف كدفعك عن حوضها من ظلم
فليـست تصـان الحـقـوق التى ... حمى جانبيـها ضعـاف الهـمم
وهيـهـات تعلو لنا شـوكـة ... بشكوى الذليل ، ونجوى السـأم
إذا كـــرمتْ أمـــة لم تكن ... كـرامـتـهـا من هبـات الكرم
إذا استـرحمت أمة خصمهـا ... فـلا رحـمـتـهـا عـوادى النقم

* * *

. . . . . .

كـفى لعـبـا أيهـا الهـازلو ... ن ، فـقـد مـلأ الخطب مـصرًا وطمْ
لئن أسـأمـتكم كـبـار الأمـو ... ر لقـد أسـأتنا صـغـار اللمم
وقـد أسـأمـتنا رعـاة تسـا ... ق ، فـأين الرعـاة وأين الغنم ؟
أأصنام باغين تبـغـونهـا ... وأنـتـم تـذلـون ذل الخـدم ؟

* * *

أأطلب حـرية للعـبـيـد ... وألقى بحـريتى عن رغم ؟!
فـمـاذا أقـول لهـذا الجبين ... ومـا عـابه عـائب أو وصم
ومـاذا أقـول لهـذى اليـمـ ... ـين . وإنى بها قـد صنعت الصنم
مـعـاذ الفـتـوة . أنى لكم ... على رصـد سـاهر لم ينم
هو الحق مـا دام قلبى مـعى ... ومـا دام فى اليـد هذا القلم

(*) يوم الجهاد : عابر سبيل .

عيد بنك مصر (*)

ألقيت فى الاحتفال بمضى خمس عشرة سنة على إنشاء بنك مصر

بلغتَ الشباب ، فعش وازدد ... وأوح التهانىءَ للمنشد
نما بك جَدّك فى المعجزا ... ت ، فيالك من معجز مفرد
أفى السن كاليافع المرتجى ... وفى المجد كالهرم المخلَد ؟
وما هرم الصخر فى مجده ... نظيرك يا هرم العسجد
وما بنيةٌ حرةٌ فى الرضى ... تقام ، كبنية مستعبد
بنو مصر فى كل عهد لهم ... بناءٌ على سُنّة الموعد
فحينًا معابدُ فوق الذّرى ... وحينًا مصارف كالمعبد
بهذا وهذا نجارى الزما ... ن ، ونسبق فى شوطه الأبعد
وندرك فى يومنا أمسنا ... ونرفع شأويهما فى الغد

* * *

فيا قائمين على (حصن مـ ... ـصر) سعدتم برضوانها الأسعد
إذا قيل (بنك) فقد قيل حصـ ... ـن ، نجا بالعتاد والمُعتد
ومَن قال يا أمتى وفرى ... فقد قال يا أمتى جنّدى
هنيئًا لكم قادة ذادةً ... يصولون صولة مستشهد
هنيئًا لكم (حربكم) أنه ... من الحرب فى وصفها الأحمد
لكم راية النصر مرفوعة ... على ساحة الزمن السرمد
تعود لكم كل أعيادكم ... بأجمل مما به تبتدى

* * *

دار العمال (*)

ألقيت فى دار العمال عند افتتاحها فى صيف سنة ١٩٣٥ .

حىٌّ «دار العمال» بالإقبال ... وترقّبْ لها بلوغ الكمال
وانتظر رافعى الدعائم حتى ... يرفعوا بينهم عزيز المثال

(*) عيد بنك مصر : عابر سبيل .

(*) دار العمال : عابر سبيل .

رفعوا أمس ما علا من صروح ... ولهم فى غد صروحٌ عوالى
ولهم فى غد من الأمر قسطٌ ... من يكن مؤمنا به لا يغالى
أيها العاملون لبيكم اليو ... م ، ولبيكُم غدا فى المجال
نعم جيش السلام أنتم إذا ما ... جرّد البغى جيشه لاغتيال
لَكُم العدة التى ما استطاعت ... أمةٌ قط تركها فى نزال
ولكم أذرع شداد ، وأيد ... من حديد ، وأظهر من جبال
ولكم فى اتحادكم رأس مال ... إن فقدتم ذخائر الأموال
ولكم صيحة يهاب صداها ... سادة فى نفوسهم كالموالى
فابلغوا بالوئام والصبر مالا ... يبلغ المرجفون بالأهوال
لا يسخّركَم المسخر جهلا ... وانبذوا كل عاطلٍ مكسال

* * *

. . . . . .

أيها المنقذون بنية مصر ... من فتور ومن ضنى أو كلال
أنتم الكف والذراع وأنتم ... قوة فى يمينها والشمال
حظكم حظها من العلم والصـ ... ـحة والبأس والحجى والخصال
كلما نالها نصيب من الخيـ ... ـر فأنتم لكم نصيب تالى
أعجب الناس عامل فى بلاد ... صاح فيها : ما للبلاد ومالى ؟
لا تقولوا العمال حسْبُ ، وأنتم ... فى بلاد تموج بالعمال
إن مصرا تنال من غاصبيها ... أجر بخس وخدعة ومطال
وهى أرض للواغلين عليها ... سطوة أشعبية الإيعال
كل من فى جوانب النيل عانٍ ... مستغل الجهود والأموال
كلهم غارس لآخر يجنى ... ثمر الماء ، والثرى ، والرجال
وإذا ما تفرقوا طبقات ... جمعتهم جوامع الأغلال
وإذا قيل موسر وفقير ... فقصاراهما إلى استغلال
حققوا الأمر ما قضية مصر ... بعدُ إلا قضية العمال

عيد الجهاد(*)

«١٣ نوفمبر»(١) بعد ربع قرن

جددوا آل مصر عيد الجهاد ... بجهاد على المدى فى ازدياد
إنما قُدّر الجهاد عليكم ... يوم كان «استقلال» هذى البلاد
والذى أوجب الحراك على الأ ... يدى انطلاق الأيدى من الأصفاد
ليس كل الأعياد ندحة لهو ... قد تكون الأعياد لاستعداد
وقضايا السلام أطول عهداً ... من قضايا الخصام بين الأعادى
قادنا معشر فلما تولوا ... أسلمونا أمانةَ القوّاد
ما إخال الروّاد قد سرّحونا ... بعدهم نحن معشر الأجناد
سبقونا ممهدين وقالوا ... دونكم فانهضوا بغير رقاد
قد حملنا وديعةَ الأجداد ... فاحملوها أنتم إلى الأحفاد

* * *

. . . . . .

صدقونى فرب صدقِ نذيرٍ ... حاط قومًا من صادق الإيعاد
لغدٍ - فارقبوه - أحوج منا ... لاجتهاد فى أمرنا واتحاد
قد بدا حولنا مدى الحرب فينا ... ومدى السلم حولنا غير باد
إنما الهول فى غدٍ فاتقوه ... واستعدوا له بأطيب زاد
ما الوغى والسيوف مشتجرات ... كالوغى والسيوف فى الأغماد
من حروب على اللسان صراح ... وحروب مكنونة فى الفؤاد

* * *

(*) عيد الجهاد : بعد الأعاصير .

(١) يتشاءم الناس من رقم ١٣ ولكن ذكرى الجهاد قد أسقط أن تجعل من هذا الرقم يوم عيد .

وأباطيل فتنة وضلال ... وعقابيل محنة وفساد
كم تلاقون فى غدٍ من دعاوى ... صبغوا لونها بكل حداد
ووباء الأخلاق من كل فج ... وبلاء الأرزاق فى كل واد
قسم للحطام فى غير عدل ... وادّخار له بغير سداد
بين كظّانَ أثقلت جانبيه ... تُخمٌ جمة ، وجوعان صاد
إن وقيتم بلادكم من أذاها ... فانعموا بعدها بعبقى الجهاد

* * *

عيد النيروز(*)

أهلا بنيروز وليد ... أهلا بميلاد سعيد
يومٌ جديدٌ . قلت بل ... عهدٌ على مصر جديد
عهدٌ تصان كرامةٌ ... فيه ، وتتبعها جهود
لا تستذل ولا تسا ... م على الهوى سوم العبيد
وغداً ستنقشع الغيو ... م فلا بروق ولا رعود
ما كان غير الصالحـ ... ـين لهم قرار فى الوجود

* * *

مصر الكنانة كعبة ... قرت على حصن وطيد
لا تلبث الأصنام فيـ ... ـها أن تنكّسَ أو تميد
كم ذا أراد بها الأذى ... باغٍ ، وكاد لها حسود
يمضى يعدد ما يريدْ ... واللّه يفعل ما يريد
حوض له من قومه ... ورد ، وما أحلى الورود
إن لم يذد أبناؤه ... عنه ، فمن عنه يذود ؟
سمرٌ وسودٌ أين من ... صبغيهما حمر الجلود
شتان ما هم فى الأصو ... ل ، وفى المهود وفى اللحود

* * *

(*) عيد النيروز : الاحتفال بعيد النيروز نشرت بالعدد ٧٣ من الأخبار الجديدة بتاريخ ١١ من سبتمبر ١٩٥٢ .

يا صحبة التوفيق وُفـ ـقتم إلى النهج السديد
حييتم النيل المبا رك واحتفيتم بالصعيد
عيد الوفاء إذا استعيـ ـد فمن وفاء المستعيد
عيدٌ له فى ذمة التا ريخ توفيقٌ حميد
عيد الأوائل والأوا خر ، والخمائل والورود
العالَمية وصفه المعـ ـهود فى كل المعهود
من فارس عنوانه وصداه فى الدنيا بعيد
كم صان مصريون ذكـ ـراه وحياه هنود
وترنَّمت فيه العرو بة بالقصيد وبالنشيد
ما بين شعر البحتر ى وبين نثر ابن العميد
أم يؤلف بينها من حيث فرقها الجدود
ما أحوج الدنيا إذا اختلفت إلى عيد وحيد

* * *

فى كل عام تحتفو ن بمولد اليوم الجديد
بالنيل غير مقسم فرد له ملك فريد
ملك على دين الإخا ء ونعمة العيش الرغيد
لا راغم فيه يسا د وكل من فيه يسود
وتراه ضاع وظنُّه ألا يضيع ، ولا يبيد

* * *

يا مصر يا بنت الخلود يا معقل المجد التليد
أين الدين جزوك جا زية الخيانة والكنود
من كل مسخ هازل فى زيِّ جبار عنيد
يحكى الأسود تجبُّرا وكذاك عربدة القرود
طاغ عليك ، ومنك لا منه الصوالج والبنود
وكأنما فى جوفه نار تلظَّى بالوقود

أبداً تنادى كلما ... أطعمتها هل من مزيد
لا نصح يجدى فى هدا ... يته ولا عتبٌ يفيد
أين القرار به ، وأين ... اليوم موكبه المجيد ؟!
ولّى وولىّ صحبه ... لا غائبين ولا شهود
من كل مغلوب على ... كمد ومنبوذ شريد
اللّه أقوى قوةً ... من كل شيطان مريد
كم ذا استعز ببأسه ... فأذله البأس الشديد
بأس الجنود العاملين ... يقودهم رب الجنود

* * *

النيل أقبل من بعيد ... وكأنه حبل الوريد
متدفقٌ بين السدو ... د ، ولا حدود ولا قيود
فيض من السودان مو ... رده وقبلته رشيد
متجدد فى كل عا ... م عند موعده يعود

* * *

الفالوجة(*)(١)

. . . . . .

أجل هى مصر التى نعهد ... إذا نفد الدهر لا تنفد
لها مورد من حماة الذّما ... ر . يسعفه أبداً مورد
فللّه مصر وما جددتْ ... وأبناء مصر وما جددوا
إذا ما ارتضى الموت أبطالها ... فرضوانهم أنها تخلد

(*) الفالوجة : بعد الأعاصير .

(١) تحية لأبطال «فالوجة» الذين قاوموا الحصار فى معركة فلسطين على قلة الموارد والذخائر والأسلحة والحصون .

أعـادوا لهـا سـيـرة الأوّلـ ـين ، والعود من مثلهم أحمد
تحن الرمـال التى خـضّـبـوهـا وينبض فى جـوفـهـا الجلمـد
فكم لعلىّ ، وكم لصـــلا ح جنودٌ بساحتها استشهدوا
وكم قـبل ذاك لرمـسـيـسـهـا كُـمـاةٌ على صـخـرها وُسِّـدوا
مـعـودةٌ أن تجـيـب الدعـا ء إذا مـا دعـا المجـد والسـؤدد

. . . . . .

بيوم مجيد ، لأمس مجيد وإن غـداً بعـده أمـجـد

* * *

بنو مـصـر للّه مـا جـاهدوا وفى الحق والخـيـر مـا أعـتـدوا
أولوا البـأس لكنهم عـصـبـة إذا ما اعتدى البأس لم يعتدوا
ومنهم لكل ضـعـيف حـمى وفـيـهم لكل أخ مُنجـد
أغـاثوا العـروبة فى مـحنةٍ رمـاها بهـا الزمن الأنكد

* * *

تقدير

شكسبير (*)

بين الطبيعة والناس

أبا القـــوافى ورب الطرس والقلم ... مـاذا أفـادك صـدق العلم فى الأمم ؟
لـم يعـرفـوك ولم تجـهل لهم خلقـا ... هذا نصـيـبك من دنيـاك فـاغـتنم !
قـضّـيت دهرك تلهـيـهم وتضـحكهم ... يا للعـجـائب من أضـحـوكـة القـسم
لا يوثق الهـر رئبـالا ليـضـحكه ... فاعجب من الناس ، لا تعجب من البُهم
هـلا رأوك عـلـى قـــــرب بـنـظارة ... ترى الحـجى رؤية الأسـوار والأطُم ؟
ولـو رأوك بـتـلـك العـين لانـخـلـعـت ... رقـــابهـم دون أدنى تلكم القـــمم

* * *

شـــرعتَ للناس وِردًا لا انقطاع له ... يوم انقطعت عن الآفـــات والنعم
والميت قـد ينفع الأحـيـاءَ مـا عَـمـروا ... وليس ينفـعـه الأحـيـاء فى الرَجم[1]
إنْ يذكـروك فـمـا جـاءتك ذكـرتهم ... فى الغـابرين ، ولا سـرتك فى الرمم
أو يكبـروك فـمـاذا قـول مـسـرجـة ... للشـمس : هذا ضياء الكوكب العلم
أو يشكروك فـمـــا بروا ولا ندمـوا ... أين الجـــهـــالة من بر ومن ندم ؟
ارجعْ إليهم ، وقل فيـهم ، وغنّ لهم ... أينـظرونـك إلا نظـرة الـقـــــدم ؟
مـــا أكـــثـــر البـــر باسم لا غناء به ... وأنـدر البـــــــر بالأرواح والـنـسم
لا يقـدر الناس يومًـا أجـر سـادتهم ... وإنما يقـــدرون الأجـــر لـلخـــدم
أجـر العظيم زَمـاع[2] فى جـوانحـه ... يجـــزيه بالأمن أحـيـــانًا وبالألم

* * *

وصـــاحب لك أرخـصتَ الفـؤاد له ... والحـبُّ أقـــــرب مـن إلّ ومن رحم
فـــرد من الناس لو شـــد الوفـــاء به ... أهونتَ غـدر جـمـيع الناس بالذمم
فـقـدته وهو مـوجـود على كـثَب ... يا مـوجـد الحـسن أسـرابًا من العـدم
لم يُغن قلبك عنه مـا يزخـرفـه ... عن صورة الحسن فى الأوصاف والشيم

(*) شكسبير بين الطبيعة والناس : جزء ثالث . ٣٣ (٤٢ فقرة ١٥٥) .
(١) الرجم : القبر . (٢) زماع : عزم وبأس .

بل زاد شـجـوك أن تلقى لهـا مـثـلاً ... حـيًـا ، على أنه فى البـعـد كـالحلم
أعناه باللهـو عـمـا أنت ضـامنه ... من ليس يغنيك عنه بالنهى العـمـم
هلا سلكتَ إلى قلب الحبيب وقد ... عـرفتَ سـر قلوب الناس كلهم ؟
هيـهـاتَ لا تملك الألباب ما عـرفت ... أين المنجم من شـهـب ومن رُجُم
أرضٌ تراها ولم تملك مـقـالـدها ... لتلك أقـصى لعـمـرى من ذرى إرم

* * *

أبا القريض وحسبُ القول معجزة ... بشكسبير وحسب العرب والعجم
لو فـاخـر الكون أكـوانًا تناظره ... كنت الفخار فـأبدت ذلك العـقـم
مـا الفـخـر للكون إلا بالحـيلة ومـا ... من بضعة هى أحيا منك فى الأدَم[1]
لما رأت بك عـمـيـاءُ الحـيـاة جلت ... مـاليس يجلوه نور الصبح من ظلم
(حتى الخرافات تزجيها فنحسبها ... من خلقة اللّه لا من خلقة الوهم)[2]
نكاد إن لم يجـدها الطرف مـاثلة ... فى الأرض نقدح فيـه قدح متهِم
تقاربت عندك الأقـدار والتـهـمت ... حـيـاتُك الخلق طرًا كل ملتـهـم
فـمـا احـتـفلت بأمـر هائلى جلل ... صـعـب المرام ولا أزريت باللمم[3]
(مثل الطبيعة تذكى الشمس ساطعةً ... فى عُلْو ، إذكاءها للنار فى السلم)[4]
كم ترجم الناس عن فحوى حقائقها ... أنت تنقلهـا نصًـا إلى الفـهـم

* * *

أبا القـريض ألا بوركت من رجل ... إن الرجـولة فى الأقـوال والهـمـم
لقـد خـدعت خـداعًـا لن يضل به ... إلا الذكى الفـؤاد الصـادق الحكم
وقـد خلدتَ ولكن مـثلمـا خلدت ... تلك الشـخوص التى أنشـأتَ بالقلم
هذا قـصاراك فى الدنيا وأحـسبـهـا ... تلهـو بنا ، بيـد هوجـاء ، لا بفم
مـالت على القـوس ترمينًا على غـرر ... مـن الظـلام ، بـلا وَرى ولا نـغـم
يا ليـتـهـا كلمـتنا وّهى رامـيـة ... أو غلّهـا شلل أحـرى بذا البكم

---

(١) الأدم : جمع أديم وهو الجلد .
(٢) الوهم : هذا المعنى لها زليت الناقد الإنجليزى .
(٣) اللمم : الصغائر .
(٤) هذا المعنى مقتبس من أمرسون .

مـجـاورَ الموت هل ألقـيت فى يده ... بقـيـة منك لم تُقـرأ ولم تُشم ؟[1]
ألقيت فى الأرض جمرًا لا ذكاء له ... فـأين أفلت ذاكى ذلك الضـرم ؟
أمنت قـرب ثراها واتقـيت يدًا ... تمس منك بقـايا الأين والسـقم
والأرض أمك والإنسـان بعـدُ أخ ... وقـد يمد شـقـيق كف منتـقم
لقـد لحقت وكم فى ذاك من عجب ... بزمرة الصخر ، فانزلْ ثم فى حرم
مـا أبلغ الموت فى صـمت رمـاك به ... يا أبلغ الناس فى صـمت وفى كلم

* * *

ذكرى سيد درويش(*)
فى شهر سبتمبر سنة ١٩٣٥

اذكـروا اليـوم سـيّـدا ... واحـفظوا الذكـر سـرمـدا
وتغنـوا بحـمـد من ... قـد تغنى فـاسـعـدا
من يكـن ذاك أمـه ... يبـتـدئ مـجـده غـدا

* * *

كـان للصـوت مـالكا ... كـيف لا يملك الصـدى ؟
قـد حـوى السـمع شـاديًا ... وسـيـحـوبه مُـخْلَدا
أخـلـد الـنـاس مـن إذا ... قـيل تاريخُـه شـدا
عـاش للـفـن ، والـفـنـو ... ن مـصـابيح للهـدى
مطلع النور ، نبـعـهـا ، ... جـاوز الشـمس مـصـعـدا
من يعش فى السـمـاء هيـهـ ... ـات لا يـعـرف الردى

* * *

جـددوا اليـوم ذكـر من ... قـد تغنّى فـجـددا
الذى صـوّر الحـيـا ... ة هتـافًـا مـرددا
علّم الناس كـيف يعنـو ... ن باللحن مَـقـصِـدا
مـا ابتـغـوا قـبله المعـا ... نىَ فى القـول مـسـندا
وانثـنـوا يَعـجـبـون للطـ ... ـير لما تغـردا

(١) تشم : شام البرق نظر إليه أين يذهب وأين يمطر .
(*) ذكرى سيد درويش : عابر سبيل .

ولهمس النسيم فى الـ ـغصن لما تأوّدا
والدراريّ والسنا والأزاهير والندى
سمعوا كل ما انطوى من سرار وما بدا
سمعوا الكون بيّنا والمقادير شهّدا
فُتح البابُ كله بعد أن كان موصدا
ربما جاز فاتح فى المدى ما تعمدا

* * *

إنما الفن فى الشعو ب شبابٌ له الفذى
فيض ما زاد من شعو ر وما هام مبعدا
سورة فى عروقها يتقى بأسها العدَى
لا أنينٌ ولا طنينٌ ولا ضجة سدى
أو نديم لشارب بالطلا قد تزودا
أو بكاء كما بكى سائل يطلب الجدى
رحم اللّه سيدا كان للفن سؤددا
ليت أحياءنا الأولى سبقوا الموت موعدا
لحقوا - وهو فى الثرى منه روحا تمردا
وارتأوا مثل رأيه واقتدوا مثلما اقتدى
أكبر الظن أنه جاور البحر فاهتدى(١)
مفلحٌ من يكون أستا ذه البحر مزبدا
إنما اللحن ترجما ن عن النفس ما عدا
مبدع وهو ناقل كلما قال أوجدا
واصف لن ترى له عاذلا أو مفندا
هكذا كان سيد صادق الوصف مرشدا
ما سمعنا لشعب مصـ ـر على ما تعددا
واصفًا كان مثله مستجابا مؤكدا
كل رهط أعاره لحنه أسلم اليدا

(١) كانت نشأة الموسيقار الكبير فى ثغر الإسكندرية .

وحـــبـــاه بســـره ... نـاطـق الـوسـم مـنـشـــدا
لـيـس مـن عـــامـل ولا ... عـــاطـل راح أو غـــدا
أو ســـرىٌ مـــجـلـل ... أو وفـــقـــيـــر تجـــردا
أو قـــوى مـــزمـــجـــر ... أو ضـــعـــيف تـنـهـــدا
أو دعـــاء دعـــاه إلا ... عـــرفـنـاه جـــيـــدا
هـكـذا يـســمـع الخـلـيـــقـ ... ـة من يـســمـع الصـــدى

* * *

إنـمـا الـلـحـن مـنـطـق ... وحـــدّ الـكـون إذ حـــدا
فـيـــه ، لا فى اللغـــان ، يبـ ... ـدو نظيـــمـــا منضّـــدا
اسـمـعـوا منه فى الضـمـا ... ئر وحـــيًـــا مـــؤيدا
حـيـثـمـا يقـصـر الكلا ... م ويمشى مـقـيـــدا
وارفـــعـــوا الفن واحـــذروا ... مـــهـــبطا منه أو هدا
واجـــعـلوا من تراث درو ... يش للفن مـــعـبـــدا
إنه مـــهـــد الخطى ... فـــابلغـــوا أنتم المدى
رحم اللّه ســـيـــدا ... كـــان فى الفن ســـيـــدا

* * *

تكريم عامرٍ (*)

بلدة الشـــمس والجـــبـــال ... كـــيف لا تنجب الرجـــال ؟
أنجـــبـت مـــثل عـــامـــر ... وهو فى الهـــمـــة المثـــال
الـذى فـى جـــهـــاده ... ســبق القـــولَ بالفـــعـــال
والـذى كـــان أول الصـ ... ـف فى حـــومـــة النضـــال
عـنـد مـــا نودى «الـدفـــا ... ع» بـدا فـــارسَ المجـــال
وتـلا مـن تـلا وصـــا ... ل بنو النيل حـيـث صـــال
أشـــجـع الـنـاس بـاذل ... هـــزم الـشـــح والمـطـــال
كـــرم النفس كـــالشـــجـا ... عـــة من أندر الخـــصـــال

(*) تكريم عامر : عابر سبيل - أنشدت فى احتفال أقيم لتكريم السرى الأسوانى الكبير إبراهيم عامر «باشا» .

كـــــرمـــــوا الـذروة الـتـى ... رفـــعـت هامـــة الـهـــلال
رفـــعـت أرؤسًـــا وطـا ... لـت مع المجـد حـيـث طال
واحـمـدوا فى احـتـفـالكم ... أجـدر الناس باحـتـفـال
الـعـصـامى فى الغنى ... والـعـظـامى فى الخـلال
والـذى جـدّ وحـده ... فـشـأى عـصـبـة الرجـال
والـذى كـل درهـم ... فـى تجـاراتـه حـلال
زانـه الـلّـه بـالأمـا ... نة والصـدق فى المقـال
والمضـاء الـذى يجـدّ ... ولا يـعـرف الـكـلال
والـنـظـام الـسـوىّ فى ... غـيـر ضـيق ولا اخـتـلال
يـتـبع المال صـاغـرًا ... من له الـعـزم رأسُ مـال

* * *

لـقـب حـازه وكـم ... حـاز من قـبـلـه ونال
لـم يـزد فـضـلـه بـه ... فـهـو ذو الـفـضـل لا جـدال

* * *

كـرّمـوه تكـرّمـوا ... خـيـر دار ، وخـيـر آل
إن أسـوان مـا خـلـت ... قط من مـعـدن الكـمـال
صـخـرهـا جـوهر الخلو ... د وأغـوذج الجـمـال
وبـنـوهـا ، وأنـتـم ... من بنيـهـا - بخـيـر حـال
لـكـم المجـد لا يـزا ... ل من الأعـصـر الخـوال
إنما المجـد بـالـعـلا ... لا جـنـوب ولا شـمـال

* * *

يـا صـديقى ويـا ابـن قـو ... مى ، وجـارى على اتصـال
أقـرب الـقـرب بيـننـا ... شـيـمـة فـيـك لا تنال
شـيـمـة النبل فى اسـتـقـا ... مـة طبع وفى اعـتـدال
شـيـمـة الـعـزة الـتى ... لا يغـالى بهـا اخـتـيـال
إنهـا جـيـرة لهـا ... أبـعـد الناس مـسـتـمـال
لا تـزال غـاغـا بـهـا ... هـانئًـا فـى هـدوء بـال
وحـوالـيـك دولـة ... من مـحـبـيك لا تـدال
تـتـلـقـاك نـعـمـة ... أبـد الدهر فى اقـتـبـال

ثناء على ماهر(*)

ثناء الكرام على ماهر[1] ... ثناءٌ على الرجل القادر
على رجلٍ زاهد فى الثنا ... ء إلا من الأثر العاطر
على من يسير بأعماله ... فيقبل فى جحفل زاخر
ومن كلُّ أيامه صالحا ... تٌ لحفل بتكريمه عامر
فلا حيرة فيه للمحتفى ... ولا حيرة فيه للشاعر
تجىء مدائحه الصادقا ... ت عفو البديهة والخاطر
فسيان إحصاء أعماله ... ونظم المقرظ والشاكر

* * *

بياناته مثل أرقامه ... حقائقُ للحاسب الحاصر
وآراؤه فى ثنايا غدٍ ... كرؤية عينيه للحاضر
وباطنه فى مواعيده ... كصفحة عنوانه الظاهر
له شدة الحق فى بأسه ... تمازجها رقة الساخر
وإنصافه مأمن للعدى ... وإخلاصه عصمة الناصر
وإقدامه فى قضاء الفرو ... ض إقدام مستبسل صابر
إذا ما اطمأن إلى واجب ... فليس بوان ولا قاصر

* * *

أولى الأمر طوبى لكى يومكم ... وطوبى لكم ذكرة الذاكر
فسيروا بأوطانكم وانهجوا ... بها نهج مبتكرٍ باكر
وهاتوا مدى جهدكم تبلغوا ... مدى الحمد من وطنٍ قادر

* * *

(*) ثناء على ماهر : أعاصير مغرب .
(١) من قصيدة فى تكريم الدكتور أحمد ماهر (يوليو ١٩٣٩) .

الغزالى والخيام(*)(١)

نكرِّمه ، نكرِّمه ... وما نرويه نعلمه
ولم ننشئْ له فضلا ... ولكنّا نترجمه
ومن ذا مثل إبرا ... هيم ذو فضل نعظِّمه
وذو سمت نوقِّره ... وذو رأىٍ نقوِّمه
فتى ترضى سجاياه ... ويصدق قلبَه فمه
تساوت عند مطريه ... مزاياه وأنعمه
وحب الخير فى دمه ... فكيف يخونه دمه ؟
له مجدٌ يؤثّله ... بمسعاه ويدعمه
فقد يغنيه أحدثه ... وقد يغنيه أقدمه
ولكن ، ليس يستغنى ... بحظٍ لا يتمّمه
تكنى بالغزالى(٢) ... فلم يتعب منجمه
ولو مال إلى الخيّا ... م لاقاه مخيّمه
أديبٌ ينثر التبيا ... ن آياتٍ وينظمه
عماد الجمع منبره ... وزين الطِّرس مرقمه(٣)
وللفنان فى ناد ... يه مغناه ومغنمه
علت فى السعد أنجمه ... وفى العلياء أسهمه

* * *

تعالى اللّه هاديه ... إلى النعمى وملهمه
ونعم الفضل فضل اللـ ... ـه بالقسطاس يقسمه

* * *

(*) الغزالى والخيام : بعد الأعاصير .
(١) ألقيت هذه القصيدة فى الاحتفال بتكريم الأديب السياسى الأستاذ إبراهيم الدسوقى أباظة .
(٢) نسبة إلى غزالة اسم بلدته .
(٣) المرقم : القلم .

فى محراب المطران(*)(١)

يومٌ تألّق واستضاء ... يوم تعطّر بالثناء
يوم أطلّ على الحمى ... والفضل مرفوع اللواء
هذا وفاء العارف ... ين لشاعر عرف الوفاء

* * *

«مطران» محراب القر ... يض ، خليلُ ناديه الحميم
قدسٌ يزين وقاره ... أنس يهش له النديم
خلقان لم يتجمعا ... إلا لذى فضل عميم

* * *

ماذا أعدّد من سجا ... ياك الحسان ، وهنّ شتى
أدبا وعرفانا وآ ... لاءً محبّبة وسمتا
وإذا أطلتُ فغاية الإ ... طراء أنك أنت أنتا

* * *

ناداك أبناء العرو ... بة باسم شاعرها المجيد
فألّ تُجدده الطوا ... لع كل يوم فى سعود
الآن فاهنأ بالعرو ... بة وهى «جامعة» تسود

* * *

أنطقت بالعربية الفص ... حى أعاجم شكسبير
ونقلتهم نقل الأما ... نة فى الكبير وفى الصغير
بدّلت فى لغة اللسا ... ن ولم تبدّل فى الضمير

* * *

ودعمت للتمثيل كعب ... ته فعاودها المزار
صفرت فحين حللتَها ... حفلت بحج واعتمار
لقنتهم فتلقنوا ... منك التلاوة والحوار

(*) فى محراب المطران :بعد الأعاصير .
(٢) فى تكريم الشاعر الكبير خليل مطران .

وجمعت فحوى «الاقتصا د كما تنزّل فى كتاب
قلمٌ يعلّم علمه ويدٌ تجود بلا حساب
فى العُرف والعرفان سا ئلك المؤمّل مستجاب

* * *

ذم اليراع قضيتها فى كل ميدان دعاك
ليس التنظيم أو النشير قصار ما استرعى هواك
إن «الجوائب» و«المجـ ـلة» فى الصحافة شاهداك

* * *

لما سبقت إلى الجد يد سبقت منه إلى كمال
أتعبتَ خلفك من عدا فى العدوتين على ضلال
لم يدركوك وإن جروا من بعد شوطك فى المجال

* * *

حررتَ أوازن القصيـ ـد فزاد فى الميزان وزنا
وتوسّعتْ فيه البحو ر فأرسلت دُررًا ومُزنا[1]
هذى الثلاثيات حقـ ـك من لدنك ومن لدنا

* * *

وأقمتَ فى ديوانك العـ ـلى أميرًا لا تُجارى
أولى الربوع بشاعر آفاق أنجمه العذارى
لا يبتغى سكنًا سوا ها حيث حلّ ولا مدارا

* * *

واللّه لو وفّوك بالتـ ـجديد حقك من ثواب
لم تُوف عهد كهولة إلا رددت إلى الشباب
متجدد الريعان فى ظل الخلود المستطاب

* * *

لكنّ حقك فى الشبيـ ـبة شائعٌ بين القلوب
يدعو بشعرك من شدا أو عنك فى النجوى ينوب
هبةٌ قضوك ديونها والحر سدّاد وهوب

---

(١) المزن السحب . وهذه القصيدة المنظومة «ثلاث ثلاث» حق للشاعر الذى سبق إلى هذا النوع من التجديد فى القوافى وتقسيم المقطوعات .

أنعم بمحفلك الذى ... وسع العروبة فى مكان
كرمتْ بإكرام النُّهى ... وعلت بإعلاء البيان
هى ترجمت بك عن فضا ... ئلها ، فنعم الترجمان

* * *

عيشا معًا متعاهد ... ين وأبلغا العهد التمام
منها لك الآذانُ صا ... غية ، ومنك لها الكلام
متقابلين على الرضى ... متلازمين على الدوام

* * *

كوكب الشرق (*)(١)

هلّل الشرق بالدعاء ... كوكب الشرق فى السماء!
عاد فى حلة الضيا ... ء ، وفى هالة البهاء
لم يَغب هاجرًا ولـ ... ـكنْ كما غرّبت ذُكاء
لا تخافوا على مطا ... لعه سطوة المساء
واهبُ النور لا يدا ... ريه عن نوره عشاء
كوكب الشرق فى أما ... ن من الليل لامراء

* * *

يا عروس السماع لبا ... ك من يسمع الدعاء
وشفى أنفسًا لعينيـ ... ـك تسترخص الفداء
انظرى فى وجوههم ... تعرفى نضرة الوفاء
كلهم ود لو يُغنى ... من البشر والصفاء
لو بقدر السرور نشـ ... ـدو غلبناك بالغناء !

(*) كوكب الشرق : يعد الأعاصير .

(١) تحية لمطربة الشرق الآنسة «أم كلثوم» لمناسبة شفائها وعودتها من الأقطار الأوروبية .

أم كلثوم يا بشيـ ـرًا من اللّه بالرجاء
أنت من وحيه ، ولله فى الفن أنبياء
ذلك الصوت - صوتك العذب - من عرشه نداء
فيه سرٌّ من جنة الـ ـخلد لكنه ضياء
فيه ما يرفع الحجـ ـب وما يكشف الغطاء
فيه أنس لمن يشاء وسلوى لمن يشاء
فيه للمرتجى سلا م وللمشتكى عزاء
فيه حرز من الهمو م وعونٌ على القضاء
أى نفس إذا تثور غت لا نهزم الشقاء ؟
إنه قوةٌ إذا عز من قوة نجاء
إنه من غنى إذا حُسب الصوت من غناء
إنه ثروة لمصـ ـر وما أجزل الثراء
مهرجان لعيدها حيثما رفرف اللواء
وعلى الجرح إن شكت بلسم ناجع الشفاء

* * *

أيها الكوكب الذى أسعد الأرض باللقاء
ر دَدى الطرف فى الفضا ء ، وما أرحب الفضاء
واسألیه سؤال من يلحن الطير فى الهواء
هلى سرى فيه مثل صو تك فى الحسن والنّقاء
فى قديم من الزمان أعـ ـنى وفى حاضر سواء
لا أحاشى من الرجا ل قبيلا ولا النساء
لا تجيبى . أنا المجيـ ـب ، ولم أغلُ فى الثناء
أنت كالشمس لا تُعدّ د فى هذه السماء

موسيقى خالد(*)(١)

أبناء مصر تذكروا ، وتذكروا .. ما مصر خالدةٌ لمن لا يذكر
وإذا جرى ذكر الفنون فميزوا بالحمد فنا بالجمال يُبشّر
ذهب الزمانُ زمانُ من لم ينعتوا بالمجد إلا من يصول ويقهر
إن الذى يُعطى النفوس عزاءها لأحقُّ بالذكر الجميل وأجدر
ليس الغناء صدًى ، ولا أنغامه خفقات أصوات ، تمر وتعبر
إن المغنّى - إن علا استقلالكم - بين البناة مؤسسٌ ومعمّر

* * *

لله «سيد» الذى غنّى لكُم زمنًا ، فقال العارفون «مصوّر»
وصف ابن مصرَ فليس يدرى سامعٌ أصغى إليه : أسامعٌ أم مبصر
إن تسمع الحوذىّ منه رأيته عجلا ، فتُيْمن فى الطريق وتيسر
أو تسمع النوتى منه حسبته فى النِّيل يُقبل بالشراع ويُدبر
أو تسمع الريفىّ منه لحته فى الحقل يحصد فى الأوان ويبذر
أو تسمع الجندىّ منه نظرته وعلى أسرّته الشعار الأخضر
وإذا «المسارح» راجعت أيامها لاذت بفرد منه لا يتكرر

* * *

قالوا تفرنج بالغناء وإنما هو مؤثر فى الفن لا متأثر
عرف الأغانى واللحون كما جرت فى عُرف من نطقوا بهنّ فعبروا
أم إذا غنّت فليس غناؤها لغو المجانة ، بل معان تؤثر

* * *

قل «سيدًا» فإذا ذهبْت مترجمًا علموا هنالك أنه «المايسترو(٢)»
هى من مصادفه الحروف وربما سبقَ الحروفَ بها دليلٌ مضمر
سمةٌ على كل اللغات سميُّها للسبق فى الفن الجميل ميسّر

* * *

يا نخبةً قدروا الجميل لأهله دوموا على عهد الوفاء وقدّروا

. . . . . .

(*) موسيقى خالد : بعد الأعاصير .

(١) نظمت هذه القصيدة لمناسبة الذكرى الثانية عشرة لوفاة الموسيقى المجدد الشيخ سيد درويش .

(٢) المايسترو : الإيطالية «ترجمة سيد أو أستاذه» .

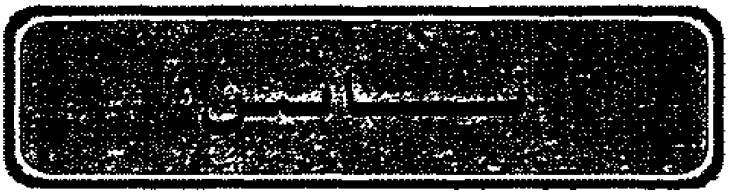

ذكـرى الشهيد(*)

(رثاء محمد فريد)

. . . . . .

دنيـــا نزاولهـــا ونحن كـــأننا ... من غـيـر طينتـهـا نصـاغ ونخلق
مـحـجـوبة المرمى ، فـمـا لشـرورها ... تعـتـاد حـاسـره الوجـوه وتبـشق
تمشى على الأبدىّ من أشـواكـهـا ... ونتـاجـهـا الأبدى عنا مـغلق
وكـأنما الدنيـا سـرابٌ سـرمـد ... لا يُرتوى منـه ، ولكـن يُغـرق
سلواك فـيـهـا حين يخـفق عـامل ... ترجـوه ، أن صـداه قـد لا يخـفق

* * *

أفـريدُ لا يلمم بسـيـرتك الردى ... أبدًا ولا يبـرح سـلاحك يُمـشق
مـا كـان ذاك العـمـر إلاّ وقـعـة ... الدهرُ حـومـة حـربهـا لا الخندق
والناصـرون الحقّ جـيش واحـد ... متـجـمعٌ فى مـدّه مـتـفـرق
الأنبـيـاء الصـالحـون جنوده ... والحق بيـرقـه ونعم البـيـرق
لا يبـتـسنك أن قـضـيت فـإنه ... جـيش بموت غـزاته لا يُمـحق
مـا زال مطّردا فـقـبلك فـيلق ... شـراعـوا لهـاذمـه[1] وبعـدك فـيلق
خـيـر الجـوانب أن تكون بجـانب ... أضـداده أسـرى وإن لم يوثقـوا

. . . . . .

* * *

(*) ذكرى الشهيد «رثاء محمد فريد» الجزء الثالث . ٢٢٨ (٣٤ فقرة ١٥٣) .

(١) اللهاذم : السيوف القاطعة .

ذكرى الأربعين(*)(١)

الأربعـــون

أمضيت بعد الرئيس الأربعون؟ ... عجبًا كيف إذن تمضى السنون
فترة «التيه» تغشّت أمة ... غاب موساها على «طور سينين»
كل يوم ينقضى نقده ... وهو ملء الصدر من كل حزين
تكبر البلوى به حين مضت ... والبلايا حينما تمضى تهون
كيف ينسى الناس من لم ينسهم ... يوم تُنسى النفس والذخر الثمين
لم يزالوا كلما قيل لهم ... ذهب الموت به ، يلتفتون

. . . . . .

خرج المدفع يطوى مدفعًا ... الأساطيل اتّقته والحصون
ساكنًا بين يديهم بعد ما ... زلزل الشرق على المغتصبين
حوله من عسكر أو عزّل ... جيش أجناد له متبعون

. . . . . .

ليس يبكى خطب سعد يائسٌ ... أين من سعد ضعافٌ يائسون ؟
إنما يخلق أن يبكيه ... من أصابوا منه عزمًا لا يلين
لم يصب منه نصيبًا من هوى ... خائنَ العزم ، فما كان يخون
أيْ نذيرَ الحق من وادى الردى ... قم فأنذرهم عساهم يعلمون

. . . . . .

ألق للتاريخ ما يكتبه ... أنت لا يلقى عليك الكاتبون
صفحة سطرتها أنت فما ... فى ثناياها سطور يمّحين

(*) ذكرى الأربعين : الجزء الرابع .

(١) نظمت هذه القصيدة للاحتفال بتأبين الزعيم العظيم سعد زغلول .

قل له ، والدهر يحنى رأسه ... والطوايا شاهدات والعيون
أنا مصر ، وهى فى سؤددها ... أنا مصر ، وهى فى الأسر سجين
أنا نجّيت لمصرٍ نفسها ... ضيّعتها بين كفران ودين
أنا ألقيت على عاتقها ... حملها المطروح بين الآخرين
فاسألوا عن صِيدها أو غيدها ... وعن القبط بها والمسلمين
وعن الموسر والعافى بها ... وعن الأباء فيها والبنين
واسألوا عن عالم أو جاهل ... وأصيل من بنيها أو هجين
تجدوا مصرًا ولا تستمعوا ... غير مصر فى دعاء وحنين
جُمّعت فىّ نفوس فوقت ... فى النبيين الهداة المصلحين

. . . . . .

يوم منفاك وهل كان سوى ... يوم بعث لبنيها أجمعين
ضُربت مصر فكانت ضربة ... ذادت النوم وطاحت بالسكون
أيها الغادرون بالقيد لها ... قيدوا الآن ! ألستم قادرين ؟
الرحى دارت على أقطابها ... واستوى الطاحن فيها والطحين
بأسكم ما عهدت أحرارها ... من قديم ، وهى ما لا تعهدون

. . . . . .

إن بكت مصر عليه شجوها ... إننى بالشجو وحدى لقمين
رزئته النفس واللب وما ... يشتهى الراوى ويبغى الدارسون
لم يكن بالأب إلا أنه ... كان نعم الأب فى رفق ولين
كم سعى ساع إليه ووشى ... ومقامى عنده العالى المصون
يا هدى الأمة يا نعم الهدى ... يا خدين الصحب يا نعم الخدين
أنا جبارك[1] لا تعهدنى ... ذلك الجبار فى الدمع السخين
لست أنسى فى «وصيف» سامرًا ... لك كالطير أظلتها الوكون
إذا تُلاقينا على مهد الرضى ... والأحاديث مع الليل شجون
نحقر الداء وترعى أمرنا ... إن غفونا أو غدونا مصبحين

. . . . . .

(١) كان رحمه الله يلقب صاحب الديوان بالجبار .

يوم ودعتك ودعت أمراً ... يملؤ الدنيا ويقضى ويدين
وأحييك لألقاك غداً ... حجراً يعلوه نوار الغصون !
عجباً لا ينقضى من عجب ... وفتونا ليس يبلى من فتون
أهو سعد ذلك الثاوى هنا ... أهو سعد ذلك القبر السدين ؟
عجبت بادرتى ثم وعت ... فيه رمز الموت أعلى الرامزين
هو صخر ورياحين معاً ... بين عزم وخلال يستبين
فاعرفوا فى قبره تمثاله ... وأخفضوا الصوت ، وحيوا خاشعين

* * *

فاز سعد(*)

عرف النفى حياة وماتا ... وأصاب النصر روحا ورفاتا
كلما أقصوه عن دارله ... رده الشعب إليها واستماتا
كيف يجزيه افتياتا وهو من ... كان لا يرضى على الشعب افتياتا
أصبحت دارك مثواك فلا ... تخش بعد اليوم يا سعد شتاتا
حبذا الخلد ثماراً للذى ... غرس المجد وماه نباتا

. . . . . .

* * *

جيرة الأحياء أولى بالذى ... بعث الدنيا حياة أن تبيد
معشر الأحياء أنتم لكم ... مدد من ذلك الميت مديد
مستعيدين رجاءً كلما ... جزعوه ، وهو منكم مستعيد
إنه فى كل جيل ذاكر ... من بنيه ، أبد الدهر وليد
تلك يا سعد مغانيك فما ... فى سواها يسكن اللحد شهيد

* * *

(*) فاز سعد : عابر سبيل . نشرت يوم نقل رفاته من ضريحه بالإمام إلى ضريحه المقام بجواره داره .

اعبر القاهرة اليوم كما ... كنت تلقاها جموعًا ونظامًا
ساعة فى أرضها عابرة ... بين آباد طوال تترامى
ساعة من عالم الفردوس لا ... تشبه الساعات بدءاً وختاما
كل من شاهدها زيد بها ... من معانيك جلالا ودواما
قل لهم أبلغ ما قلت لهم ... أيها الواعظ صمتا وكلاما

* * *

جردوا الأسياف من أغمادها ... ذاك يوم النصر لا يوم الحداد
ارفعوا الرايات فى آفاقها ... أين يوم الموت من يوم المعاد ؟
لا يُلاَقى الخلد بالحزن ولا ... يكتسى الفتح بجلباب السواد
ذاك يوم ما تمناه العدى ... بل تمناه ولاء ووداد
فانفضوا الحزن بعيدًا واهتفوا : ... فاز سعد وهو فى القبر رماد

تمثال سعد(*)

الروح فى وادى الكنانة حائم ... وجلال شخصك فى النواظر قائم
ما غاب منك مثال عارض ... يمضى ، ويخلفه المثال الدائم

. . . . . .

تمثال سعد فى الجزيرة ساهرًا ... هيهات يغلف منك لحظ صارم
النيل حولك لا يغيب هنيهةً ... عن ناظريك ، وأنت عنه صائم
شأنٌ لربك فى الحياة حكيته ... فالظل للغصن الوريف موائم
كم صام سعد عن مناهل حوضه ... ويعبٌ مغتصب وينهل غاشم
كم بات يرعاه ، وليس بمرتع ... من خيره ما يرتعيه الحاكم
كم غاب عنه ولم يغب عن همه ... والبحر دون طريقه متلاطم

* * *

(*) تمثال سعد : أعاصير مغرب .

بك زادت الأهرام ركنا والتقت ... منها على بعد الزمان دعائم
تلك الصروح على اختلاف بنائها ... فى الجيزة الفيحاء هن توائم
نهضت على استقلال مصر دلائلا ... يعيى بنقض بنائهم الهادم

. . . . . .

* * *

يا سعد هلا من لسانك قولة ... يروى بها هذا الزحام الهائم ؟
يمناك تومئ فأين من ... إيمائها الصوت القوى الناغم ؟
عجبى لشىء فيه منك ملامح ... أن ليس يُسمع منه قولٌ حاسم !
عجبى لشىء فيه منك ملامح ... أن ليس يخفق فيه قلب عالم !
أخذ الحديد الصلب منه عزيمة ... والصخر بأسا يتقيه الصادم
وتشابهت ثم الأساريرُ التى ... قد شابهتك بمثلهن ضياغم
وتحجبت تلك الأفانين التى ... ضاق الصّناع بها وعىّ الراسم
أن لم تصورها اليدان فربما ... خفيت فصورها الضمير الراقم
إن لا تحدّثنا فكلّ محدّث ... من فيض روحك ناثر أو ناظم
أو لا يكن لفظٌ فدون الوحى من ... معناك - كلّ اللافظين أعاجم

تحية زعيم راحل (*) (١)

أكبرت فى غيب الزعيم محمد ... من كان يكبر حاضرًا فى المشهد
حجب الردى عنا بشاشته ولم ... يحجب بشاشة ذكره المتجدد
هيهات ينتقص مجادة ... للسيد بن السيد بن السيد

. . . . . .

* * *

عزّ الكنانة فيه فهى فجيعة ... تبلو الكنانة فى الضمير وفى اليد
ما فى مروءات الشعوب مروءة ... إلا رعته بنظرة المتفقد
البر ، والمشهود من آلائه ... بين المحافل دون ما لم يشهد

(*) تحية زعيم راحل : أعاصير مغرب .

(١) ألقيت بقاعة الاحتفالات بجامعة فؤاد الأول يوم الأربعين لوفاة المغفور له محمد محمود باشا .

ومعاهد التعليم بين مشجع ... للعاملين بها ، وبين مزوّد
وإغاثة الأدب اللهيف ، وإن تشأ ... سردًا ، فعدد مابدا لك ، واسرد
ونزاهة اليد واللسان هداية ... للمهتدين ، وقدوة للمقتدى
وصراحة الأخلاق ما اشتملت على ... مستغلق فيها ، ولا متأوّد
والعزة الشماء إلا أنها ... كالشاهق المخضر لا كالجلمد
وسياسة الوادى ، ولم يك رابحا ... منها سوى الشجن المقيم المقعد
وعزيمة لا تكره الشورى وإن ... كانت لتكره حيرة المتردد
شيم وآلاء إذا ما استفردت ... كالقطب ، عزت فى ازدواج الفرقد

* * *

عزّ الكنانة والعزاء ليعرب ... ما بين مُشْتهم قومه والمنجد
كم ذاد عنهم والخطوب بمرصد ... والشمل بين مشرّد ومبدد

. . . . . .

* * *

سمحٌ على ما فيه من عصبية ... سهل ، وإن أعيى قومى المتشدد
لا يستطاع على الخصام عناده ... وعليه تعويل الأخ المتودد
من اكسفورد ، ولو نماه معشر ... للأزهر المعمور لم تستعبد
فيه محافظة ، وفيه طرافة ... وأراه فى الحالين غير مقلد
ورث الحمية كابرًا عن كابر ... والأريحية منجدًا عن منجد
غيث الفلاة ونيل مصر كلاهما ... سقياه من أصليه أعذب مورد
فإذا بكت مصر فغير ملومة ... وإذا الحجاز بكى ، فغير مفند

* * *

آه من التراب (*)(١)

أين فى المحفل «مىّ» يا صحاب ؟ عـــوّدتنا ها هنا فـــصل الخطاب
عـرشُـهـا المنبـر مـرفـوعُ الجناب مستجيبٌ حين يدعى مستجاب

أين فى المحفل «مىّ» يا صحاب ؟

* * *

سـائلوا النخـبـة من رهط الندىّ أين مى ؟ هل علمـتم أين مى؟
الحـديث الحلو واللحن الشـجى والجـبين الحـرّ والوجـه السنى

أين ولى كوكباه؟ أين غاب ؟

* * *

أسف الفن على تلك الفنون حصدتها ، وهى خضراءُ ، السنون
كلّ مـا ضـمـتـه منهن المنون غـصصٌ مـا هان منهـا لا يهـون

وجراحات ، وبأس ، وعذاب

* * *

شـيمٌ غـرّ رضـيّـات عـذاب وحـجى ينفـذ بالرأى الصـواب
وذكـاءٌ ألمعىّ كـالشـهـاب وجـمـال قـدسىٌّ لا يعـاب

كل هذا فى التراب . آه من هذا التراب

* * *

(*) آه من التراب : أعاصير مغرب .
(١) رثاء كاتبة العربية الفضلى الآنسة مى زيادة . ألقى بدار الاتحاد النسائى بالقاهرة .

كل هذا خـــالدٌ فى صـــفـــحـــات عطرات فى رباها مـــثـــمـــرات
إن ذوت فى الروض أوراق النبـــات رفـــرفت أوراقـــهـــا مـــزدهرات

وقطفنا من جناها المستطاب

* * *

من جناها كلّ حـــسن تشـــتـــهـــيـــه مـــتـــعـــة الألبـــاب والأرواح فـــيـــه
ســـائغ مُـــيّـــز من كل شـــبـــيـــه لم يزل يحـــســـبـــه من يجـــتـــنيـــه

مفرد المنبت معزول السحاب

* * *

الأقـــاليم التى تنمـــيـــه شـــتى كل نبت يانع ينجب نبـــتـــا
من لغـــات طوّفت فى الأرض حـــتى لم تدع فى الشرق أو فى الغرب سمتا

وحواها كلها اللب العجاب

* * *

يا لـذاك الـلـب مـن ثروة خـــصـــب نيّـــر يقـــبـــس مـن حـس وقلـب
بين مـرعى من ذوى الألبـــاب رحب وغنى فـــيـــه وجـــود مـــســـتـــحَب

كلما جاد ازدهى حسنا وطاب

* * *

طلعـــه الناضـــر من شـــعـــر ونثـــر كـــرحـــيق النحل فى مطلع فـــجـــر
قـــابل النورَ على شـــاطئ نهـــر فله فى العين ســـحـــر أى ســـحـــر

وصدى فى كل نفس وجواب

* * *

حيّ «ميّا» إن من شيع ميا منصفًا حيّا اللسان العربيا
وجزى حواء حقا سرمديا وجزى ميّا جزاء أريحيا

للذى أسدت إلى أم الكتاب

* * *

للذى أسدت إلى الفصحى احتسابًا والذى صاغته طبعاً واكتسابا
والذى خالته فى الدنيا سرابا والذى لاقت مصابا فمصابا

من خطوب قاسيات وصعاب

* * *

أتراها بعد فقد الأبوين سلمت فى الدهر من شجو وبين
وأسى يظلمها ظلم الحسين ينطوى فى الصمت عن سمع وعين

ويذيب القلب كالشمع المذاب

* * *

أتراها بعد صمت وإباء سلمت من حسد أو من غباء
ووداد كلّ ما فيه رياء وعداء كل ما فيه افتراء

وسكون كل ما فيه اضطراب

* * *

رحمة الله على «ميّ» خصالا رحمة الله على «ميّ» فعالا
رحمة الله على «ميّ» جمالا رحمة الله على «ميّ» سجالا

كلما سُجل فى الطرس كتاب

* * *

تلكمُ الطلعـــة مـــا زلت أراها غـــضـــةً تنشـــر ألوان حـــلاها
بين آراء أضـــــاءت فى سناها وفـــروع تتـــهـــادى فى دجـــاها

ثم شاب الفرع والأصل ، وغاب

* * *

غـــاب والزهرة تؤتى الثـــمـــرات ثمـــرات من تجـــاريب الحـــيـــاة
خـيـر مـا يؤتى حـصـاد السنوات بعـشـرتهن الرياح العـاصـفـات

ورمـــتهن تـــرابًا فى خـــراب

* * *

ردّ مـــا عندك يا هذا التـــراب كل لب عـــبـــقـــرى أو شـــبـــاب
فى طواياك اغـتـصـاب وانتـهـاب خُلِقـا للشـمس أو شم القـبـاب

خـــلقا لا لانـــزواء واحـــتجاب

* * *

ويك ! مـــا أنت برادّ مـــا لديك أضـــيع الآمـــال مـــا ضـــاع عليك
مـجـد «مىّ» غـيـر مـوكـول إليك مـجـد «مىّ» خـالص من قـبـضـتـيك

ولـــها من فـضلها ألـــف ثـواب

عبـد القـادر(*)

جلّ المصـاب بفـقـد عـبـد القـادر[1] ويح البـيـان على المبين الســاحـر
البـــاحث المنطيق فى تاريخـــه ، الملبس الماضى لبـــاس الحـــاضـــر
الناقـد الأنبـاء نقـد صـيـارف ، الـوازن الآراء وزن جـــــــواهـر

(*) عبد القادر : أعاصير مغرب .
(١) هو فقيد الكتابة والصحافة عبد القادر حمزه صاحب «البلاغ» .

المستعين على السياسة بالحجى والعلم ، والقلم القوى القاهر
والحجة العليا التى ما طأطأت يوما لمنتقم ولا لمناظر

. . . . . .

عرف الحقائق فاستراح جنانه من سرعة الشاكى وبطء الشاكر
ووعى عواقبها فلم يع صدره بغضا لمعتقد ولا لمكابر

* * *

علمى به علم المطالع زاده علمٌ على بعد ، وعلم معاشر
كم مرّ من يوم ضحوك بيننا أو مر من يوم عبوس كاشر
خضنا الحياة معًا على علاتها متلاحقين مع الشباب الباكر
وجرى يراعانا معًا فى حلبة عزت على غير الطمرّ الضامر
ذكراه والأيام عابرة بنا نعم العتاد لذاكر ولعابر

شهيد الوطن(*)

أحمد ماهر(١)

لم أصدق وقد رأيت بعينى وسمعت الطّق المريب بأذنى
«ماهرٌ» فى الندىّ يُجنى عليه ويدٌ - قيل من بنى مصر - تجنى؟
أشبه الصدق بالأباطيل هذا . . . ويك أمسك ! جاوزت غاية ظنى

* * *

لم أصدّق ، وما لحى دوامٌ والمنايا تطوف فى كل ركن
غير أنّ الكيد الذى كاده ألجا نى - له الويل - لا يُطيف بذهن

(*) شهيد الوطن أحمد ماهر : بعد الأعاصير .

(١) قيلت هذه القصيدة فى رثاء . الزعيم الوطنى الشهيد الدكتور أحمد ماهر وقد اعتدى على حياته شاب مفتون بدار النيابة سنة (١٩٤٥) وكان الناظم فى تلك اللحظة بمجلس الشيوخ فى انتظار بيان من الزعيم الفقيد .

أى رأس رمى ؟ وأى فؤاد ... نال منه ؟ وأى صدر وحضن ؟
أفيُرمَى بالموت أوسع صدر ... لبنى قومه ، وأمنع حصن ؟
أفيُرمَى بالموت قلبٌ يحوط النا ... س حبًا ولا يحيط بضغن ؟
أفيُرمى بالموت رأسٌ تولّى ... مجد مصر برأيه المطمئن
يُعمل الرأى للبلاد ويَلقى ... معول الموت هادمًا ، وهو يبنى ؟
يا ضلال الجدود فى هذه الد ... نيا ، ويا سوأةً لذاك التجنى
أمنتْ تلكمُ المقاتل لو يأ ... من فى الناس كلُّ صاحب أمن
لو تردّ النيّاتُ غرب سلاح ... ردّ عنه السلاح ألفُ مجَنّ

* * *

لو أصدّق ، وقد رأيت بعينى ... أمّةَ النيل فى حداد وحزن
حزنت غير أنها ليس تَدرى ... أللقيا تجمّعت أم لدفن
أعمقُ الصمت صمتها وهى حيرى ... بين صدق الأسى ووهم التمنى
ترقب النعش قادمًا يتأنى ... وتمنّت لو طال ذاك التأنى
أوجعُ الشك شك ساعةِ هول ... فى يقين يُدمى العيون ويُضنى
المسجّى يأيها الجمعَ هذا ... أفتدرى من ذا يكون ؟ أجبنى !
إنه «أحمدُ» الذى كان فينا ... منذ يوم رضوانَ كلَّ مهنى
من يصدّق هذا يصدقْ عظيما ... من بلاء الدنيا يشيب ويفنى

* * *

لم أصدق والأربعون أمامى ... كلُّ ساعاتهن ساعة بين
كم تمثلته وأحسب أنى ... إنْ أحقق رأيته نصب عينى
مقبلاً ضاحك الأسارير سمحًا ... ثابت الجأش لا يُلم بوهن
فُجعتْ مصر فيه بالقائد الأسبـ ... ـق ، والأوحد الذى لا يثنّى
بالزعيم الأمين فى كل رأى ... والوزير القدير فى كل فن
والحسيب المُوفى لكل حساب ... والخطيب الذى يقول ويَعنى
الذى فارق المناصب جهرًا ... بصريح من رأيه لا يكنّى
والذى أنفق الشباب جهادًا ... فى خطار على الحياة وسجن

والذى أجـــزل العطاء لمصـــر ... هبـــةَ منه لا تشـــاب بضن
والذى لا يسىء يومًـــا ، ويعـــفـــو ... عن مـــسىء إليـــه فى غـــيـــر منّ
والذى كـــان فى «الندىّ» إمـــامـــا ... وسط العـــدل حين يُقـــضى ويُدنى
عـــز فـــينا دســـتـــور مـــصـــر بشـــرح ... من هداه لا يســـتـــعـــاض بمتن
لن يقـــول الصـــديق فـــيـــه مـــقـــالا ... يتـــأباه خـــصـــمـــه حين يثنى

الأستاذ الأكبر (*)(١)

من مـــثل نابغـــة النوابغ مـــصطفى ... فى ســـابق من مـــجـــده أو لاحق
رجّـــــاه والده الكريم لـغـــــاية ... حـــسنى ، فـــوفّـــاها وفـــاء الواثق
ربّاه حـــبـــرا للديانة فـــاســـتـــوى ... فى نخبـــة الأحـــبـــار أسبق سـابق
وغماه فى حـــجـــر العـــبـــادة مـــسلمـــا ... فـــهـــدى الحـــجـــيج ، وحجّ كلّ منافق
وأعـــده للعلم فـــاســـتـــوفى به ... حظ العليم الفـــيلســـوف الحـــاذق
وغـــذاه بالتـــبـــيـــان فـــانقـــادت له ... غـــرر اليـــراع بكل مـــعنى شـــائق
وهداه للإحـــســـان فـــهـــو وليّـــه ، ... لعـــاهد الإحـــســـان غـــير مـــفـــارق(٢)
ورجـــاه للعلـيـــاء فـــاســـتـــبق الخطى ... ســـبقَ الكرام إلى المقـــام الســـامق
لا وانيًـــا عنهـــا ، ولا مـــتـــعـــجـــلا ... فـــيـــهـــا تعـــجّل مـــشـــفق من عـــائق
وكـــــأنهُ وعـــــد الأمين وفى به ... فطوى صـــحـــيـــفـــتـــه كلمح البـــارق
لو لم يكن قـــدرًا قـــضـــاه لما قـــضى ... كـــالنجم يرجع غـــاديا من شـــارق
إن المطـــالع لا يقـــــر قـــــرارها ... بعـــد التـــمـــام ، ولا تدوم لطارق

* * *

يا آخـــذًا من كل شىء صـــفـــوه ... بوركتَ من ذى مـــعـــجـــزات خـــارق
حـــتى الخـــمـــول بلغت غـــاية حظه ... عـــجـــبًـــا ، وأنت من العـــلا فى حـــالق
لـم ألق قـــبلك من نبـــيـــه آمن ... من شـــرّهِ البـــاغى وغـــيظ الحـــانق

(*) الأستاذ الأكبر : بعد الأعاصير .

(١) رثاء العلامة الأستاذ مصطفى عبد الرازق شيخ الجامع الأزهر سنة ١٩٤٧ .

(٢) كان رحمه الله وزيرًا للأوقاف ورئيسا لبعض جماعات الإحسان .

تلك المدامع ما امتزجن بدمعة ... من كاذب فى حزنه أو ماذق
ولتلك من رضوان ربك آيةٌ ... تخذت من الإجماع أصدقَ ناطق
فادخل حظيرته بخير خلائق ... مرضيَّة منه ، وخير علائق
ما الموت ياكشاف كل حقيقة ... إلا حقائق حُجِّبت بحقائق

السيدة هدى(*)(١)

ربةُ البر والندى ... لم يَضِع سعيها سدى
لغد كان سعيها ... وسيبقى لها غدا
كلُّ ما قدمت من الخير ... سير باق على المدى
ينطوى الدهر ما انطوى ... منه صوتٌ ولا صدى
هى ملءُ الضمير منـ ... ـكم مغيبًا ومشهدا

* * *

كنت فى الشرق يا هدى ... مثلا كان أوحدا
أين فى المجد والعلا؟ ... أين فى الجد والجدى؟
غايةٌ طاولت سما ... ءك مرقىً ومصعدا
إن علا محتد علو ... ت إلى الأوج محتدا
أو علا سؤدد العوا ... رف بوركتِ سؤددا
أو حدا الركب بالعزا ... ئم جاوزتِ من حدا
شرفٌ كلُّ عنصر ... يه على المجد أسعدا
تم موروثه العر ... يق بما قد تجددا
ذاك أو ذا كلاهما ... حسبٌ من شاء مفردا

* * *

إن من تذكرونها ... ذكرها غالبُ الردى
قدوة الفضل للعقـ ... ـائل فى كل منتدى
ولها السبق كلما ... حسُن السبقُ موردا
سفرت والحجاب كالليـ ... ـلِ غيْمانَ أسودا

(*) السيدة هدى : بعد الأعاصير .
(١) رثاء السيدة الجليلة صاحبة العصمة هدى شعراوى ، وكانت قدوة لسيدات الأسر فى النهضة النسوية والمآثر الاجتماعية سنة (١٩٤٨) .

والتقت باسم مصر والنـ ـيل جيشًا مجنّدا(١)
وأعانت على الزما ن مريضًا ومُجهَدا
وضعيفًا من اليتا مى وطفلاً مشرّدا
وحمى عطفُها فرا ئسَ من ضل واعتدى
ورعت ناشئًا عن الـ ـعلم والأهل مُبعدا
وأجازتْ على البيا ن فأسدت له يدا
إن بكوا كلهم لنعـ ـيك لا غرو يا هدى
كلهم يفتديك لو يُدفع الموت بالفدى
لا صديقٌ ولا عدا ليس فى الحق ما عدا
أم الشرق كلُّها حمدت منك محمدا
توج التاجُ ذكريا تك والشعب ردّدا
آية الله يا هدى ولك الخلد سرمدا

محب السلام(*)(٢)

. . . . . .

عزاء الزمالة فى رزئه لقد كان نعم الزميل الهمام
حفىٌّ اللقاء ، وفىّ الإخا ء ، عفيف اليراع عفيف الكلام
صبورًا على هفوات الطبا ع ، يغضى عن السيِّئات الجسام
حليما إذا طاش لب الحلـ ـيم ، رضيا إذا لجّ داعى الخصام
ترى حوله الناس شتى العقو ل ، شتى المذاهب ، شتى المرام
فتحسبه عاملا وحده وتحسبه قائلا فى الزحام
كأنّ له خاطِريّ مهجة لهذا مقام وهذا مقام
طرائفه فى ثنايا الحديـ ـث ، تنسى النديم كؤوس المدام

(١) كانت السيدة الجليلة تقود أول مظاهرة نسوية خرجت فى مواجهة الجند المسلحين تحتج على الحماية البريطانية .

(*) محب السلام : بعد الأعاصير .

(٢) رثاء الكاتب الكبير أنطون الجميل عضو المجمع اللغوى ورئيس تحرير الأهرام ، وكان قد سهر على عادته فى مكتبه بالصحيفة ، ثم شعر بضيق مفاجئ توفى على أثره فى الهزيع الأخير من الليل .

وأمثاله من عيون البيا ن ، جواهر منثورة فى نظام
وآراؤه حنن تطغى الخطو ب معالمُ هاديةٌ فى الظلام
وأقدر خلق على أن يُذ يعَ قد كان أقدرهم فى اكتتام
فما صين سرٌ كما صانه وإن عزّ فى السر راعى الذّمام
وأكثر ما استودعته النفو سُ أودعه اليوم جوف الرّغام

* * *

مناقب أنطون لا تنقضى ولا يختم القول فيها ختام
أحبُّ السلامَ ونادى به عليه مدى الدهر أزكى سلام

* * *

الشهيد الأمين (*) (١)

محمود فهمى النقراشى

أسفى أن يكون جهدَ رثائى كلم عابر ، ورجع بكاء
مارثاء الحزين غير تعلاّ ت ، وما النوح غير نفث هواء
ليتنى أخرس الفناءُ لسانى قبل يوم أشقى له من فنائى
ما وفاءٌ بذل الدموع من الحز ن ، على منّ وفى ببذل الدماء

* * *

إن حزنى على هذه الأنفـ ـس ، ضلّت فينا سبيل السواء
نُكست بينها الموازين نُكسًا واستحالت معالم الأشياء
كم رأينا غدرًا ولا من عداة وشهدنا حربا ولا من عداء
ظلماتٌ تقودها خبط عشواً ءَ ، وويلٌ لخابط العشواء

* * *

(*) الشهيد الأمين محمود فهمى النقراشى : بعد الأعاصير .

(١) قتل شهيد الوطنية والرأى والخلق الأمين – محمود فهمى النقراشى – بديوان وزارة الداخلية فى اليوم الثامن والعشرين من شهر ديسمبر سنة ١٩٤٨ .

أتصم الآذان عن صـــادق النصـ ـح ، وتصغى طوعا لكل افتراء ؟
أمـةٌ فى الشقاء من معتد فيـ ـها عليها ، ومن صويع اعتداء
أعجزُ العاجزين يقوى علىّ إذ اثهـــا غـــايةٌ من الإيذاء
والقديرون يشتكون من العجـ ـز ، إذا مهّدوا لها بالدواء
كيف كيف النجاءُ من هذه المحنـ ـة ، بل أين أين حق النجاء

* * *

إن حزنى حزن على هذه الأمـ ـة : رفقًا بها إله السماء
قُلبت آيةُ الحقائق فيها وقضى سفلُها على العظماء
غيلة الموت للغيور عليها ، وقضاء الحياة للجهلاء
وقضاء الجهول أوخم عقبى من قضاء البهيمة العجماء
فتنة تعمه البصائر فيها وتضل العقول فى تيهاء
إن أبينا البقاء حقا لمحمـ ـودٍ ، فمن ذا يُرجى لطول البقاءِ

* * *

نبئونى . فإننى أنا واللـ ـه ، عرانى عىٌّ عن الإنباء
أى سهم ترمى به يدُ مصر ي يرى فيه موقعًا لرماء
أى تلك الخصال مرمى اغتيال لبنى مصر ، بل بنى حواء
أيُغال الحنان فيه ، حنانًا كاد يُحصى به مع الضعفاء ؟
أم يُغال الحفاظ فيه ، حفاظا يتحدى جحافل الأقوياء ؟
أم يُغال العفاف أصدقُ ما كا ن عفافا فى مستسرّ الخفاء
أم يُغال الإنصاف يحمى عُداه - حين يقضى - من صفوة الأصفياء
أم يُغال الذكاء يخترق الحجـ ـب ، بنورٍ يهدى كنوز ذُكاء
أم يُغال الزهد الذى حار فيه كل مستغرٍ من سطوة وثراء
أم تُغال الخلائق الزُّهر كادت تترقى إلى ذُرىً الأنبياء
أم يُغال الصبر الطويل على الجهـ ـد ، بلا منّةٍ ولا إعياء
أم يُغال الجهاد فى حب مصر . . . ويح مصر من تلكم النكراء
إن محمودًا الذى فقدته واحدٌ لا يقاس بالنظراء

* * *

يـا أبـا هـانئ ! وأعـــــزز بأنـى ... لا أرى هـانئـــــاً ربيـب هنـاء
أنعـزيه فى مـصـابك لهـفـا ... ن ، ونحن الأحـرى بطول العـزاء
ومـصـابُ الشعـوب فى الحق أقسى ... من مـــصـــاب الأبناء فى الآباء
خطب مـصـر . يسـامح الله مـصـرًا ... عـقّـهـا فى جـدودها القـدمـاء
عقّها فى اسمها ، وما تعرف الأقوا ... مُ دخـرًا أغلى من الأســمـــاء
يرحم الله مـــصـــر من فـتنة تطـ ... ـغى يجـهّـالهـا على الحكمـاء
يرحم الله مـصـر . إنك يا مـحـمـو ... د فى رحـمـــة مع الشـهـداء
لا يضيم الإلـه قـــومـــا بذنب ... أنت فـيـه لهم من الشـفـعـاء

فقيد اللغة والأدب(*)

على الجـارم(١)

. . . . . .

لست أو فـيـه وصـفـه : إن وصـفًـا ... لـعلىّ يُغنى غناء السـمـىّ
علم فى الديار ، صنّاجـة فى الحـفـ ... ـل ، ركن فى المجـمع اللغـوىّ
وسـراجٌ فى مـفـرق الرأى هاد ... وجـمـال وبهـجـةٌ فى الندىّ
وزمـيـل سـمح الزمـالة برٌّ ... وأخ بالإخـاء جـدّ حـفـىّ
ذلك الشـاعـر الذى ثكلتـه ... مـصـر ، فى يوم مـأتم وطنى
لم تزل تسـمع المراثى حـتى ... سـمـعتْ فى الرثاء صـوت نعىّ
تتنـزى على زعـيـم أمين ... وأديب جـزل البـيـان سـرىّ

* * *

لست أو فـيـه حـقـه . إنه حـ ... ـق بيـان عن البـيـان غنى
وارث الأصـمـعى فى لغـة «الضـا ... د» وفى الشـعر وارث البـحـترى
والأديب الذى لـه فطنة المصـ ... ـرى زانت سليـقـةَ البـدوى
والمربّى الذى تعـهّـد جـيـلا ... عـهـدَ علم منه وعـهـد رقىّ
وأخـو النشـأتين شـرقـا وغـربا ... من قـديم باقٍ ، ومن عـصـرى

(*) فقيد اللغة والأدب على الجارم : بعد الأعاصير .

(١) كان فقيد اللغة والأدب - على الجارم - عضو المجمع اللغوى يستمع إلى قصيدته فى رثاء الشهيد النقراشى ، يلقيها نجلة النجيب فى الجمعية الجغرافية ، فأصابته نوبة توفى على أثرها بدار الجمعية سنة ١٩٤٨ .

كم شـــهـــدناه فى شـــواهد نص ... ورأيناه فى مـــــعـــــارض رأى
وسطًا غـــيـــر ممعن فى وقـــوف ... عند مـــاض ، أو ممعن فى مـــضىٍّ
قـائلا ناقـلا ، سـمـيعًـا مجيبًـا ... حـسنُ تبيـانه كـحـسن الصـغىّ

ذكرى إبراهيم(*)

أَقِـــيْـــمُـــوا الوزْن أوْ مِـــيلوا ... فـــمـــا (أبراهيمُ) مَـجْـهُـــولُ
فـــتـىٌّ مـــيـــزَانُه بالْقِـــسْـ ... ـــطِ عـنْـدَ الله مَـكْـفـــــولُ
لـــهُ فـــى كـــلِّ تَـــارِيـــخٍ ... مَـنَ المَجْـــــد أَكـــــالِيـلُ

* * *

سَـلوا الأوْطـانَ يـنْـبـــــئكمْ ... بِمَـا يـعْـلـمُـــــــه النِّـيـل
يَحـــيِّى ناصِـــرَ الْمصـــرِ ... ىٌّ ، والمِصْـــرىُّ مَـــخْـــذُولُ
وَأَوَّلُ رَافِـع صَـــــــوْتًـا ... وسـيـفُ الحـــرْبِ مـــسْلولُ
وَلِلمـــحْـــتلِّ فى مِـــصْـــرٍ ... عـلـى كـلِّ فَـمٍ غُـــــولُ
لـه فـى برِّهَـا جَـــــيْـشٌ ... كـجـيـش النَّـملِ مـوْصـولُ
وَفِى الـبـحـــر أَسَـــاطِيلُ ... وفـى الجـــــوِّ أَبَـابِـيـلُ
إِذَا لـمْ يَـنْـعَـــهُ الأحـيـــا ... ءُ ، والـدُّنْـيـــــا أَبَـاطِـيـلُ
نَـعَـــــاه فـى (الـعَـــزِيـز ... يَّةِ) مَـــدْفـــونٌ ومَـجـــدولُ
وجـــيـلٌ فى حِـــمَى الثَّـــا ... ربخ ، لا يُـشْـبِـهُـــهُ جـيـلُ

* * *

سَلُوا الآدابَ يـنْـبـــــئكم ... به الصـــدَّاحَـــةُ الـقـــولُ
يُرَدِّدُ ذِكـــرَهُ فى الشِّـــعْـــرِ ... تَـســـبـــيحٌ وترْتـيـلُ

(*) ذكرى إبراهيم دسوقى أباظة .

ويهْـتِفُ باسْـمِـهِ فى القـوْ ... لِ مطبُـوعٌ ومنْـقـولُ
وَيَحْـمَـدُ فَـضْلَهُ فى العُـرْ ... بِ مَنْسُـوبٌ ومَـذْخُـولُ
فَـلا الماضى بمنسِيٍّ ... ولا الحـاضِـرُ مَـعْـزولُ
وراعِى الشِّـعْـرِ لا يَنْسَـا ... هُ مـرعـيًّـا مِنْهُ مطْولُ

* * *

سَلُوا الإحْـسَـانَ والإحْـسـا ... نُ طبْع فـيـه مَـجـبُـولُ
وأقـربُ شـأوِهِ فى الجُـو ... دِ مـشـروبٌ ومـأكـولُ
وأيسَـرُ جُـودِهِ بَـادٍ ... لمرْأى العَين مَـسْـئـولُ
وكم أعْطى ولم يُسْـألْ ... وبعض السُّـؤْلِ مَـمْطُولُ
وبعْض النَّاس قـد يَمْـحُـو ... نَـدَاهُ القـالُ والقِـيلُ

* * *

سَلُوا الأحْـسَـابَ لا عِـزٌّ ... يُـدانيـهـا ولا طـول
ولِلأسَـبـادِ والأشْـبَـا ... ل منْ أعـلامِـهـا غِـيلُ
ذَوُوهُ منْ بنى مِـصْـر ... هم الغُـرُّ البَـهـالـيلُ
ومِنْ أحـسـابه كـسْـبٌ ... بمسْـعَـاهُ وتحـصِـيلُ
بِرَأْيٍ زَانَهُ فى القـصْـد ... إجْـمَـالٌ وتفـصِـيل
وصَـبْـر راضَ دنْيـاهُ ... وراضَـتْـهُ العَـرَاقِـيلُ
سَلُوا سـيـرتَه الحـفلى ... وللسِّـيـرَةِ تسْـجِـيلُ
سَلُوا (الشَّـلالَ) والجَـرَى ... من القُطْرَيْنِ مَـفـصُـولُ
لَتَمَّ القـربُ لـوْلا قـا ... عِـدٌ بالشَّـرقِ مَـشْلولُ

* * *

خـصـال كُلُّهـا نُبْلٌ ... وأفضَـال وتَفـضِـيلُ

وذِكْـــرى كُلُّهـــا حَـــمْـــدٌ ... وتشْـــريفٌ وتبْـــجِـــيلُ
فـــقـــدْنـاهُ ونَـادِى الـرَّأْ ... يِ فـى الـقـطْـرَيْـن مَـــأهُـولُ
فـــلا يَبْـــعُـــدْ المثـــوَى ... ومَـــثـــوَى الخـــيـــرْ مَـــأهولُ
لـــهُ مِـــنْ بِـــرِّهِ أنْـــسٌ ... وشـــمْـلٌ ثَـمَّ مـــشْـــمُـــولُ
ومِنْ سِـــيـــرته الفـــيْـــحَـــا ... ءِ ، تَـــرْويـــحٌ وتـــظْـــلـــيـــلُ
لـهُ فـى مـنـزِلِ الـرِّضْـــــوَا ... نِ تـسْـلـيـمٌ وتـنـزِيـلُ
وأَجْـــــــرٌ مِـنْ ثَـوابِ الله ... عِـنْـــدَ الله مـــقْـــبُـــولُ

شيوخ الشيوخ(*)

لا أحسب العام فى أسوان يسعدنى ... يومًا بلقياه ، فى قومى ، وفى سكنى
هناك فى الركن من مشتاه معتصما ... على سجيته من غمرة المحن
تباعدتْ شقة الدارين وامتنعت ... على المطايا وأعيت حيلة السفن
«حسب الصديقين بُعد الأرض بينهما» ... على مدى راحة من ظهرها الخشن
واطول شوقى إلى يوم يقربنى ... من راحة البال أو من راحة البدن

* * *

تلك المعاهد لا تنسى معمّرَها ... قربًا من العهد ، أو قربًا من الدِّمَن
يحج سعيًا إليها فى أماكنها ... أو ساعيًا ممعنًا فى ساحة الزمن
منازلُ الوحى ما زالت مَشابتَه ... فى الطيبتين ، وفيما طاب من ظعَن
لم ينقطع قط ماضيه وحاضره ... ولاونى عن فراغٍ بالنفوس ينى

* * *

(*) شيخ الشيوخ : رثاء الدكتور محمد حسين هيكل .

يا هيكَل الحق كم أحييت من أثر ... وكم نشرت ، وكم أبقيت من سنن
ذكراك يا باعث الذكرى مخلِّدة ... تبقى مع الذكريات الغرّ فى قرن
حقٌ على ذمم التاريخ تحفظه ... لحافظ ذمَ التاريخ مؤتمن
أحييت سيرة من يُحيون منصفهم ... من كل عالٍ بتشييد العلا قمن
هم الكرام وقد أحسنت مدحتهم ... مكرّموك بحمد منهم حسن
عش فى صحابتهم من معشرٍ شرعوا ... للناس شرع وفاء السر والعلن

* * *

يا هيكل الفن كم أبدعت من صور ... وكم رفعت ، وكم نكّست من وثن
وكم لمصر بما أرسلتها قصصا ... من متحف عامر بالأهلين غنى
من القُرى فيه ألوان مشخصة ... كما عهدنا ، وألوان من المدن
من يلقها يلق تاريخًا لحاضرنا ... وحبذا حاضر التاريخ للوطن
يكاد يعجب رائيها على كثب : ... إنى أراها ، فسلها كيف لم ترنى
تلك التماثيل من خلق الحياة كما ... يوحى بها وحيٌ باريها إلى الفطن

* * *

يا هيكل البيعة العليا بعقوتها ... ويالها بيعةً مهضومة الثمن
قامت على بحرها اللجىّ تحسبها ... جسرًا على شاطئيه غير متزن
تهب من فوقها هوج الرياح ولا ... تقر فى جوفها الأمواج كالقُنن
وأنت والسادنوها الصيد فى نفر ... حاروا بها بين مغلوب ومضطغن
تهز كرسِىّ فاروق وأنت ترى ... كرسيك الثبت لم يثبت على الفتن
تركتموه معرى فى مباذله ... كأنه جيفة فى قبرها العفن
يختال فى طيلسان الظلم مزدهيا ... وإنما اختال قبل الموت فى كفن
وما تعثر فى عقبى مساوئه ... إلا ليومٍ له فى الغيب مرتهن

* * *

ياهيكل الصحب كم ضمت شمائله ... شمل الأقارب فى الآراء والمهن
ساويت ما بين راضيهم وساخطهم ... غداةَ فارقتهم فى لوعة الحزن
حاربت فى الرأى أقواماً على ثقة ... وحاربوك ، وما بتم على دخن
ما كنت مختبرًا للسخط تضمره ... إلا كخبرة فنان به طبن
وإنما الود طبع فيك ليس به ... سمت من الفن ، أو كبت على وهن
لك المآثر يبكيها ويحمدها ... من يحمد الفضل موفورًا بلا غبن
قوم بما ضيهمُ فى الشرق قد حفلوا ... والشرق ماضيه لم يهبط ولم يهن
عش فى صحابتهم من معشر ورثوا ... عرفًا لهم ، من رعاه قط لم يخن
من لم يكن بينهم بالعرف مؤتمرًا ... كأنه فى حساب القوم لم يكن
أنت الغنى عن الذكرى وما غنيت ... جامعةٌ قط عن ذكرى ذوى المنن
لأنت من جنة العرفان فى سعة ... وأنت من جنة الرضوان فى عدن

ذكرى حافظ(*)

ارفعوا ذكره عليا مبينًا ... إنما الذكر رفعة الذاكرينا
حافظٌ فى ثراه لم يفتقدنا ... وافتقدناه نحن حينا فحينا
من مضى فى غنى عن الحى والحـ ... ـى الذاهبين لا يغنينا
وإذا الحمد فات نابغ قومٍ ... فهو موت الباقين لا الذاهبينا

* * *

يا حميد المقال مدحا وقدحا ... ونقّى الصحاف بيضا وجونا
خذ من الحمد بعض حقك منا ... لم تكن قط بالحقوق ضنينا
طالما رددت جوانب مصر ... صيحةً منك تملأ العالمينا
هاتفًا بالرجاء يوما ، ويوما ... هاتفًا بالعزاء تأسو العيونا
تعجب القوم أريحيا طروبا ... وتواسيهم و شجيا حزينا
ما توانيت عن مقام وفاء ... أو تواريت بالوفاء خؤونا
وإذا ما اعتراك بالوهن خطب ... لم تكن فيه خانعًا أو مهينا

(*) ذكرى حافظ : فى الاحتفال بذكرى حافظ إبراهيم سنة ١٩٥٧ .

وإذا قـــام للضـــمـــائر ســـوق ... لم تكن من تِجَـارها النافـقـينا
ربّ قـــوم تنقّـــصـــوك مـــراءً ... ربحـــوا وانثنيت أنت غـــبـــينا
خـــيـــر أبطالنا الذين تخـــيّـــر ... ت من الأولين والتـــابعـــينا
الإمـام «ابن عـبـده» من بنى جـيـ ... ـلك وابن الخطاب فى الأقـدمـينا
لا تدانيـــهـــمـــا بدعـــواك لكن ... باعـتـراف القـصـور دنيـا ودينا
أنت أتقى ممن يجـاهر بالتـقـو ... ى ويأبى فى الســر إلا مـجـونا
رب جـمع تفـيـهق الغِـر فـيـه ... وتحـدى بالظن منك اليـقـينا
كلمـــا قـــال قـــولةً فى رســـول ... صـحت : يارب اخـز هذا اللعـينا
«احـســبـونى مع العـجـائز دينا ... ليس هذا الجـدال إلا فـتـونا»
رحم الله منك قلبـا سليـمـا ... وضـمـيـرًا بَرًا وروحـا أمـينا

* * *

ثم قـريرًا صنّاجـة العـرب الصـيـ ... ـد وعُد فيـهـمو لسانا مبـينا
كلمـا جـددوا لذكـراك عـهـدا ... عاد عـهـد الفصحى جديدًا مصونا
حـافظًا أنت كنت للضـاد لما ... عـقّـهـا أهلهـا وظنوا الظنونا
أين فى المنكرين من ليس يروى ... لك قـولا جـزلا ونسـجـا متـينا
ودليـــلا على غناها إذا مـــا ... سامـهـا الفـقـر معـشـر مفلسونا
بين شـــعـــر له رنين ونثـــر ... يشبـه الشـعـر فى السـمـاع رنينا
لم تكن حصتى من الحفل نظمـا ... لا ولا قلتـــه بوعـــد مـــدينا
غـــيـــر أن المزار شط بحـــادٍ ... ود لو كـان حـاضـرَ الصوت فـينا[1]
وعـجـيـب إذ يشـهـد الفن ذكـ ... ـراكَ من الشـعـر وحـده أن يبـينا
وجـمـيل إن صح عـذر لدينا ... أن ترانا لديك مـعـتـذرينا
فـخـذ اليـوم حـقك حـمـدًا ... أنت بالحـمـد مـا برحت قـمـينا
وقليل وفـــاءُ قـــومك يومـــا ... لامـــرئ دان بالوفـــاء سنينا

* * *

(١) إشارة إلى غياب الشاعر الذى ندب لإلقاء تحية الشعر فى الحفل ثم برح القطر قبل موعده فناب عنه صاحب الديوان على غير موعد .

أهرام الورق، وأهرام الحجر (*)(١)

خبر السّباق للخير ... عضّ من أخبارنا الأخَر
شَغَل السمّار عن سمر ... وطوى الآفاق فى البُكر
فاجئ كالعهد وا أسفا ... لم يكن يومًا بمنتظر
صادقٌ كالعهد وا أسفا .. ... ليته من كاذب السير
قيل فى الأهرام مرثية ... قلت : حقٌ من فم القدر
قيل «جبرائيل» طاف به ... يومه فى صحوة العمر
صفحة بيضاء تعلنها ... صفحة سوداء للنظر
ما على الأهرام لو نسيت ... عبرةً من صادق العبر

* * *

إن بكاء الشرق لا عجبٌ ... بعض ما أولاه من غُرر
سار بالشرق الوئيد على ... خطو «أوربا» ولم يَجُر
نحن ، إلا فى صحافتنا ... دونهم فى الخبر والخبر
فإذا عُدّتْ صحافتنا ... لم نكس رأس معتذر

* * *

رفع الأهرام فارتفعت ... فى مدار الأنجم الزُّهُر
لو غلبنا غلبوا ... نازعتهم كلّ منتَشر
ولسارت فى مغاربهم ... كمسير الشمس والقمر

* * *

رافعُ الأهرام من ورق ... نافسَ الأهرام من حجر
وحكاها فى الثبات وإن ... سار بين البدو والحضر
كل يوم فى الصباح له ... ظَفر ناهيك من ظفر
فى ركاب الشمس يشبهها ... فى جلاء الشك والحيَر

(*) أهرام الورق ، وأهرام الحجر : بعد الأعاصير .

(١) قيلت فى رثاء المغفور له صاحب الأهرام جبرائيل تقلا «نوفمبر سنة ١٩٤٣» وكان قد توفى على أثر عارض سريع لم يمهله غير لحظات .

يجمع الدنيا ويبسطها ... بين مدّ السمع والبصر
أم شستى تحدثنا ... بلسان العرب من مُضر
كل قطر فهو نائبه ... زائرًا أم حيث لم يزر
هو داعيه وكاتبه ... وملبّيه على الأثر
سابق تلقاه منطلقًا ... فى عنان الطول والقصر[1]
تحسب القرطاس مختصرًا ... فى يديه غير مختصر
فإذا امتدت صحائفه ... لم تدع شيئا ولم تذر

* * *

يا شريك العالمين له ... غير مبخوسين من صغر
قُسَماء الرأى ، ما اقتسموا ... -باختيار منك - فى ضرر[2]
أنت فى الأعباء أكبرهم ... ولهم ما شئت من كبر
من راكم راح يسأل عن ... أمرٍ منكم ومؤتمر
تُجزل الحسنى لمحسنهم ... وتسجّى طرف مغتفر
حزنُهم ، والخطب يغلبهم ... بين مرتاع ومصطبر
حجةٌ بيضاء أبلغ من ... مُبلغٍ فى القول مقتدر

* * *

وحى جبرائيل متصلٌ ... بين حلٍ منه أو سفر
ليس ينأى فى السماء ولا ... فى مدى الأحلام والفكر
خلفاءٌ منك مَن حملوا ... عنك عبء السعى والسهر
خلفاءٌ منك كل فتى ... قارئٍ من هذه الزُّمر
وتَوسّم فى «بشارة» ما ... شئت من دخر لمدّخر
إن هذى الغاب منجبةٌ ... غَنيت بالأسْد والشجر
سوف تحيا باقى الأثر ... خالد الأعقاب والذكَر

* * *

(١) إشارة إلى ضيق نطاق الصفحات فى أيام الحرب العالمية .
(٢) كان الفقيد يشرك أعوانه الصحفيين فى الرأى والخطة ويستمع منهم النصيحة ولا يعود عليهم بتبعة .

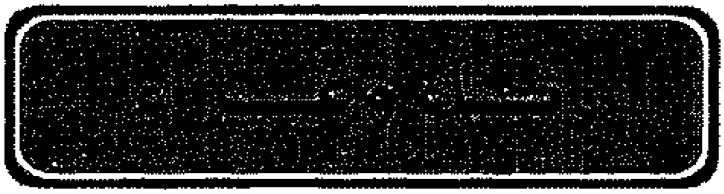

رثاء طفلة(*)

زهرةً كان وجهها ... نور قلبي وناظري
حملتها يد الردى ... حملَ من لم يحاذر
فتوارت ولم يزل ... عَرفها[1] ملء خاطري

* * *

ياضياءً تضمنته ... ه بطون الدياجر
قد أَجنُّوك في الثرى ... يا جنين الضمائر
فالزمي الرمس حين لا ... حلْمَ في عين باصر
فإذا أقبل الدجى ... وغفا كل ساهر
فاطرقينا مع الكرى ... حلمًا غير نافر
وصلي عيشك الذي ... كان أحلام سادر[2]
وامرحي في صدورنا ... واضحكي في السرائر
ثم عودي إذا الصبا ... ح تجلى فباكري
إنّ صعبًا على الصغا ... ر احتباس المقابر

عزاء الأستاذ وجدي في والده(*)

أمولاي رزؤك لا يجهل ... وصبرك في الرزء لا يخذل
ومن كان يعلم كنه الحيا ... ة فالصبر من مثله أجمل
إذا كان كل امرئ راحلاً ... فأفضلنا الراحل الأول
وأدنى مصاب الفتى للعزا ... ء مصابٌ بكل امرئ ينزل

(*) رثاء طفلة : الجزء الأول .
(١) رائحتها .
(٢) غافل .
(*) عزاء الأستاذ وجدي في والده : الجزء الأول .

عـزاء المازنى(*)

يا صـديقى ، ومـا علمـتك إلا ... راضـيًـا بالأسى رضـاء الجليـد
إن تكنْ قـد رزئت بنتـا فـمـا ... قـد تعـوّضت من بنات الخلود
لا تبت آسفًـا عليـهـا وهبـهـا ... وردة والربيع عـمـر الورود
ربما عـوفـيت وأنت عليم ... من حـيـاة تودى بكل وليـد

رثـاء أخ(*)

. . . . . .

يا راحـلاً صـدع الحـمـام شـبـابه ... فـعلمت كـيف تصـدّع الأكـبـاد
إنى لأحـسـبنى أراك مـجـاهدًا ... والـنيل حـولك دائم الإزبـاد
وأراك ترمـقنى وقـد غلب الردى ... وأقـام جند الموت بالمرصـاد
فى سـاعـة مـا كـان أغـفل خـاطرى ... عـمـا عـراك وفتّ فى الأعـضـاد
أمـسيت رسّمًـا فى التراب معطلا ... وغـدوت نصب روائح وغـواد
ويحى ! أترقـد تحت أطبـاق الثـرى ... وأقـيم بعـدك هانئًـا برقـاد
أتبـيت رهن صـفـائح وجنادل ... وأبِيتُ بين وسـائد ومـهـاد
لـو أنصـفت أيامنا لبكيـتنى ... لكنهـا تجـرى بغـيـر مـرادى

. . . . . .

يا زهرة شـرقت بما تحـيـا به ... فـذوت وأورق شـوكـهـا بفـؤادى
إن الحـيـاة - ومـا حـييتَ لكى ترى ... سـر الحـيـاة - كـثـيـرة الأضـداد
فلئن عـدوت من الحـيـاة نعـيـمـهـا ... فلقـد عـداك شـقـاؤها المتـمـادى

(*) عزاء المازنى : الجزء الأول .
(*) رثاء أخ «توفى غريقا» : الجزء الأول .

على قبر أخ(*)

أيهـا القـبـر فـيك غـصن رطيب ... قـصـفـتـه المنون قـبل أوانه
مـثل مـا تعـبث الـسـمـوم بزهر ... عـاطر ناضـر على أغـصـانه
بنت يا مـصطفى ومـا بنت على قلـ ... ـب كـسـيـر يذوب فى أشـجـانه
كـان أحـرى بك الديار من القـبـ ... ـر وثوب العـروس من أكـفـانه
سـوف ألقاك فى الثرى عن قـريب ... كلُّ حيٍ مـوكل بزمـانه

إلى الصديق الراحل(*)

نظمت فى رثاء الكاتب الكبير «محمد السباعى» يوم وفاته

غـاية الحى سـاعـة من زمـانه ... ينتـهى عندها مـدى جـثـمـانه
طُويت صـفـحـة الـسـبـاعىّ فـينا ... وهو طاوى الطروس فى تبـيـانه
مُـسـمح النفس فى الحـيـاة تولّى ... مُـسـمحَ النفس فى الردى قـبل آنه
لم يطامنْ لصـرعـة الموت رأسـا ... مَنْ صـراع الحـيـاة لهـو رهانه[1]
ذاقـهـا صـابرًا وسـاغ مُـريرا ... من جَنى دهره ومن إنسـانه
وتأسّى ، ومـثـله من تأسى ، ... ضـاحكا من كـرامـه وهجـانه
فـتـنتـه غـواية الأب الحـ ... ـر فـأودى بقلبـه فى افـتـتـانه
وثنى راحـتـيـه عن خـفض عـيش ... كـان حـينًا أقـصى مُنى أقـرانه[2]
مـا أراه على الحـيـاة حـزينًا ... بعض حزن الصحاب يوم احتجانه[3]
يا سـليـم الـفـؤاد فى باطن الرأ ... ى سـليـم الـفـؤاد فى إعـلانه

(*) رثاء أخ مات غريقا وقد ضاعت أكثر أبيات القصيدة .

(*) إلى الصديق الراحل : وحى الأربعين .

(١) كان الفقيد يلهو بالرياضة البدنية كثيرا وكانت سيرته حافلة باحتمال الشدائد فى سبيل حرية نفسه ومطالب عيشه .

(٢) كانت وظيفة الحكومة أقصى ما يطمح إليه الشبان ولا سيما فى الماضى ولكن السباعى رحمه الله كان من أوائل الشبان الذين اجترأوا على ترك الوظيفة لخدمة الأدب .

(٣) احتجن : جذبه بالمحجن أو ضمه واحتواه .

مرض الدهر فامض عنه معافىً ... من أكاذيبه ، ن أدرانه
أنت خدن الكتاب ، والموت سفرٌ ... صدقُه ظاهرٌ على عنوانه

* * *

على قبر حافظ يوم وفاته(*)

أبكاءٌ وحافظٌ فى مكان ؟ ... تلك إحدى طوارق الحدثان
كنتَ أنسًا ، فكيف أمسيت يا حا ... فظ تَدمى لذكرك العينان
كنت تتلو الرثاء ، معنى فمعنى ... كيف أمسيتَ بعض تلك المعانى !
كنت أعلى الجموع صوتًا فهلاّ ... نطق الآن صوتُ ذاك البيان
وعزيزٌ على بلادك أن تذ ... هب يوم انبريتَ للميدان
يوم اطلقتْ من أسارك حرًّا ... وأبيتَ الإسار للأوطان
يوم أرسلتها على ظالمى الأو ... طان طعانةً كحد السنان
ألهم الله مصر فيك عزاءً ... لا بل العُرْبَ فى شفيع «اللسان»
كلما صائر كما صرت يوما ... والذى قد صنعت ليس بفان

نصيب الحى والميت(*)

يا صديقى لنا البكاءْ ... ولك الموت والسلامْ
عندنا النور والعناء ! ... عندك النوم والظلام!
ليس يأسى أخو فناءْ ... بل أخٌ بعده أقام

* * *

أتبعُ الصحب فى القبور ... ببكائى وما اهتديتْ
أنا لو دام لى الشعورْ ... بعد موتى لما بكيتْ
عالمٌ كله غرور ... عشتُ ما عشتُ أو قضيتْ

(*) على قبر حافظ يوم وفاته : وحى الأربعين .
(*) نصيب الحى والميت : هدية الكروان .

هالكٌ كلُّ مـــا يكون ... تستوى النفس والصفاة
فلمن تحصد المنون ... ولمن تزرع الحياة ؟
بدأت حكمة الجنون ... وانتهت حكمة الهداة

* * *

الأستاذ غانم(*)

(كان الأستاذ غانم محمد صديق صاحب الديوان يزوره يوم عيد الفطر ثم طاف ببعض إخوانه ورجع إلى بيته فما استقر لحظة بين أبنائه وأله حتى أصابته نوبة قلبية قضيت عليه رحمه الله وهو فى عنفوان أيامه ، فلم تمض بين تهنئته ونعيه غير ساعات .)

أكان وداعا يوم صافحت غانما ... وهنأته بالعيد ، والعيد يسخر !
فياويح للداعين فى غفلة المنى ... يرجّون طول العمر ، والعمر مدبر
وياويح للأبناء يا خير والد ... وقد رُوّعوا فى ومكرهم حين بُشّروا
أذاك صباح العيد أم أنا سامع ... صياح يتامى فى الحمى تتفطر ؟
تلاحق فى تلك الشغور كلاهما ... فياهول ما نصغى إليه وننظر
وددت وقد ضن البشير بصدقه ... لو آن نذيرًا بالمساكين يعبر
أغانم إنى فى مصابك ذاهل ... قليل التعزى سافر الحزن مضمر
بذلت دموعى فى بكاك رخيصة ... ومثلك من يبكى ويرثى ويذكر
أفى كل يوم تبصر العين غانما ... ومن أين ؟ والأخلاق فى الناس تندر
عرفت «أبا فتح» تولاه ربه ... أخًا فى وغى الأيام لا يتقهقر
وفيًا إذا شاع الوفاء وإنه ... عليه ، إذا عز الوفاء ، لأقدر
كريما إذا صال العداة وزمجروا ... كريما إذا خان الصحاب وقصّروا
صبورا على ضر الغريم وإنه ... على الضر من ظلم الصديق لأصبر

(*) رثاء الأستاذ غانم محمد : عابر سبيل .

ضليعا بأعباء الأمور إذا ونى ... مدبر أمر أو أساء مقدر
أخوك «أمين»[1] فرّق العام منكما ... صفيين لم يفرقهما ما يكدر
على موعد العام القصير التقيتما ... فليستك من يسهو ومن يتأخر
سلام الخصال الصالحات عليكما ... وحمد المعالى والثناء المعطر
ولا زال فى دار المعارف منكما ... صنيع على الأيام يروى ويشكر

رفيق الصبا(*)(٢)

رفيق الصبا المعسول أبكيك والصبا ... وما كان أغلى ما بكيت وأطيبا
وآذن فيك الصبر أن لا يعينني ... وآذن فيك الحزن أن يتغلبا
أألقاك عند النيل إن عدت فى قنا ... وارعاك عند الجسر إن سرت مغربا ؟
ونشتنشد الأشعار فى كل ليلة ... ونطلب فى كل الأحاديث مطلبا
ونحسب أن الله لم يخلق امرءاً ... على الأرض إلا كى يقولَ ويخطبا
ونحصى على الدهر البرىءِ ذنوبه ... وما كان إلا مازحًا حين أذنبا
أألقاك ؟ بل هيهات قد حالت المنى ... فأقربُ منها أن أصافحَ كوكبا
إذا عدت استحيى الشبابين فى قنا ... وجدتك رسمًا فى التراب مغيّبا
وساءلت عنك الصحبَ أين مزارُه ... وأذريت دمعًا عن قبرك صيِّبا

* * *

عجيبٌ لعمرى موتُ كل محبّب ... إلينا ، وقد كان التعجب أعجبا
حسين ! عرفت الموت فيك غريبة ... وما تعرف الدنيا سوى الموت مذهبا
أمَنْ هو فى ذِكرى فتى العمرينطوى ... كما طوت الأسقام شيخًا معذّبًا ؟
نعم ينطوى الشبان والشيب فى الردى ... ورب فتى فى الردى فات أشيبا
وسيان فى عقبى الطريقين من مشى ... على عصويه من عياءٍ ، ومَن حبا

(١) الأستاذ أمين لطفى وقد توفى أيام العيد قبل صديقه وزميله بعام واحد .
(*) رفيق الصبا : هدية الكروان .
(٢) رثاء الصديق حسين الحكيم من أدباء قنا المعروفين بالورع .

عهدتك فى شرخ الشبا ناضر الصبا ... وفاجأنى الناعى فأجفلت مُكْذِبا
ألا ليته لم يعرف الصدق عمره ... ولم يك إلا كاذب الظن مُغْرِبا

* * *

رفاقَ حسين أبّنوه وأطنبوا ... فما يخطئ الباكى سجاياه مطنبا
لقد كان ميمون النقيبة صالحًا ... وكان أمين السر والجهر طيّبا
وكان عفيف القول لا يقرب الأذى ... ولا يذكر الإخوان إلا تحبُّبا
وكان على كنز القناعة آمنًا ... وإن قصّر المسعى بدنياه . أونبا
إذا استمرأتْ مرعى الخيانة أنفسٌ ... تحرَّج منها مُعرضًا وتحوَّبا
وكان عزيز النفس فى غير جفوة ... ولا صلف منه ، إذا صد أو صبا
وكان سميرًا يملك السمع كلما ... تبسّط فى أسماره وتشعَّبا
أديبًا يصوغ الشعر والنثر فطرة ... ويؤثر فى الآداب من كان معربا
أليفا وفيا لا يفارق صاحبًا ... ولا منزلا إلا انثنى فتقرَّبا
أحبَّ قنا واستعذب العيش فى قنا ... فلم يُغره عيش ، وإن كان أعذبا
لئن ذكر الوافون عهد ولائه ... لما ذكروا إلا الوفىَّ المهذَّبا

* * *

رفاق حسين أسهبوا فيه واذكروا ... رفيقًا له يعتاده الحزن مسهبا
على كثب منه اجتمعتم فليت لى ... مكانًا من الجمع القنانىِّ مكثبا
كأنى وقد فارقته قبل يومه ... سمعت له نعيين يوم تغيبا

* * *

إذا مارثى المحزون إلف شبابه ... رثى قلبهُ شطرًا من القلب مخصبا
وودع من عهديه فى العمر قِبلةً ... أخفَّ على الروّاد زادًا وأرحبا
إذا جازها أودى بمختار عيشه ... ولم يبق إلا ما اتقى وتهيبا

أليف الصبا لا تشك فى الموت وحشة ... فما زال ركب الموت أحفل موكبا
تعاقبت الأجيال تحت لوائه ... وإن بعدوا دارًا وعهدًا ومأربا
وما الزمن المحضور إلا بقيةٌ ... من الزمن الماضى تلاقت لتذهبا
عليك سلام الله حتى يظلنا ... سلامٌ أظل الناس شرقًا ومغربا

نعى حافظ

كلُّ خطب دار فى خلدى ... غير خطب فتّ فى عضدى
نعىُ من قد كنت أحسبه ... بعد يومى ، باقيا لغد
حافظٌ يُنعى إلى ؟ لقد ... غلطت دنياى فى العدد
ساء ذاك النعى من بدّل ... كان من لقياه فى بلدى[1]

* * *

الشهيد معاوية(*)

(. . . احتفل أدباء السودان بتأبين الأديب السودانى النابغ معاوية محمد نور ، وقد لقى نصبًا من سقامه وعوجل رحمه الله فى ريعان صباه دون الثلاثين ، بعد أن بشر العالم العربى بأمل كبير لم تنجزه المقادير .
وقد أرسل صاحب الديوان هذه القصيدة لتلقى فى يوم تأبينه ، عوض الله الأدب فيه خير العوض وعزى الأدباء أحسن العزاء :)

أجل هذه ذكرى الشهيد معاويةْ ... فيالك من ذكرى على النفس قاسية
أجل هذه ذكراه لا يوم عرسه ... ولا يوم تكريم ، ودنياه باقية
فما أقصر الدنيا التى طوّل الضنى ... أصائله فيهًا ، وأشقى لياليه
وما أضيع الآمال آمال من رأوا ... مطالعه فى مشرق النور عاليه
ومن أيقنوا أن الهلال الذى بدا ... على الأفق أحرى أن يعمّ نواحيه

(١) وصل نعى الأستاذ حافظ جلال إلى صاحب الديوان وهو فى بلدته أسوان منتظرا قدومه إليها للاستشفاء .

بكائى عليه من فؤاد مفجّع ... ومن مقلة ما شوهدت قط باكية
بكائى على ذاك الشباب الذى ذوى ... وأغصانه تختال فى الروض نامية
بكائى على ما أثمرت وهى غضة ... وما وعدتنا ، وهى فى الغيب ماضية
فضائل منها نخبة أزهرت لنا ... لمامًا ، وأخرى لم تزل فيه خافية

* * *

تبينت فيه الخلد يوم رأيته ... وما بان لى أن المنية آتية
وما بان لى أن أطالع سيرة ... خواتيمها من بدئها جدّ دانية
وأن اسمه الموعود فى كل مقول ... سيسمعه الناعون من فم ناعية
أجل هذه ذكراه يا نفس فاذكرى ... فجيعتنا فيه ، وما أنت ناسية
أجل هذه ذكراه يا عين فاذرفى ... عليه شآبيب[1] المدامع دامية
إذا قصرت أيام من نرتجيهمُ ... فياطول حزن النفس والنفس راجية
ويا طول حزن النفس وهى منيبة ... إلى اليأس من عجزٍ بها ، وهى آبية
فيايوم ذكراه سنلقاك كلما ... رجعت إلينا والضمائر صاغية
ويا عارفيه لا تضنوا بذكره ... ففى الذكر رجعى من يد الموت ناجية
أعيروه بالتذكار ماضنّ دهره ... به عيشةً فى مقبل العمر راضية
وزيدوا النفيس النزر من ثمراته ... بتكرارها فى القلب أولى وثانية
فإن لم تكن فى العد كثرًا فباركوا ... معانيها حبًّا ، ووفّوا معانيه
عليه سلامٌ لا يزال يعيده ... ويبديه شاد فى الديار وشادية

يوم إبراهيم(*)(٢)

عجبى لأحداث الزما ... ن ، وكم رأيت وكم رويتْ !
أولى الفجائع باتقا ... ئى ، لم يكن مما اتقيتْ
ما دار فى خلدى ولا ... فكرت فيه ، ولا احتميتْ
لما نعوه حسبته ... فى الأرض لم يسبقه ميتْ

(١) جمع شؤبوب : وهو دفعة المطر .
(*) يوم إبراهيم : بعد الأعاصير .
(٢) الشاعر الناثر ، الأديب الناقد ، إبراهيم عبد القادر المازنى ، رحمه الله ، وقد تلقى صاحب الديوان نعيه وهو فى طريقه من الإسكندرية إلى القاهرة (١٩٤٩) .

يا يوم إبراهيم حـــــــ ... سبى من لقائك ما التقيت
لم أنتظرك ولست أذ ... كر فى غد كيف انتهيتْ
لوددت أنك يا أخى ... فى الناس آخر من رأيتْ
هل فى البريّة صاحب ... أُبقى عليه ، وقد مضيت
ما بعد نعى النفس من ... حزن يطاق ، وقد نعيتْ

أخى إبراهيم(*)

أمير بلاغة وأمين نقد ... ورب رسالة ، وبشير عهد
وذو قلم كغصن الروض يُهدى ... جناه أو كحد السهم يُردى
أديب راض أفذاذ المعانى ... على ألفاظها ندا لندّ
له لبٌّ يترجم كلّ لب ... وينقل عنه ما يخفى ويبدى
ملىء القلب من ثقة وحب ... برىء الصدر من حسد وحقد
أراح الحاسدين ، فإن تحدّوا ... له فضلا ، أعان على التحدى
إذا اقتتلوا على الجدوى رماهم ... بقول أبى علاء «غير مُجد»
وتحسبه استراح إلى سبات ... ويسبق غاية اليقظ المُجدّ
فسل عنه شعاب «الضاد» تعلم ... مناهل فيضه فى كل ورد
إذا عنّ المصاب به فويلٌ ... لفرد خصّه بمصاب عِدّ(١)

* * *

وقالوا «المازنى قضى» فضلّت ... مقاصد قولهم ، أو ضل رشدى
كأنّ حديث مازعموا خيالٌ ... بعيدٌ فى الحقيقة أىّ بعد
إذا عينٌ غفت فاعجب لأخرى ... من العينين عالقة بسهد

* * *

صحبنا العمر عامًا بعد عام ... على الحالين من ضنك ورغد
وبين تعهّد منه ومنى ... وبين تبسّط منا وجد
وغيّرت الحوادثُ كلّ عهد ... سوى ما بيننا من عهد ود

(*) أخى إبراهيم : بعد الأعاصير .
(١) أى مصاب كثيرين .

إذا أخـــذت مـــذاهبنا ورَدّتْ ... أمنّا نحن من أخـــــذ وردّ
ونجمد فى العشية ملتقانا ... إذا ذهب النهار بكل حمد
وأرحب ما تلقّانا اجتماعٌ ... على شملين من أدب ونقد
هى الآفاق عالية ذراها ... على ما ضاق من غور ونجد
رأينا كلّ صادعة فزالت .. ... أيصدع ما رأينا شقّ لحد !

* * *

. . . . . .

ثمينا شعرنا صنوين حينا ... فكيف رثاؤه بالشعر وحدى
وجاوزنا السهول معًا فماذا ... ستجدى فى الوعود جهودُ فرد
إذا ثقل الشباب ، ولى زميلٌ ... فيابؤس المشيب المستبد[1]
حياةً إن تطلْ فالويل ويلى ... وإن تقصر فقد أُبلغتُ قصدى
سلامًا أيها الدنيا سلامًا ... لأنت أحبُّ لى لو عاش بعدى

عـــزاء(*)

(توفيت قرينة الأستاذ عبد الرحمن صدقى ، فكتب إلى صاحب الديوان هذه الأبيات :)

أحى ، منذ أعوام تلألأ مسكنى ... وشاع به ضحك الرضا والتّيمّن
لقد كان عرسى يومذاك ، ومولدى ... بكون جديد من هوىً وتحنن
أخى ، تلك أعيادى وأعياد زوجتى ... وما حلّ منها العيد إلا ذكرتنى
وأرسلت لى فى كل عيد مهنئا ... وباركتَ لى فى جنتى وغبطتنى
مضت هذه الأعياد من غير وجعة ... وهذى مرائى زوجتى اليوم فارثنى

فأرسل إليه صاحب الديوان هذه الأبيات معزياً :

أخى ! ما عزائى أن أهوّن فاجعًا ... أراه - وإن لم أبْلهُ - غيرَ هيّن
ولكن عزائى هذه الحرب زلزلت ... قلوب بنى حواءَ فى كل مأمن

---

(١) استبد بالسير : انفرد به .

(*) عزاء : بعد الأعاصير .

ولكن عـــزائى هذه الفـــتنة التى ... أطاشت رؤوس الخلق من عاش أوفنى
ولكن عـــزائى هذه الأرض علّمت ... بنيـها هوان العـيش علمَ التَّـيـقّن
قـضـاءٌ علينا فى الحـيـاة فـراقنا ... لأحـبـابنا حـيث التـقـينا بموطن
فـجـيـعـتنا فـيـمن نحب بديلها ... فجيعتهم فينا ، ومن يبق يُغبَن
فـلاترضَ للأحـبـاب غـبنًا يؤدهم ... وليس الرضـا فى الحـالتين بمكن
ألا هان عـيشٌ لا يزال خـيـاره ... لن يرتجيه شاكـيًا : مُتْ أو احزن

* * *

أخى ! هذه الدنيـا وهذا عـزاؤها ... قصاراه - بعد الجهد - تسليم مُذعن
ومـا أحـب الإيمان إلا حـقـيـقـة ... فـلا صبر فيها لامرئٍ غير مؤمن

نعى كاذب(*)

لقـد كـذب الناعى وأنعمْ بكذبه ... فـلا صدق الناعون يومًا ، ولا هموا
فـزعتُ لخطب الموت والموت واحـد ... فكيف احتمالى فيك موتين يا أمُّ

صادق بعد حين

سـرى نبـأ لا يهـاب الظلامـا ... ولا يتـقـى يقظة أو منامـا
يقينٌ ومـا خلتـهُ باليـقـ ... ـين ، ولا اعتصم القلبُ منه اعتصاما
فـراقك يا أمّ لم أحـتـسب ... له بغـتـةً أو نذيرًا ترامى
ومـا روّضـتنى له الحـادثا ... ت ، وإن رضتُ منها الخطوب الجساما
كـأنى ادّكـرتك لى مـولدا ... فلم ادّكـر لك يومًـا حـمـامـا
حـسبت الأمـومـة أخت الدوا ... م ، وخادعتُ ظنى عليـهـا دوامـا
وأفـحـمنى فـيك خطب النّعـ ... ـىّ ، وفى غيره ما شكوت الفُحاما

* * *

تعـجّب قـوم لشـيخ بكى ... أكـان المشيب لدمـعى فطامـا ؟
وأم لما دون عـشـرٍ تعـ ... ـزّ فـراقـا فكيف لسـبعين عـامـا

(*) نعى كاذب : وحى الأربعين .

لئن عظم الموت يا أمّتا ... لقد هان يوم سكنت الرغاما
وما أرخص النور لما غلا ... على مقلة لا تطيق السّواما
خلا الكون منك فماذا أرى ... من الكون بعدك إلا ظلاما
فيا هولها من قفار تركـ ... ـت ، ويا شد ما قد عرتِ الرّجاما
تلاقَى ذَوىً ببطن الثرى ... فأنعم بحيث أقاموا مقاما
لأجلك كنت أخاف الخطو ... ب ، فما الخوف بعدك إلا سلاما

آخر الخطباء

أسمعت جهدك يا نعيّ وهيب[1] ... إن السميع اليوم غير مجيب
اليوم يصمت من كرام لداته ... في مصر ، آخرُ قاتلٍ موهوب
اليوم غاب بقيةٌ من معشر ... أذنت منابرهم بطول مغيب
تلك المنابر ودّعت فرسانها ... من كلّ ذى لسَن وذى أسلوب
لا نسمع الفصحى على أعوادها ... سحرًا لأسماع لنا وقلوب
كلا ولا يهتز موقع شدوها ... إلا لصوتٍ طارق بنعيب
خطبٌ ولكنْ ما له من خطبة ... «قطعت جهيزة قول كل خطيب»

داء بغير طبيب

جلّ في العارفين خطب «حسين» ... رجل الفضل والنهى والسداد
الطبيب اللبيب ، يرحمه اللـ ... ـه . لقد كان رحمةً للعباد
ما استبد السقام إلا شفاه ... باجتهاد من طبه واقتصاد
كيف يعدو عليه عادى المنايا ... وهو يثنى من غربها كل عاد
لو يُفدّى من المنية حيٌّ ... حق فيه الفدى على ألف فاد
«كيف أصبحتَ في محلك بعدى ... يا جديرا منى بحسن افتقاد»[2]
يا وفيا ، ولا وفاء بعهد ... في اقتراب من أهله وابتعاد
محييَ الود للمغيّب في الدهـ ... ـر وقد مات فيه حى الوداد
عاليَ الرأس لا تصيخ لغاو ... راح يكسو غيا بثوب رشاد

(١) رثاء الخطيب المغفور له الأستاذ وهيب دوس .
(٢) هذا البيت مقتبس من المعرى .

عـازفـا عن مطامع العـيش كـبـرا ... عن صـغـار الآمـال والأحـقـاد
«همـة» مـثلمـا تسـمـيت تعلو ... عن منال الأنداد والحـسـاد
كم رجـاء زهدت فـيـه ومـا كـا ... ن زهيـدا فى شـرعـة الزهاد
مـؤمنا بالإله تعلم أن الطـ ... ـيب علم ينهى عن الإلحـاد
ليت شعرى : من كنت تحنو عليهم ... فى الثرى ، هل حللت منهم بواد ؟
هـل تـلاقـى روح بـروح ووافـى ... آخـر العـمـر أول الميـلاد :
تلك رؤياك كنت تنعم فـيـهـا ... كنعـيم العـيـان للشـهـاد(١)
كم صـحـبنا الزمـان حلوا ومـرا ... وخطوب الزمـان بالمرصـاد
والتـقـينا على الجـوار كـأنى ... آمن عند حـصـنك المرتاد
تسـبق النخـبـة الأجـلاء طبـا ... وأرى منـك أسـبـق العـواد
وافـترقنا يوم افـترقنا على مـو ... عـد لقـيـا ، فكان يوم المعـاد(٢)
تستـعـيـد السؤال عنى ولا تسـ ... ـأم نصـحى يومًـا ولا إرشـادى
وأناديك سـائلا بعـد نأى ... فـيـجـيب النعـاة رجع المنادى
يا طبـيـبى مما يكابد جـسـمى ... وطبـيـبى مما يعـانى فـؤادى(٣)
إن حـزنى داء بغـيـر طبـيب ... ونوى طوحت على غـيـر زاد
أحـسـن الله يا حـسـين اصطبـارا ... فـيك لو يهـتـدى إلى الصـبر هاد
هل يقـر العـيـون طول سـهـاد ... إن أقـر العـيـون طول رقـاد ؟

---

(١) كان الدكتور حسين همت طبيبا للشاعر وكان بينهما تجاور وتزاور . وكثيرا ما تحدث الطبيب إلى الشاعر فى موضوع الأرواح والحياة بعد الموت على أثر مصابه بفقد بعض أهله وأعزائه . وإلى ذلك يشير الشاعر فى بعض أبيات القصيدة .

(٢) علم صاحب الديوان بوفاة صديقه من رسالة بعض الإخوان أثناء رحلته الشتوية إلى أسوان ولم يطلع على نعيه فى الصحف .

(٣) كان الطبيب أول من يعود الشاعر وإن تولى علاجه طبيب غيره من الجراحين أو أطباء العيون ، وهذا معنى البيت : «تسبق النخبة الأجلاء . . .» .

الشاعر الأعمى (*)

شكا الشاعر الباكى عمىً قد أصابه ... وأظلم ما نال العمى جفن شاعر
ينوح بعين لم يدع عندها البلى ... سوى نبع حزن ناضب الماء غائر
وتلحظ عين الشمس شزرًا جبينه ... فيطرق إغضاءً بمقلة حاسر
ويسألهم : هل أو مض البرق فى الدجى ... وهل طلعت فيه وجوه الزواهر؟
وهل يلمع الدرُّ المنضد والحلى ... على الغيد أم بات الحصى كالجواهر
تكاد تشق الأفقَ زفرة صدره ... إذا راح يلحاه بصيحة حائر :
«تجود لعين الذئب يا أفق بالسنى ... ليهدِيَه فى فتكة بالجآزر
وترميه فى بئر عميقٍ قرارها ... وتسفكه فوق البطاح الغوامر
وتسلبنى نورًا أراك بوحيه ... فأظهر ما أخفى سواد الدياجر
وأرجعه معنى على الطرس مشرقًا ... يضيء سناه مظلمات السرائر ؟
لمنْ تجمل الأكوان إن كان لا يرى ... بدائعَها عين ترى كلَّ باهر
فما كانت الدنيا سوى حسن منظر ... وما جاد فيها الحظ إلا لناظرى
وهل كنت أخشى الموت إلا لأنهُ ... سيحجب عنى حسن تلك المناظر ؟
فها أنا لا جهد الحياة بهاجرى ... أمينًا ولا ريب المنون بزائرى
جمعتُ شقاء العيش فى ظلمة الردى ... فيالىَ من ميت شقى الخواطر
أرى الصبح وهاجًا بمقلة نائم ... ويلحظه قلبى بحسرة ساهر
ومن لى إلى هذا الوجود بلمحة ... أراه ولم يعم التراب بصائرى
فيا قلب انفق من ضيائك واحتسب ... لدى الشمس لألاءَ الوجوه النواضر

(*) الشاعر الأعمى : جزء أول .

تنازع الفردوس(*)

يتحاسدون على الهباء فما لهم ... لا يحسدون البَرَّ فيما يؤجر
نقموا على الكفار أن تركوا لهم ... أجر السماء وأنكروا ما أنكروا
لو كان ما وُعدوا من الجنات فى ... هذى الحياة لسرُّهم من يكفر(١)

المصور(*)

. . . . . .

فى طى ريشته وضمن بنانه ... روح بها يحيا الجماد فيخلد
بينا يداس على الثرى حتى يُرى ... ربا تخر له الجباه وتسجد
أولى القرائح بالدوام قريحة ... تحرى على الصخر الأزل فتجمد(٢)
معبودةً فيما تحل كأنها ... ظل الإله على الخلائق يُعبد

إيه يا دهر(*)

إيه يا دهر هات ما شئتَ وانظر ... عزمات الرجال كيف تكون
ما تعفت فى بلائك إلا ... هان بالصبر منه مالا يهون

(*) تنازع الفردوس : جزء أول .

(١) يود الناس أن يكثر المؤمنون منهم ليشاركوهم فى نعيم الفردوس الموعود ولكن ترى لو كان الفردوس دارًا فى هذه الدنيا أكانوا يودون أن يكثر شركاؤهم فيها ؟؟ .

(*) المصور : جزء أول .

(٢) إذا ثبتت القريحة على الصخر الأزل الذى لا يثبت عليه شىء فهى إذن أولى بالثبات والدوام .

(*) إيه يا دهر : جزء ثان .

رحلة إلى الخزان(*)

. . . . . .

قلت وهل يفهم عن لسانى ... «ما بيننا يا ذئب من أضغان
فاذهب إلى وردك فى أمان ... لا يحرم الماء على عطشان»
فمرّ يعدو كاشر الأسنان ... وهو يناديـنا ولا يدانى
حتى وردنا أول البنيان ... على دوىّ هائل مرنان
موّار ماء ثائر الدخان ... كالنقع قد ثار على الفرسان
مصطفقةٌ فىّ حلبة الدهان ... قد غلب الصوتُ على الآذان
فبات أدنى الهمس كالأذان ... مستويين ليس يُسمعان
وشرّد النوم(١) عن الجنّان ... فردّدت صداه فى الرعان(٢)
وتحسب الماء من النيران ... مندلعًا يقذف بالصّوان
طرائقًا فى الأرض ذا ألوان ... كالليث أحيانًا وكالثعبان
مندفقًا منحررًا فى آن ... مرتفعًا منحدرًا سيان
ملتئما منشعب الشغبان ... يبيّض كالمحض من الألبان
مجذذ(٣) الرغو على الصّمان ... قد شنها فى تكلم القيعان
شعواء تغرى القوم بالطعان ... وتحفز الخيل إلى الميدان
وتجعل الراضى كالغضبان ... وتبعث النخوة فى الجبان
قامت عليها أعين الشهبان ... وارؤس الجبال تشهدان
وكم لهذا الماء من معان ... فى قوة البطش وفى الليان
وفى اختلاف الشكل والجشمان ... كأنه يلبس ثوب الجان
فصاعدٌ فى الجو كالعقبان ... وسارب فى مزحف الديدان
وغائصٌ فى الأرض كالشيطان ... ولاعبُ الأمواج كالحملان

(*) رحلة إلى الخزان : جزء أول .

(١) كأن دوى الماء أقلق الجن فقامت ترد صداه .

(٢) أنوف الجبال .

(٣) مقطع أو مفتت .

وطائر البخار فى الأعنان ... كالنفس الخافى عن العيان
وفيه من أمن ومن عدوان ... فهو قوام الزرع والأبدان
وهو الوباء الجارف الطوفان ... وهو هو الدنيا لدى الظمآن
وهو هو الموت لدى الغرقان ... شارفته والليل شطرتان
فما صغا الليل لصوت ثان ... ولا أمال مسمع الأمان
ألا إلى هاتيكم الألحان ... كأنها تجاوب الغيلان
ثُمت أدلجنا إلى أسوان ... وفى طريق الصبح غلوتان
فيالها ، وما عدوت شانى، ... من رحلة طيفية الأوان[1]

أتمنى (*)

أتمنى يومًا لو أن حياتى ... تنقضى كلها ولا أتمنى
أتمنى وقد أطلت التمنى ... لو تعلمت كيف أن أتمنى
أتمنى لو علمتنى الليالى ... باطل الأمر قبل أن أتمنى
منية لو تحققت لتساوى ... ما تملكته وما أتمنى

* * *

(١) نسبة إلى الطيف والطيف يسرى ليلا والإدلاج هو مشى الليل .
(*) أتمنى : أعاصير مغرب .

القمة الباردة(*)

(للجبال قمة باردة تعلوها الثلوج وللمعرفة كذلك قمة باردة تفتر عندها الحياة . فإذا نظر الإنسان إلى حقائق الأشياء لم ير شيئًا ولم يشعر بشيء لأن حقيقتها كلها أنها ذرات ترجع إلى كل حركة متشابهة فى كل ذرة . فخير له ألا ينظر إلى الحقائق كل النظر ولا يعرض عن الظواهر كل الإعراض ، لأن الحى لا يعرف الدنيا إلا بالظواهر التى تقع عليها الحواس وتدركها البديهة ، فإذا تجاوز ذلك فقد ارتفع من المعرفة إلى قمتها الباردة التى لا يشعر فيها بحياة .)

إذا ما ارتقيت رفيع الذرى ... فإياك والقمة الباردة
هنالك لا الشمس دوّارة ... ولا الأرض ناقصةٌ زائدة
ولا الحادثات وأطوارها ... مجددة بالخلق أو بائدة
قوالب يلتذ تقليبها ... أناس وتبصرها جامدة
ويعجب قوم بترقيشها ... وألوانها أبدًا واحدة
وتعلو وتهبط وتهبط جدرانها ... وأساس جدرانها قاعدة
ويابؤس فان يرى ما بدا ... من الكون بالنظرة الخالدة
فذلك رب بلا قدرة ... وحى له جثة هامدة
إلى الغور !! أما ثلوج الذرى ... فلا خير فيها ولا فائدة

على أطلال بعلبك(*)(١)

أيا «بعل» هذا قادم لك مقدم ... وفىّ لمن يزرى به الدهر مكرم
دعوتَ وحوليك الاسنة شرّع ... فلبّاك لا تثنيه نارٌ ولا دم
أتاك من الوادى الذى فى ضفافه ... تسامى «لآمونَ» البناء المدعّم
وأقوى كما أقوت ذراك على المدى ... وأقصر عنه العابدون وأحجموا

(*) القمة الباردة : جزء ثالث . (*) على أطلال بعلبك : جزء رابع .
(١) «بعل بكى» معناها سيد الوادى كما يرجح بعض المؤرخين .

يحييك عن «آمون» في مستقره ... وأنت المحييّ باسمه والمسلم
فما بعل إلا اسم لآمون تلتقى ... له صور شتى ولفظ مقسّم

* * *

ويا دار بعل وهى لا بعل عندها ... ويا حصن بعل وهى لا شيء تعصم
ويا جارة الماضين والدهر جائر ... ويا مشرق الآمال والليل مظلم
عزاءً إذا أدبرت والعيش مقبل ... وروضك مطلول[1] الأزاهير يبسم
ولم يدفع الأربابُ عنك ولا الألى ... أنابوا إليهم بالدعاء ويمموا
وما حيلة الأرباب فيك وإنها ... لتُبنى كما تبنى الصروح وتهدم؟!

* * *

«جبيتير»[2] جبار الصواعق ساهر ... عليك وسلطان العُقار مخيّم
وللزهرة الغراء عندك قبلة ... يطل عليها مسجد متجهم
وفيك مُصلّى للمسيح ومطهر ... وفيك منار للنبى ومعلم
شفاعات أرباب لديك كثيرة ... وركنك مصدوع العماد محطم!
فمن ذا يرجى العفو أو يأمن الحمى ... إذا ما طغى صرف من الدهر مبرم ؟

* * *

عزاء إلى اليوم الذى فيه يستوى ... أخيرٌ على حكم الردى ومقدّم
وصبرًا إذا ما شئت صبرًا على البلى ... وإن لا تشائى فالقضاء محتم
ستحفظك الذكرى مليًّا وتنطوى ... فلا ذاكرٌ يومًا ولا مُترسِم

(١) حول الهيكل المتهدم روض يتجدد كل عام بأعذب الفاكهة هناك وأنضر الأزهار .
(٢) أو «زوس» إله الآلهة ورب الصواعق وباكوس رب الخمر ولكل منها معبد فى الهيكل .

إلى غندى يوم إفطاره(*)

غندى لك النصر المبين على المدى ... ولشانئيك الخسر والخذلان
لم ألق قبلك من يحرر قومه ... وهو السجين الجائع العريان
بالجوع والحرمان تصلح أمة ... أخنى عليها الجوع والحرمان
خذ من قرارة دائهم لدوائهم ... بعض السقام من السقام ضمان
ومن العجائب أن يُقدَّس بينهم ... بقر السّوام ويُلعنَ الإنسان
عكسوا الأمور فكان عكسُ أمورهم ... بعضَ الجزاء ، ومن أهان يهان
فاشبع لنقص القوم عند كما لهم ... فكذاك تغفر ذنبها الأوطان(1)

الظن(*)

إذا خفت ظن الناس ظنوا وأكثروا ... وإن لم تخفه أكرموك عن الظن
فإن شئت هبهم ألف عين ، وإن تشأ ... فدعهم بلا عين تراك ولا أذن

القلم المسروق(*)

زاملنى فى السجن ذاك القلم(2) ... ونالـه مـا نالنى من قسَم
ومس من فكرى وأسراره ... ما رامه الناس وما لم يُرَم
فربّ معنىً ما وعاه سوى ... ريشته ، ثم انطوى فانحسم
وكم له من حصة تُرتَضى ... فيما جرى من أدب أو حكم
وكم له من نفخة كالصّبا ، ... وكم له من لفحة كالضّرم

(*) إلى غندى يوم إفطاره : وحى الأربعين .

(1) الأوطان تكفر بحسناتها عن سيئاتها وما دام للوطن حسنة فله أن يطمع فى غفران سيئة .
أما الوطن الذى لا غفران له فهو الوطن الذى لا تقرن فيه السيئات بحسنات تعدلها أو تربى عليها .

(*) الظن : أعاصير مغرب .

(*) القلم المسروق : عابر سبيل .

(2) كان هذا القلم من الودائع التى بقيت فى السجن تسعة أشهر ملفوفة محبوسة كذلك .

وكم له من زهر مُجتنى ... وكم له من ثمر مُلتهم
سجّل ما سجّل من رحمة ... أو نقمة مرت بأرض الهرم

* * *

ورب مسكين قضى حقه ... وغاشم أحصى عليه اللّمم
أعززته عن حلية تُقتنى ... وصنته عن غاليات القيَمْ
ولى أخٌ يذكرنى بالنعمْ ... فقلت أجزى بعض تلك النعم
فلم أجد أنفس منه لمن ... محّضنى قلبًا نفيس الشّيمْ
قد صان ما أكتب فى صدره ... فغير بدع أن يصون القلم
يظل يستوحيه فى كل ما ... أوحى ، ويرعاه كرعى الذمم

* * *

رعاه فى أمن إلى أن قضى ... عليه بالفقد قضاء حتَم
فغاله منه لصوص لهم ... من كل عين فرضة تُغتنم
فى يوم حشر حافل المزدحمْ ... ضلت به العين مكان القدم
قد نام عنه لمحة فى الضحى ... فبات فى ليلته لم ينم

* * *

أما وقد فارقتنا يا قلم ... وصالح اليأسُ عليك الألم
فخير ما أرجوه أن لا تُرى ... فى كف خوان ولا مُتّهم
ولا تخط الجهل فى صفحة ... «أبيضُ» ما فيها سواد الحمم
ولاتكن يا قلمى آلة ... تشتمنى باللغو فيمن شتم
فتنظم الحكمة لى من هنا ، ... ومن هنا تنحى على من نظم
بدأت فى الأوج فلا تنحدر ... إلى حضيض الذل فى المختتم

* * *

بين التعب والراحة(*)

قال المعرى :

تعب كلها الحياة فما أعـ ـجب إلا من راغب فى ازدياد

ويقول صاحب الديوان :

راحة كلها الحياة فما أعـ ـجب إلا من راغب فى ازدياد
ما ابتغاء المزيد من يوم أمنٍ عاطل لا يزاد بالتعداد
فالزمان المريح تكرار شىءٍ واحدٍ واطّراد حال معاد

* * *

هذا هو التاريخ(*)

من جانب القبر لسان بدا يكذب ما شاء ولا يستحى
هذا هو التاريخ لو أننى صورته يومًا على المسرح

* * *

رأى الناس(*)

من عوّد الناس خيرًا طالبوه به كأنه الدَّين يُلوى بالمعاذير
ومن تعقَّبهم شرًا فأمهلهم يوما تقبَّل منهم أجر مشكور
لا أرى للناس فى نفع ولا ضرر وما لهم قط من حكم وتقدير

(*) بين التعب والراحة : أعاصير مغرب .
(*) هذا هو التاريخ : أعاصير مغرب .
(*) رأى الناس : أعاصير مغرب .

سيان (*)

إن قـــبل بالحق أو البـــهـــتـــان
دعـــهم يقـــولون ، وقل ســـيـــان ،
ســـيـــان مـــهـــمـــا افـــتـــرق الضـــدان
ســـيـــان مـــهـــمـــا اخـــتـــلف الخـــصـــمـــان
ســـــيـــــان ألفٌ هى أو ألفـــــان
ســـــيـــــان بيـــــدٌ هى أو مـــــغـــــان
ســـــيـــــان نور أو ظـلام فـــــان
ســـيـــان من يلهـــو ومن يعـــانى
قـلهـــــا ببـــــرهـان ولا بـرهـان
وأنـت أنـت أحـكـم الـزمـــــــان
وإن تـصـــــــدوا لـك بـالـنـكـران
أو ضـحـكوا سـخـرًا فـقل سـيـان !

خداع النفس (*)

يقـــول ومـــا قـــضـى عـــجـــبًـــا ... فـــتـى يخـــبـط فى حـــدســـهْ
أيخـــــدع نـفـــســـــه رجل ... لـه عـــــيـنـان فى رأســـــه؟
أجل يا صـــــاح : عـــــيـنـان! ... وزد مـــا شـــئت من حـــســـه
وهـل أخـــــدع لـلإنســـــا ... ن بين الـنـاس من نفـــســـه
خـــداع الـنـفـس مـــعـــهـــود ... وقـــــاك الله مـن دســـــه

(*) سيان : أعاصير مغرب .
(*) خداع النفس : أعاصير مغرب .

الأستاذ طاهر (*)

أخي السيد طاهر :

قل لي بحقك كم بلغت سنينا ... خمسين ؟ أو ستين ؟ أو سبعينا
إني أراك كما عهدتك بادئًا ... شوط الشباب تناهز العشرينا
قد كنت بين الناشئين محنّكا ... حسن الأناة ، مع الخطوب ، رصينا
واليوم تقتحم الكهولة سابقاً ... خطو الشبيبة لا تطيق سكونا
آناً فتىً بين الشيوخ وآنةً ... شيخاً مع الفتيان مستبقينا
خذ هذه أرقامنا من واحدٍ : ... ضعْ بعدها الشفر العزيز يمينا
عشرًا إلى عشرين أو خمسٍ ... ين أو ستين صاعدةً إلى التسعينا
إن قلت عشرا صدقوك وإن تقل ... تسعين قلنا عشتها عربونا

* * *

أفتى طناح لا برحت مهنئًا ... ومهنّأً بالصالحات قمينا
إن السنين - وقد صدقتَ - لعلها ... مرت بمدرجة الزمان قرونا
وإذا حسبت صفاءها فلعلها ... ساعات حلم ما اغتمضن جفونا
حسبي وقد فرغت يدي من زادها ... أنّي أبَيتُ لها الفراغ قرينا
ورضاي عنها أنها لم تُرض في ... عهد ظلومًا أو تسر خؤونا
ومناي منها أن أعيش ولا أرى ... أبدًا بأوهام المُنى مفتونا
ومداي فيها أن أودّعها وما ... ودعتها أسِفا ولا محزونا
ما دام فيها حامدون كطاهر ... فالله أحمدُ . لست بعدُ غبينا

(*) إلى الأستاذ طاهر الطنّاحي جوابا لقصيدة كتبها إلى صاحب الديوان لمناسبة بلوغه السبعين .

الفن الحى (*)

أو الحياة الفنية

خذ من الجسم كلّ معنى ، وجسّم ... من معانى النفوس ما كان بكرا
حبذا العيش يبدع الفكر جسما ... لتجليه ، ويبدع الجسم فكرا
ويرى الفن كالحياة حياةً ... ويرى للحياة فنا وشعرا
ضلّ من يفضل الحياتين جهلا ... واهتدى من حوى الحياتين طرا

الحان والمسجد (*)

ترتدين أن أرضى بك اليوم للهوى ... وأرتاد فيك اللهو عبد التعبد
وألقاك جسما مستباحًا وطالما ... لقيتك جمّ الخوف جمّ التردد
رويدك إنى لا أراك مليئة ... بلذة جثمان ولا طيب مشهد
جمالك سم فى الضلوع وعثرة ... ترد مهاد الصفو غير ممهد
إذا لم يكن بد من الحان والطلى ... ففى غير بيت كان بالأمس مسجدى

أحلاهما مر (*)

لم أسغ أشهى مذاقيك فما ... مزجك الكأس بطعم العلقم؟
خلّ يا دهر لغيرى مزجها ... إن أحلاك لمرّ فى فمى

(*) الفن الحى أو الحياة الفنية : هدية الكروان .
(*) الحان والمسجد : الجزء الرابع .
(*) أحلاهما مر : الجزء الرابع .

فوق الحب(*)

صاحبى مَن سروره وسرورى ... فى صفاء الزمان يلتقيان
وصديقى من استجد سرورا ... من سرورى ، وإن تناءى مكانى
وحبيبى من قلبه كيفما كا ... ن ، وقلبى فى الشجو يستويان
فالذى يرتضى العذابَ لأرضَى ... كيف أدعوه ؟ وما اسمه فى البيان؟
ذاك فوق الحبيب إن كان فوق الحـ ... ـب شئ يُرجى من الإنسان
ذاك فيه من صبغة الله سرٌّ ... جلّ عن صبغة الوجود الفانى

النور(*)

طهرت بماء سمائها أم ... وبه تطهّر روحها الهند
والروح أولى بالطهور لها ... نور يخف بها ويمتد
فيض يشف فما به كدر ... ومدى يفيض فما له حد

بكاء السليب(*)

وقالوا خؤون قلت مهلاً فإنما ... بكائى عليه وافيا لعجيب
لقد سلبتنيه الخيانة راغمًا ... وإن جديرًا أن ينوح سليب
وإنى لأبكى مَن كان قبلها ... يفى لى على زعم الهوى ويطيب

(*) فوق الحب : هدية الكروان .
(*) النور : الجزء الرابع .
(*) بكاء السليب : الجزء الرابع .

حب الدنيا(*)
معجزة خارقة

(هل هذه الدنيا جميلة والأوامر الإلهية التى تنهانا أن نسعد بجمالها ونفرغ لمحبتها ؟ أو هى دميمة والقدرة الإلهية هى التى تحببها إليها وترغبنا فيها ؟
الجواب فى القصيدة التالية أنه لا قدرة - دون قدرة المعجزات والخوارق - تستطيع أن تحبب هذه الدنيا إلى الناس ، على ما بها من الآفات والأرجاس !)

قالوا الدنيا الحسناء سها ... عنها ربٌّ لا يقبلها
بل قالوا : يحجبها عنا ، ... أو ينهاها ، أو يعقلها
ونرى الشيطان يزيّنها ... ونرى الشيطان يدلّلها
يا قومُ ألا عينٌ نظرت ... هذى الشوهاء تُمثلها ؟
ما يقدر إلا ربُّ الكو ... ـون يحبّبها ويجمّلها
لولاه قتلنا أنفسنا ... أولم نعذل من يقتلها
أفهذى دنيا نعشقها ... لولا رضوانٌ يكفلها ؟
من شك فهذى قدرته ... فليعرفها من يجهلها !

المذكّر المنسى(*)

لم يبق من دنياك يَعنينى ... إلا عناءٌ غيرُ مأمون
وجه - إذا ما مرّ - ينسينى ... لا بل يذكّرنى إلى حين

أنّى - كما قيل - ابن سبعين !

(*) حب الدنيا معجزة خارقة : وحى الأربعين .

خبر الربيع(*)

يأيها الورق المخضرُّ فى شجر ... عهدى وما فيه من ذى خضرة أثر
من أين أقبلت ؟ بل من أين أقبل فى ... عيدانك العوق ذاك العطر والزُّهر
إنا سألنا ، لو عاد السؤال إلى ... فحوى الضمائر لم نعرفه يا شجر
سلنا بحقك من أين استجدَّ لنا ... هذا السرور الذى فى القلب ينتشر
كلاهما طارقٌ طاف الربيع به ... على براق من الأنوار ينحدر
سلهُ فإن لم يُجب فأنعم بمقدمه ... وافرح به ، وانتظره حين يُنتظر
إذا أجاب بأزهار مفتَّحة ... وبالسرور ، فحسبى ذلك الخبر

الطريق فى الصباح(*)

بدأت دولة الطريق ... وانتهت دولة البيوت
ضاق بالكوكب المفيقْ ... عالم الليل والسكوت

* * *

حيث يممت مسرعٌ ... يتلقاه مسروعون
ما لهم ؟ أين أزمعوا ؟ ... ويحهم ! م يهربون ؟

* * *

كلما غاب مجفل ... طلع اثنان فى هجوم
ذاك ركبٌ مضلل ... حائر حيثما يحوم

* * *

حائر حيرة الأولى ... سُحروا ثم أطلقوا
وضح الصبح والجلى ... فهو بالسحر أخلق

* * *

(*) خبر الربيع : هدية الكروان .
(*) الطريق فى الصباح : عابر سبيل .

لا أرى فـــــردَ ســـــاحـــــرٍ فـــــيك يا صـــــبح بل ألوف
كـم أســـــيـــــر وأســـــرٍ والـرّقـى بـيـنـهـم صـنـوف[1]

* * *

ذلـك الـطـفـل مـــــا عـنـاه ؟ جـــدول الضـــرب فى كـــتـــاب
ذلـك الشـــــيخ مـــــا مناه ؟ لـقـــمـــة كلهـــا عـــذاب

* * *

والـفـــــتى . أيـن قِـــــبـلـةٌ نـحـــــوهـا يـرسـل الـعـنـان ؟
غـــــايـة الأمـــــر قُـــــبـلـة بـعـــــدهـا يـمـسـح الـدهـان !

* * *

خـــــذهُـم أيـهـــــا الـطـريـقْ فى غـــــداة من الـصـــــبـــاح
لا تـضـلـنّ بـالـرفـــــيـق إن دنـت ســـــاعـــــة الـرواح

* * *

إن دنـت ســـاعـــة الـســـبـات ويـك ! لا تـخـطـئ الـوكـــــور
كـم وكـــــور مـنـاظـرات لـلـبـيـوت اسـمـهـا الـقـبـور !

* * *

ماذا استفدت ؟(*)

بـرئـت مـن غـش نـفـــــسـى ولا أقـــول انـتـــبـــهـت
قـــــد كـنـت ســـــاهـرَ عـينٍ مـســـتـيـقـظًا مـا غـفـوتُ

* * *

بـرئـت مـن غـش نـفـــــسـى ولـيـــــتـى مـــــا بـرئـت
مـــا الـعـــمـــر مـحض نهـــار ! فـى الـعـــمـــر لـلـغـمض وقـت

* * *

هـــا أنـــت يـــا عـــيـن يـقـظـى وهـا أنـا قـــــد نـظـرت
مـــاذا اســـتـــفـــدت لـعـمـرى ومـــا عـــانى اســـتـــفـــدت ؟!

* * *

(١) جمع رقية وهى طلسم السحر وما يستعان به من القوى الخفية .

(*) ماذا استفدت : أعاصير مغرب .

قلت للمريخ(*)(١)

قلت للمريخ أعذله ... وهو يذكى جمرةَ الغضب
ويك أما هذا الخراب ؟ وما ... ذلك الإغراق فى العطب ؟
أمّ تسطو على أم ... ولظى ثوارة اللهب
ودماء كالبحار على ... عيْلم(٢) للدمع منكسب
وقبور كظّها تَخَمًا ... جثث الهلكى من السَّغب(٣)

* * *

قال : مهْ يا صاح أين ترى ... كلّ ما استهولتَ واعجبى
أرضكم ما زلت أبصرها ... ناثيا حينًا وعن كثب(٤)
هَيِّنْ ما قد تبدّل من ... سمتها فى هذه الحقب

* * *

لا ضيف فى الخان(*)

إيه يا دنيا ! لو اسطعت سماعى ... قد نزلنا منك فى غير اتساع
أكرمينا حيثما تدعيننا ! ... أودعينا من لقاء ووداع
قالت الدنيا : لمْ أكرمكم ؟ ... كلنا فى الحق مدعوٌّ وداع
حبذا الخان ! فلا ضيف هنا ... إنما يُجزى متاعا بمتاع

* * *

تكاليف العظمة(*)

كن عظيما ولا تلومنّ إلا ... همةً كلفتك همّا جسيما
كل راج يُلقى عليك مناه ، ... فإذا خاب كنتَ أنت الملوما
تنصف الأمة الضعيفَ ولا تنصـ ... ـف يوما عظيمها المظلوما

* * *

(*) قلت للمريخ : أعاصير مغرب . (١) المريخ فى أساطير الأقدمين هو رب الحرب . (٢) بحر .
(٣) الجوع . (٤) عن قرب .
(*) لا ضيف فى الخان : وحى الأربعين .
(*) تكاليف العظمة : وحى الأربعين .

النعيم والشقاء(*)

ما العيش ؟ قل لى فأنت مختبرٌ ... همـوم هذى الدنيـا ونعـمـاها

* * *

العـيش بأسـاءُ ليس يجـهلهـا ... من ذاقـهـا أو أصـاب عـدواها
ونعـمـةٌ لا يزال يُحـرمَـهـا ... من نال منهـا أو من تعـداها
نشـتاقـهـا إن نأت ، ونبخـسـهـا ... إن أقـبلت ، جـاهلين مـعناها
كـأنهـا درة مـوّمـة ... فى بعض سكر الحـيـاة نُعطلهـا
يمنحـهـا حـاسـدٌ لآخـذها ... آب عليـه سـرور لقـيـاها
حـتى إذا ردها وأحـرزها ... ادراه مـا قـدرها لينعـاها
هذا سـرور الدنيـا ولذتهـا ... دع عنك مـا شـرها وبلواها
فاحسبه من خيرها ونعمتها ... إن شئت أو من صميم وبؤساها

* * *

الصنم الهاوى(*)

خـبـرونى عن الصنم ... أيـن ألـقـت بـه الخـطَـم
خـبـرونى بمصـرع ... للهـوى فـيـه والشـيـم
كـيف باع العـبـاد والخلـ ... ـد والحب والـعـظَـم
والسـمـاوات كلهـا ... بضـئـيل من القِـسَـم

* * *

خـبـرونى عن الصنم ... ذلـك الأروغ الأشـم
ذلك الشـاهق الذى ... قـصـرت دونه الهـمم
ذلك العـابس الذى ... فى حـمى الصمت مـا ابتسم
كـيف قـيـدت لرائم ... عـزةٌ منـه لـم تَـرم
كـيف زلّت عـروشـه ... من أعـاليـه فى القـمم
كـيف أمـسى ورأسـه ... فى الثـرى مـوضع القـدم

(*) النعيم والشقاء : الجزء الرابع .
(*) الصنم الهاوى : الجزء الرابع .

مـــا دهاه فـــمـــا اتقى ... مـن حـــــــذار ، ولا وجـم
فـــتـــهـــاوى بلا ونىً ... وتـرامـى بـلا شـــــمم
وتـــخـــطـــى عـــن الـــذرى ... عـلـمًـــــا دونـه عـلـم
واســـتـــوى غـــيـــر نادم ... فى حـــضـــيـض من الرجم
خـــبـــرونى وأجـــملوا ... رب عـــــذر لمتّـــهم
حـكـمـــــة تـلـك فى الحكم ... أم قـــضـــاء من القـــدم ؟
أم إلـه أصـــــابـه ... حـــــدّ منه فـــانتـقم
نقـــمـــة تلك مـــا خـــلا ... مـــثـلهـــا قط فى الأمم
ضـــــربـة تـلـك من إلا ... ه فـــمـــا عنه مـــعـــتـصَم
هى ســـوى حكـمـــه يضـ ... ـل صـــــوابًـا إذا حـكـم

* * *

خـــبـــرونى واســـمـــعـوا ... أنـا واللّـه فـى صـــــمم
أنـا فـى غـــمـــرة الأسى ... ظلمـــة فـــوقـــهـــا ظلم
حـــيـــرة تشـــده العـــقـــو ... ل بمـــسّ مـــن الـــلـــمم
إن ويـلـى بـســـــرهـا ... فـــــوق ويـلـى علـى الصنم

* * *

حـــــدثـونى عـن الصنم ... بـدأ الـويـل أم خـــــتـم[1] ؟
زعِـم الـقـلـب أنـهـــــا ... لـوعـــة بعـــدهـا ســـأم
بلَى القـــيـــد فـــانفـــضم ... وهـــوى ذلـك الحـــــرم
لا قـــرابين تُهـــتَـــدى ... فـى المحـــــاريب ، أو ذمم
لا صـــلاة ولا صـــيـــا ... م ولا فـــتـــنة عـــمـــم
فليـــجـــد منه راحـــة ... عـــابـدٌ طالما التـــزم
وليـــثُبْ منه راضـــيًـــا ... خـــادم طالما خـــدم
جـــهـل القلب نفـــســه ... كـــذب القـلـب مـــا زعـم
ليـــتـــه عـــاد فى القـــمم ... ظالمًا كـــيـــفـــمـــا ظلم
غـــائمًا كلّ مـــا ارتضى ... من ضـــحـــايا ومن نعم

(١) أى هل تحطيم ذلك الصنم هو أول الشقاء أو آخره ؟ وهل يسعد عابد الصنم بانقضاء حبه وفرائضه وتقديم القرابين إليه والراحة من كل ذلك أو هو يأسف على ما فاته من الحب وتقديم القرابين ؟

آخـــــذاً من دمـــــائنا ولنا بعـــدُ مـــا اغـــتنم
إنمـــا الحـــب مـــنعـــم وهـــب الحـــب أو حـــــرم
ليـــتـــه لم يكن هوى ليـــتـــه عـــاد فى القـــمم
ليـــتـــه فى الحـــضـــيض لم يُـــشـــف مـــن ذلـــك الـــنـــهـــم[1]

* * *

ألمى مـــا ابتـــغـــيت من نـــاضب النفس مـــصطلَم[2]
دائبًـــــا فـــى المزيـــد لـــم تـــســـــهُ عنـــه ولـــم تـــنـــم
حـــســـبك اليـــأس والضنى وجـــــوى الـــلـــيـــل يـــا ألـــم
فـــــرغ المـــأتم والـــذى بـــتَّ تحـــيـــى لـــه الـــضـــرم
فـــــدع الـــنـــار يـــنـــطـــفئ من لظى النار مـــا احـــتـــدم
أيـــعـــــود الإلـــه ألـــ ـــقى بـــه الـــذلُّ فـــى الـــعـــدم
ويك هيـــهـــات لامـــعـــا د ، فـــطـــوبـــى لمـــن وهـــم
بـــدأ الـــلـــيـــل وانـــتـــهـــى وصـــحـــا حـــالمٌ حلم

* * *

ولماذا القرد؟(*)

أرى السخف فى الإنسان طبعًا مؤصّلا شـــواهده فى كل بادرةٍ تبـــدو
ولو لم يكن فى طبـــعـــه ومـــزاجـــه طويةُ ســـخف لا يلازمـــهـــا حـــد
لما خص من كل الخـــلائق ســـخـــره بأشـــبـــهـــهم طرًا به ، وهو القـــرد!

* * *

(١) أى ليته بعد هبوطه إلى الحضيض بقيت له رغبة الأرباب فى العبادة .
(٢) اصطلمه : قطعه .
(*) ولماذا القرد : بعد الأعاصير .

نعمة من نقمة(*)

جـــلا مـــعـــرضُ الحب أصنافـــه ... غاذج من كل صنف عـــجـــاب
فـــحبٌ يُلاصق هذا الثـــرى ... وحبٌ يحلّق فـــوق الســـحـــاب
وحبٌ يعـــيش مـــدى ســـاعـــة ... وحـــب مـــن الخـــلـــد رحـــب الجـنـاب

* * *

وفـــوّضت أمـــرى على غـــرّة ... لكوبيـــد يخـــتـــارلى مـــا يرى
فـــعلّقنى منه ذاك الخـــبـــيـ ... ـث بحب تعـــمّق تحت الثـــرى
وقـــال : إليك قـــرينَ الربيـ ... ـع فى القـــاع يُزهر مـــا أزهرا

* * *

عـــجـــبتُ أنا الصـــاعـــد المرتقى ... وســـاءلت ربّىَ فى قـــســـمـــتى
فـــقـــال انتظر ريثـــمـــا ينقـــضى ... هواك ، أنبـــئْك عن حكمـــتى
فلمـــا تقـــضّى وزال الخـــفـــاء ... ســـألت القـــضـــاء ، فلم يصـــمت

* * *

لقـــد كنتَ تجـــهل هذا الثـــرى ... وكنتَ تطيـــر ولا فـــضل لك
فـــهـــا قـــد عـــرفت وها قـــد علو ... ت بوقـــر الرغـــام الذى أثقلك
أترضى ؟ فـــقلت نعم قـــد رضـــيـ ... ـت .لك الحـــمـــد ربّىَ مـــا أعـــدلك

* * *

لك الحـــمـــد ربّى إنى افـــتـــتـ ... ـت ســـمـــائى بالحب شـــبـــرًا فشـــبـــرا
وشـــتـــان فـــاتحـــهـــا مـــغـــمـــضًـــا ... وفـــاتحـــهـــا مـــبـــصـــر العين حـــرا
ملكـــت الوهاد ، ملكـــت النجـــا ... د ، كـــمـــا تُملكان . فـــحـــمـــدًا وشكرا

* * *

(*) نعمة من نقمة : بعد الأعاصير .

مقدمات ما تقدم

«فيما يلى مقتبسات من مقدمات الدواوين مرتبة على حسب تواريخ صدورها :

. . . . . .

« . . . الشعر يعمّق الحياة فيجعل الساعة من العمر ساعات : عش ساعة مفتوح النفس لمؤثرات الكون التى يعرض عنها سواك ، ممتزجةً طويتك بطويته الكبيرة تكن قد عشت ما فى وسع الإنسان أن يعيش وملأت حقيبتك من أجود صنف من الوقت! والوقت أيها القارئ ، أصناف : فمنه ما يبخل به الأبد على غير سكان السماوات ومنه مايطرحه للأبقار والحشرات ! فإذا قلنا لك أحبب الشعر فكأننا نقول لك عش ، وإذا قلنا إن أمة أخذت تطرب للشعر فكأننا نقول إنها أخذت تطرب للحياة . .» .

الجزء الأول

. . . . . * * * . . . . . .

«أحسن فيكتور هوجو فى كتابه «وليام شكسبير» حيث قال : «ينادى كثير من الناس فى أيامنا هذه – لا سيما المضاربون وفقهاء القانون – بأن الشعر قد أدبر زمانه . فما أغرب هذا القول ؟! . . الشعر أدبر زمانه ! لكأن هؤلاء القوم يقولون إن الورد لن ينبت بعد ، وأن الربيع قد أصعد آخر أنفاسه . وأن الشمس كفّت عن الشروق . وأنك تجول فى مروج الأرض فلا تصادف عندها فراشة طائرة . وأن القمر لا ينظر له ضياء بعد اليوم ، والبلبل لا يغرد ، والأسد لم يزمجر والنسر لا يحوّم فى الفضاء . وأن قلال الألب والبرانيس قد اندكت ، وخلا وجه الأرض من الكواعب الفواتن والأيفاع الحسان . . .

لكأنهم يقولون إنه لا أحد اليوم يبكى على قبر ، ولا أم تحب وليدها وأن أنوار السماء قد خمدت وقلب الإنسان قد مات» .

والحقُّ أنه لا فرق بين القولين . إذ الشعر لا يفنى إلا إذا نفيت بواعثه . وما بواعثه إلا محاسن الطبيعة ومخاوفها وخوالج النفس وأمانيها ، فإذا حكمنا بانقضاء هذه البواعث فكأنما حكمنا بانقضاء الإنسان . وليس من العجب أن يولد فى الدنيا أناس لا يهتزون للشعر وهى مكتظة بمن لا يهتزون للحياة نفسها ، غاصة بمن يمرون بها غافلين عن محاسنها وآياتها ، كأنهم سيمرون بها ألف مرة ، أو كأنهم يعودون إليها كلما شاءوا الكرّة . . .»

الجزء الثانى

* * *

« . . . وقرأ بعضهم قصيدة فى وصف الصحراء والإبل فأنكر أن تكون من المذهب الجديد وعدها بابا من الشعر لا يجوز أن يطرقه العصريون !

ذلك مثل آخر من أمثلة التقليد فى إنكار التقليد ، لأن وصف الصحراء والإبل إنما يحسب تقليداً لا ابتكار فيه إذا نظمه الناظم مجاراةً للأقدمين واقتياساً على الدواوين . أما الرجل الذى يعيش فى الصحراء أو على مقربة منها ، ويركب الإبل وتجيش نفسه بالشعر والتخيل عند ركوبها ورؤيتها فليس بشاعر إن لم ينظم فى هذا المعنى مخافة الاتهام بالتقليد أو جريا على رأى الآخرين . إذ هو التقليد بعينه فى التصور واختيار الموضوعات ، وما المقلد إلا من ينسى شعوره ويأخذ برأى الآخرين على غير بصيرة أو بغير نظر إلى دليل .

فهناك إذن «مقلدون» فى كراهة التقليد لا يدركون لماذا يستحسنون ولماذا يستهجنون ، وربما كان هؤلاء أضرّ بالمذاهب الجديدة من معشر الجامدين على المذهب القديم .

إن من أراد أن يحصر الشعر فى تعريف محدود لكمن يريد أن يحصر الحياة نفسها فى تعريف محدود ، فالشاعر لا ينبغى أن يتقيد إلا بمطلب واحد يطوى فيه جميع المطالب وهو «التعبير الجميل عن الشعور الصادق» . وكلب ما دخل فى هذا الباب – باب التعبير الجميل عن الشعور الصادق – فهو شعرٌ وإن كان مديحًا أو هجاء أو وصفًا للإبل والأطلال ، وكل ما خرج عن هذا الباب فليس بشعر وإن كان قصة أو وصف طبيعة أو مخترع حديث . . .

وحى الأربعين

* * *

. . . . . .

وأعجب منه أنك لا تقرأ فيما ينظمون إلا مناجاة البلابل وأشباهها على قلة ما تُسمع فى هذه الأجواء !

فكأنما العامة عندنا أصدق شعورًا من الشعراء ، لأنهم يلقبون المُغنّى بالكروان ولا يلقبونه بالبلبل ، فيصدرون عن شعور صادق ويتحدثون بما يعرفون . .

هدية الكروان

* * *

. . . . . .

فليست الرياض وحدها ولا البحار ولا الكواكب هى موضوعات الشعر الصالحة لتنبيه القريحة واستجاشة الخيال ، وإنما النفس التى لا تستخرج الشعر إلا من هذه الموضوعات كالجسم الذى لا يستخرج الغذاء إلا من الطعام المتخير المستحضر ، أو كالمعدم الذى يظن أن المترفين لا يأكلون إلا العسل والرحيق !

كل ما نخلع عليه من إحساسنا ونفيض عليه من خيالنا ونتخلله بوعينا ونبث فيه هواجسنا وأحلامنا ومخاوفنا هو شعر وموضوع للشعر لأنه حياة وموضوع للحياة .

وإن التصور لهو خير معوان للإحساس وشاحذ للرغبة أو للنفور . فإن الأم تنظر إلى طفلها الوليد ثم تقضى عشرين سنة وهى تتصوره عريسًا سعيدًا لا تفرح به يوم عرسه كما تفرح بتصوره والرجاء فى بقائه طوال تلك السنين ، فإنما من نسج التصور نخلق الحلل النفيسة التى نضفيها على آمال الغيب ومشاهد العيان .

فلنجمع لدينا الرغبة والتصور نجمع لدينا زادًا من الشعر لا ينفد وموضوعات للشعر تشتمل على كل ما تراه العيون وتمسه الأذواق . ولنتوجه بالحواس الراغبة إلى ما نشاء نستمرئ الشعور به والتعبير عنه كما نستمرئ المحاسن المشهورة والمناظر المأثورة ، لأن المحاسن نفسها لن تهزنا إليها ولا تحل عقدة من ألسنتنا حتى يزينها لنا الحس الناشط والخيال المتوفز ، وأن أجمل وجه ليمر بنا فى ساعة الجمود والوجوم كما تمر بنا طلعة الخادم العجوز التى نراها صباح مساء .

عابر سبيل

* * *

من الشعراء الذين نرجع إليهم رجوعنا إلى الصديق فى اللغة العربية أبو العلاء وابن الرومى والشريف .

ومنهم فى اللغات الأوربية ليو باردى ، وهنريك هينى ، وتوماس هاردى ، وهذا فريدٌ عندنا فى هذه الخصلة بين المحدثين المعاصرين .

رجعت إليه وأنا أفكر فى طبع ديوانى الجديد واختيار الاسم الذى يناسبه فقرأت له الأبيات التى يقول فيها :

«انظرْ إلى المرآة ، فأرى هذه البشرة الذابلة تتقبض ، فأتوجه إلى اللّه مبتهلا إليه . أسألك يا رب إلا ما جعلت لى قلبًا يذبل مثل هذا الذبول .

«إننى إذن لأحس برد القلوب من حولى فلا ألم ولا أحزن ، وأننى إذن لأظل فى ارتقاب راحتى السرمدية بجأش ساكن وسمت وقور .

«غير أن الزمن الذى يأبى لى إلا الأسى قد شاء أن يختلس فلا يختلس كل شىء ، ويترك فلا يترك كل شىء ، ولا يزال يرجف هذه البنية الهزيلة فى مسائها بأقوى ما فى الظهيرة من خلجة واضطراب» .

فما أتممت هذه الأبيات حتى خطر لى الاسم الذى اخترته لهذا الديوان وهو «أعاصير مغرب» ، وإن لم يرد فى الأبيات ذكرٌ للأعاصير .

أعاصير مغرب اسم صالح لجملة الشعر الذى احتواه هذا الديوان . . بأعاصيره ، ومنه ما يشبه الأعاصير التى هزت كيان «الشيخ» هاردى فتمنى من أجلها ذبولا فى القلب كذبول إهابه .

أعاصير مغرب

* * *

نحن فى زمن المراجعة والتقويم .

نراجع كل شىء ، ونعيد تقويم كل شىء وننقد ونعيد النظر فى مقاييس النقد نفسه ، ولا فرق بين مقاييس «النقد» الذى تجرى به المعاملات بين الناس فى البيع والشراء والأخذ والعطاء ، أو مقاييس النقد الذى يتواضع الناس عليه فى فهم المعانى والأفكار ، وتمحيص الأخلاق والأذواق .

روجعت قيمة الذهب وهو فيما مضى مرجع كل قيمة .

وروجعت ، أو ينبغى أن تُراجع ، قيمة النقد الذى يتداوله الناس عند تقويم المعنى والفكرة وتقدير الكلمة النثرية والقصيدة الشعرية والتحفة الفنية ، فلا محيص من «نقد النقد» نفسه قبل تقرير قيمته فى عالم الأدب والفن ، وقبل الاعتماد عليه فى تقرير ما نقبله أو لا نقبله من آثار الأديب والفنان .

وأول ما يُنقَد به النقد فى كل زمن أنه غير خالص لوجه الأدب وحده أو لوجه الفن وحده ، فما من نقد قط يخلص من هوى فى نفس الناقد يهواه باختياره أو على غير اختياره ، ولا بدّ مع النقد من شائبة مزغولة نعزلها قبل أن تنفذ إلى قيمة المعدن فى صميمه . فالنقد الذى فى الصميم هو القيمة التى تدل على المنقود وتعطيه حقه فى الإعجاب أو استحقاقه للرفض والزراية .

ونقد النقد بهذا المعنى هو تخليصه من كل أثر فيه لهوى الناقد أو هى البيئة أو هوى الشيعة أو وساوس النفس الإنسانية التى يجهلها صاحبها فى كثير من الأحايين ، ولكنها لا تخفى على الناظر إليها بالقياس إلى ما يماثلها من وساوس النفوس .

وليس فيما نومئ إليه من شوائب النقد على هذا النحو شىء جديد . فقديما عرف الناس التعصب للأديب أو للشاعر لأنه من جنس المعجبين به أو من أبناء نحلتهم فى الدين أو شيعتهم فى السياسة .

ولكنّ الجديد فى هذا العصر أن هذا التعصب قد أصبح خطة مقررة فى دعوة مدبرة ، تدين بها طائفة كبيرة من أصحاب المذاهب والنحل ، ويصدرون عنها فى تقريظهم ونقدهم ، وفى ثنائهم وتشهيرهم ، ويتخذونها سبيلا إلى ترويج دعواتهم السياسية وآرائهم الاجتماعية ، بمعزل عن الفن والأدب ، وعلى علم بالتلفيق والعوج فى القياس ، إذا لزم التلفيق أو العوج فى خدمة الغرض الأصيل . لأن هذا الغرض الأصيل هو القسطاس الأخير لكل تقدير ، والغاية الأخيرة من كل تكبير وتصغير .

وفى عصرنا هذا ينبغى أن نلتفت إلى شوائب النقد التى عرفها الأقدمون ، وإلى الشوائب التى لم يعرفوها قط أو عرفوها فى حيز محصور لا يُلتفت إليه .

ولقد عرف الأقدمون فى الأدب العربى صنوفا من الإيثار والاستحسان لا علاقة لها بمزايا الفن والبلاغة ، وكان منهم من يؤثر الشاعر أو الأديب تارة لأنه على مذهبه فى التشيع وتارة لأنه على هواه فى مؤازرة الدولة القائمة من بنى أمية أو من بنى العباس ، ولوحظ - مثلا - إهمال كتاب الأغانى للشاعر «ابن الرومى» .

أما الجديد الذى لم يعهده الأقدمون كما عهدناه فى عصرنا هذا فهو - فيما نعتقد أمران :

أحدهما كما أسلفنا ظهور خطة مقررة يدعمها أصحابها برأى أساسى فى مذهبهم يقضى باستخدام «النقد الأدبى» لترويج المذهب ومحاربة خصومه .

والآخر ظهور المقلدين فى حركة التجديد ، وهم أولئك الذين سمعوا بمبادئ التجديد وراحوا يطبقونها تطبيق الآلة التى لا تميز بين حقائق الأسباب .

والذين يستخدمون «النقد الأدبى» لمحاربة خصومهم المذهبيين والانتقام منهم قومٌ لهم سيماهم التى لا يختلطون فيها بغيرهم . فهم جميعا من «غير الأدباء» . . . وهم جميعا لا ينتجون أدبًا ولا يقرأون أدبًا لأنه أدب ، ولكنهم دعاة يقتحمون عالم الأدب والشعر لخدمة الأغراض التى تعنيهم باسم النقد الأدبى وما هو من النقد الأدبى فى شىء . إنْ هو إلا العداوة التى تصدر عن الكراهية والاتهام ولا تصدر عن اختلاف الأذواق الفنية أو المشارب الأدبية .

ولا يقل عن ضرر هؤلاء ضرر المقلدين فى الدعوة إلى الجديد . فإنهم لا يصلحون لقديم ولا لجديد فى الأدب ، ولا يعرفون لماذا يقرظون ولماذا ينتقدون .

بعد الأعاصير

من مؤلفات عملاق الأدب العربى الكاتب الكبير
عباس محمود العقاد

١ ـ الله
٢ ـ إبراهيم أبو الأنبياء
٣ ـ مطلع النور أو طوالع البعثة المحمدية
٤ ـ عبقرية محمد ﷺ
٥ ـ عبقرية عمر
٦ ـ عبقرية الإمام على بن أبى طالب
٧ ـ عبقرية خالد
٨ ـ حياة المسيح
٩ ـ ذو النورين عثمان بن عفان
١٠ ـ عمرو بن العاص
١١ ـ معاوية بن أبى سفيان
١٢ ـ داعى السماء بلال بن رباح
١٣ ـ أبو الشهداء الحسين بن على
١٤ ـ فاطمة الزهراء والفاطميون
١٥ ـ هذه الشجرة
١٦ ـ إبليس
١٧ ـ جحا الضاحك المضحك
١٨ ـ أبو نواس
١٩ ـ الإنسان فى القرآن
٢٠ ـ المرأة فى القرآن
٢١ ـ عبقرى الإصلاح والتعليم الإمام محمدعبده
٢٢ ـ سعد زغلول زعيم الثورة
٢٣ ـ روح عظيم المهاتما غاندى
٢٤ ـ عبدالرحمن الكواكبى
٢٥ ـ رجعة أبى العلاء
٢٦ ـ رجال عرفتهم
٢٧ ـ سارة
٢٨ ـ الإسلام دعوة عالمية
٢٩ ـ الإسلام فى القرن العشرين
٣٠ ـ مايقال عن الإسلام
٣١ ـ حقائق الإسلام وأباطيل خصومه
٣٢ ـ التفكير فريضة إسلامية
٣٣ ـ الفلسفة القرآنية
٣٤ ـ الديمقراطية فى الإسلام
٣٥ ـ أثر العرب فى الحضارة الأوروبية
٣٦ ـ الثقافة العربية
٣٧ ـ اللغة الشاعرة
٣٨ ـ شعراء مصر وبيئاتهم
٣٩ ـ أشتات مجتمعات
٤٠ ـ حياة قلم
٤١ ـ خلاصة اليومية والشذور
٤٢ ـ مذهب ذوى العاهات
٤٣ ـ لا شيوعية ولا استعمار
٤٤ ـ الشيوعية والإنسانية
٤٥ ـ الصهيونية العالمية
٤٦ ـ أسوان
٤٧ – أنا
٤٨ – عبقرية الصديق
٤٩ – الصديقة بنت الصديق
٥٠ – الإسلام والحضارة الإنسانية
٥١ – مجمع الأحياء
٥٢ – الحكم المطلق
٥٣ – يوميات جزء أول
٥٤ يوميات جزء ثانى
٥٥ – عالم السدود والقيود
٥٦ – مع عاهل الجزيرة العربية
٥٧ – إنهانات مجتمعات فى اللغة والأدب
٥٨ – مواقف وقضايا فى الأدب والسياسة
٥٩ – دراسات فى المذاهب الأدبية والاجتماعية
٦٠ – أراء فى الأدب والفنون
٦١ – بحوث فى اللغة والأدب
٦٢ – خواطر فى الفن والقصة
٦٣ – دين وفن وفلسفة
٦٤ – فنون وشجون
٦٥ – قيم ومعايير
٦٦ – ديوان فى الأدب والناقد
٦٧ – عبد القلم
٦٨ – ردود وحدود

فـــهرس

	صفحة
بين يدى القراء	٣
خواطر وتأملات	٥
صفات وأشباه	٤٤
مناجاة	٦٤
مترجمات	١١٣
حديقة الحيوان	١٢٠
قصص وأماثيل	١٤٢
ترجمـــة شيطان	١٧٩
قوميـــات	١٩٤
تقـــدير	٢٠٨
تأبـــين	٢٢٢
رثاء وعزاء	٢٥٠
متفرقات	٢٦٥
مقدمات ما تقـــدم	٢٨٧

طبع بمطابع الشركة بمدينة السادس من أكتوبر

من شعر عملاق الأدب العربي
عباس محمود العقاد

١ - ديوان يقظة الصباح
٢ - ديوان وهج الظهيرة
٣ - ديوان أشباح الأصيل
٤ - ديوان وحي الأربعين
٥ - ديوان هدية الكروان
٦ - ديوان عابر سبيل
٧ - ديوان أعاصير مغرب
٨ - ديوان بعد الأعاصير
٩ - ديوان عرائس وشياطين
١٠ - ديوان أشجان الليل
١١ - ديوان من دواوين

نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع

To: www.al-mostafa.com